

المنسي والمحكي من تاريخ السودان

معلومات وفهرسة النشر

اسم الكتاب: المنسي والمحكي من تاريخ السودان
نوع المؤلف: رواية
اسم الكاتب: دكتور: البشير أحمد محي الدين موسى القاضي
حجم الكتاب: 17 × 24 سم
عدد الصفحات: 374 صفحة
رقم الإيداع: 2020/؟؟؟؟

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

يمنع نسخ أو استعمال جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيها التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

المنسي والمحكي من تاريخ السودان

———— المنسي والمحكي من تاريخ السودان ————

د. البشير أحمد محي الدين موسى القاضي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اهداء

الي زوجتي ايناس عبد المنعم الدمياطي واولادي احمد وسام وئام وسارة
واخواتي سمية وكوثر واقبال وصفية واخواني من مضي منهم ومن بقي
واصدقائي ومعارفي اهدي هذا الجهد

العازة بت إدريس
حكمة بي ألف فارس

العازة بت إدريس حكاية بي ألف فارس

عاوز أحكي ليكم يا جماعة عن المنسي في تاريخ السودان قالها عبد الواحد وواصل: تاريخنا اللي ملان فظائع وقصص ماليها حد، في قصص تقطع القلب وتسد النفس وفي قصص فيها شجاعة ومواقف.

بحكيها عشان الذكرى بتتفع المؤمنيني كتاب هو ذاتو منسي وما أظن في ناس كتار قرو هو ذاتو اسمو (في شان الله أو تاريخ السودان كما يرويه أهله)، ودا كتبو كاتب مصري اسمو محمد أحمد الجابري الكتاب دا طلع سنة 1947 م في زمن حكم الإنجليز والكتاب جايب قصص منسية برضو بحكي ليكم منو قصة نسوان جيش سليمان ود الزبير من بنات البحر، اللي فجأة لقن نفسهن في موقف عصيب، القصة بتحكي عن نهاية ملك وسطوة سليمان ود الزبير.

(2)

قال عبد الواحد: بعد ما الزبير باشا ود رحمة مشى مصر خلى ولدو سليمان في العقاب وبقي وكيلو في كل حاجة.. ومعاه أقاربه ورابع الزبير وعدد من ناس شورته، وكان لسة البازنقر قاعدين، والبازنقر ديل جيش الزبير ودرحمة.

حاج الماحي دنيا والله وسمحه خايلة فوق الزبير الملك واجاه يستاهل الباشا وعليهو ماشة.

واصل عبد الواحد: لمن الزبير باشاجاتو خبرية إنو سليمان اتمرد كتب لي ولدو إنو ما يتمرد على الحكومة والزبير باشا ما مطلع على النية السودة بتاعت أولاد الخديوي والإنقليز وعازين ينهوا قصة الزبير باشا نهائي، أولاً مسكوهو ونفوهو هو ذاتو وولي جبل طارق.

عبد البين: الحصل دا كان واضح ليه الزبير ما قام عليهم قبال ما يتعشو بيهو.

حاج الماحي: العارفو الزبير ما كان طمعان في ملك كان تاجر وبس...

عبد البين: كلامك صاح آدرويش وضحكوا كلهم.

عبد الواحد واصل وقال: وكتلو ناسو والفضل اتفرتق بين البوادي ماطلع منهم لا رابح ود الزبير الي رفض يهادن الحكومة وطلع بي جماعتو غرباً وفتح وادي.. في الوكت دا كان الحكمدار غردون باشا الإنقليزي الغتيت، واستمر بيحكى وقال: غردون عمل حاجتين كعبات لسة بنعاني من آثارها، هن أول بي التبادي قال أي جلابي ولا بحاري يلقوهو في بحر الغزال ولا جنوب دارفور يكتلوهو، ومالو حلال أو يسلمو الحكومة.

الكلام دا قالولي شيوخ القبائل والعمد والمديرين وناس حكومتو.. وكان قصد غردون إنو ماعايز اختلاط بين السودانين ولمن في فترة الحكم البريطاني عملوا سياسة المناطق المقفولة وكلام كتير بي اسم محاربة تجارة العبيد والغرض الصراع الديني ونشر المسيحية وقطع سيرة الإسلام واللغة العربية في الجهات ديك.

عبد البين: ما علينا نرجع لي حكوتنا.

عبد الواحد: أهأا وقعت حوادث رهيبية، ماتوا ناس كتار نتيجة لتغير غردون للأهالي في دارفور، عرب وزرقة ضد البحارة وودي استغلوها النهابة

وقطاع الطرق وارتكبوا فظائع رهيبة ما بتتحكي، ودي واحدة من أسباب الجفوة بين المكون السوداني تاريخياً، لكن شايف تجاوزها الزمن.

حاج الماحي: ودي جابت غباين كتيرة وأثرها كبير والعرب والزرقة أهل ونسابة وبلمهم الدين والبلد وأي روابط حلوة بس زي ما قلت الاستعمار والنهابة والحرامية والانتهازيين هم السبب.

عبد الواحد: هو اللي جاب الفرقة بين ناس البلد وطبعاً دي برضو منسية. غردون ملعون واستحق مصيرو الأسود، وهو أول من دق إسفين في نفوس الناس لأنو انتهازي، وجاب انتهازيين زي ناس شواطين باشا وجسي وليبتون وأميين باشا وإبراهيم فوزي، كلهم حرامية، كانت بتهمهم مصالحهم واليحرق يحرق.

واصل عبد الواحد وقال: لكن بالرغم من البشاعات كانوا في ناس عاقلين لموا أخوانهم وأهلهم، وما غلطوا فيا لبحارة أو الجلابة واحترموهم، والحرامي والعايز ينهب نهب، العايز يكتل كتل، أصلو كانت فترة صعبة في تاريخ السودان. أصحاب عبد الواحد كلهم مندهشين ويتحوقلوا ويلعنوا في قرارات غردون اللعينة اللي خربت البلد وما قدمتها أصلو.

عبد البين: يستاهل على الرغم من أي ما بحب المهديّة وخبرها، أهاا في القعدة ديك في ناس عارضوا غردون وحاربوه، لكن الثابت إنو غردون كان زي الهمبول لا بجيب لا وبودي، وبقت حجوتو حجوة لمن كتلو هو.

عمك عبد الواحد قاطعهم بصوتو الحاسم، وقال: ياخ أي حاجة عندنا في البلد دي هلال مريخ شنو القصة، خلونا نحكي الأحداث بدون تأثير مننا ونخلي البقروا والبسمعوا يطلعوا بي رأيهم براهم.

(3)

واصل عبد الواحد، وقال: غردون الحماقة الثانية اللي عملها رسل جيش بقيادة جسي ودا واحد من قوادو المكارين عشان يحارب سليمان ود الزبير، وفي الوكت داك كان سليمان بك ود الزبير باشا سلم ليهو ومعا هو حسن ولد زقل ومنصور ود الحاج وأحمد ود إدريس وإبراهيم ود الحسن وديل قرائب الزبير من الجعليين الجميعاب ناس الجيلي.

واصل وقال: ومعا هم الأرباب محمد ود دياب ودا من الجعليين السعداب وعبد القادر ود إمام وبرنجي الأسود، ودا من قادة الزبير الشجعان يعني الموضوع بتاع حرابتهم انتهى زي ما جاء في كلام الزبير ود رحمة ليهم، وقرروا يرجعوا لي تجارتهم وحالهم القديم.

كلام زين يا حاج عبد الواحد المعنيانو دي نهاية ملك ود الزبير وسلم المشكلة وين قالها حاج الماخي.

رد عبد الواحد: المشكلة في حقد الخواجات ولعبهم بي ضيلهم خلينا نواصل.

قال عبد الواحد: أهأااا جا سليمان بك ود الزبير وناسو الكبار وديل القواد جوالي جسي وبعد الأكل عزمهم قهوة وقعد معا هم شوية، وهو ناوي الشر، وطلع منهم برأجوا العساكري وراهو طوالي قبضوهم ووقفوهم صف في خور وأعدموهم فوراً في عملية غدر بأمر من الغردون شخصياً ماقتليكم الزول دا قلبو أسود.

عبد البين: وباقي رجال سليمان شن بقى عليهم.

عبد الواحد: باقي القواد اللي ما جوالي جسي الغدار اتفرقوا في الفرقان عرب دارفور قبضوا فيهم مجموعة وسلموهم لي الإيطالي مسيداليه حاكم داره وطوالي الطلياني نفذ فيهم إعدام سريع سريع.

حاج الماحي: لا حول ولا قوة إلا بالله الزول دا غدار فعلاً، الله يلعنو ويرحم
الميتين من المسلمين.

واصل الحاج عبد الواحد: وما مرق منهم إلا رابح ود الزبير ومعا هو جماعتو
الي أبو يسلموا للحكومة وديل مشوا غرب عديل وعملوا دولة أزعجت
الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا في تشاد.

والطريف بعد إعدام سليمان ود الزبير بي فترة جاء وفد من الضباط الفرنسيين
القاهرة، وقالوا لي الزبير تكتب جواب لي رابح الزبير يسلم لينا. طبعاً ضحك
وما اشتغل بيهم لأنو تكرر لما حصل مع ولدو بالكربون وطبعاً إلا يكون الباشا
عوير عشان يقول لي رابح سلم نفسك ومغصة نصيحتولي ولدو ما بردت لسع.
حاج الماحي: إت يا الحاج عبد الواحد الخواجات ديل مرات بفكروا كيف
ما تعرف غايتو.

عبد البين: دا بيكون من مريسة الجن الي بشربوها.

رد عليه هو الحاج عبد الواحد مؤكدا مؤكدا والجميع قدام الدكان أخذوا ليهم
ضحكة بصوت مرتفع.

أها يا جماعة جيتكم في المربوطة ومحل ما عايز أقص القصة قالها عبد الواحد.

عبد البين: وانت يا حاج عبد الواحد المعنى لسع ما حكيت بعد الفظايح
دي والكلام الي بيجنن ياخ والله حكاية.

حاج الماحي: خلوه خلوه يواصل ورانا شنو لسع الصلاة عليها زمن.

(4)

أرجع بيكم حبة..قادة جيش سليمان كان معاهم حريمهم وشفعهم وماكان
عددهم حبة، وهن بنات العز وزوجات الطبقة الحاكمة ذاتها في الوكت داکومنو
الكان زيهم.

أهااا النسوان الي أعدموا رجالن أو الي كتلوا رجالن بالغدر جيش جسي
باشا ومديري المديریات الغربية والوشاة والنهابين، فجاة لقن نفسن بقن براهن
لا حامي ولا راجل قدامن دنيا واتفرقت في راسن ملك وزال.

جزء منهن بقن بيكن ويكتحن التراب فوق راسن و حار بيهن الدليل
المعني إنو البهجم عليهن بسوقن ولا بكتلن، وضلمت الدنيا في عيونن رجالن
كانوا الملوك وكانوا بي سيوفهم درقة ليهن في وش الزمان الشين والليلة هن
براهن والكل قاصدن..وأتمها عبد الواحد وقال: بالأخص جيش جسي وراهن
وبفتشوا عليهن عشان ياخدوهن سراري.

حاج الماحي: لاحولا ولا قوله ياخ كلام يوجع المصارين ماف زول مع
الحريم.

(5)

استمر عبد الواحد بيحكى لي أصحابو، وقال: في الوكت داک كانت العازة
بت إدريسحکامة جيش سليمان ود الزبير، وهي الفصيحة الغناية بتغني للرجال
الي كتلوهم غيلة وغدر.

ولو كان جسي باشا أعلنها حرب ما أظن تكون نهاية سلطان سليمان ود
الزبير بالطريقة دي كان حاربوا الحكومة ووروها الويل وسهر الليل، لكن
الغدر ما من شيم الرجال أصلو غايتوأمر الله وحصل.

واصل عبد الواحد وقال: أهااا العازة قررت الموقف سريع وجمعت قوتها ووقفت في نص النسوان وكربت توبا في نصها واتحزمت ومسكت سيفها، وقالت بي صوت ملان حماس.. هوي يا بنوت الدنيا قضت غرضا وأنحن بنات رجال ما بنقعد نرجا العدو يسوقونا زي البهايم، نتدرع بي سيوفنا وحرابنا ونبطل البكاء الما بحل ولا بقدم، الموت حق قومن يا بنات وبقت تغني.

حاج الماحي: هيبيع أبشري والله فارسة عديل رد واحد من الحضور وتبسم الجماعة القاعدين في ضل الدكان وقال واحد والله يا الحاج حكاويك بالجد منسية وما مروية كلو كلو.

عبد الواحد قال العازة بت إدريس قالت للحريم: نقوم نمش سوا جماعة، ونخت الشفع في النص، والبلاقينا نموت معاهو موتة في حراية.

واصلت العازة بتتكلم مع الحريم وقالت: مافينا اللي بتنساق أسيرة ولا سرية ونمش سراع سراع وندقش الخلا والصي ماف واحدة تتأخر دادرب السلامة.

النسوان طاوعن كلاما وماكان في حل غير كلاما...العازة وهي بتغني ليهن لحدي ما ثبتت قلوبن وبقن ماشات داقشات الخلا على وين ما عارفات، لكن على دار صباح سراع سراع.. رافعات الحراب وماسكات سيوفن وشفعن معاهن ماشات في موكب حزين.

حاج الماحي: إت يا الحاج البلد ديك مالم ناسا ما بيقيفو مع الحروم، ولّا حكوتك فيها بواقى.

ضحك عبد الواحد وقاليهو: البلد فيها رجال وخير إلا جيش جسي كان سايط الواطة ومخوف الناس، وفي ناس كتار أكرموهن يا الحاج وقدموا ليهن الكثير.

(6)

لمن يصلن فريق من فرقان العرب في كردفان ييقفن النسوان بعيد يعانن ليها
يشوفن بي حرقة، وبتمش العازة بت إدريس وتكشف راسها، وتغني لي رجال
الفريق بي صوتها الجهور، أبشري أبشري حرم أمان.

وتحمس لحدي ما يجيوا ليهن الموية والأكل ويطلعوا الشباب يقدموهن
للفريق الثاني، وتتقدم العازة برضو لأنها الفارسة، وهي تراقب الطريق وتعاين
للحريم تنشط الفترانة وتلحظ للشفع برضو ما تفقد منهم واحد.

كلام عجيب وغريب يا الحاج ماسمعنا بيهو كلو كلو، واصل واصل يا
الحاج عبد الواحد والله دي محن.

واصل عبد الواحد وقال: من غنا العازة بت إدريس، وهي مصبحة على ديار
أهلها في السافل في الجيلي.

يا عمار الوادي وسادة البوادي

يا مجير الطيب من بطش الأعادي

ياسادة الأمة وقادة الأئمة

يا حماة الدار وستارين العار

يا موئل الخايفين وحماة المستضعفين

بحرمة داركم وموقد ناركم تأوونا

ونحنا الداخلين عليكم من السيف والحيف

نستحلفكم بالعرض وحرمتو والدين وغيرتو

وطالبات منكم الحماية من عدو ديننا ودينكم

كان تسمع الشيوخ والشباب والنسوان ابشرن ابشرن ابشرن، وترجع تتقدم مع النسوان.. ويقوموا ناس الفريق يوقدوا النار ويعملوا الأكل ويعالجوا الجريحة منهمن ويدخلوهن مع الحريم وياخذن راحتن.

هيبع فارسة وبت رجال والله وناس الحلال ما قصر وا معاهن تب، تم أالحاج قول قول عليك الله قالها عبد البين.

واستمر عبد الواحد وقال: العازة بت إدريس رابطة سيفها في نصها وكاربة حزاما تعاین لي الحريموترفع من روحن المعنوية لا خايفة ولا مكسورة فارسة وبت رجال وحكامه، إلا الظروف ختتا في الصعب والأصعب منو.

قال عبد الواحد: من غناها برضو.

نحن بنات عرب عزاز وبنات قبايل ليكم فينا

الأمات والعمات والخالات وانتو عرب

تحموا الخايف والطريد الطاشي

والعدو إن جاكم تحموه

جيناكم طالبات حماية

كتلوا رجالنا غدر وجناية

ارفعوا عنا الظلم والعوادي

(7)

كانت تغني بصوت حزين، لكنو قوي وواضح يستفز الكل ويخليهو عايز
يقدم ليهن أي خدمة.

كانت العازة بتغني ويدها في مقبض السيف البشوفها يحن عليها، وعلى
النسوان المعاهها، ويخاف منها، روحها كاره وكرهانة أي حاجة، وممكن تداوس
عادي في سبيل النسوان والشفع المعاهها.

لحدي ما قطعت دار حمر ومسيرية وبلاد دار حامد أكرمهن كرم جد
وحموهن عرب وزرقة..ياهم أهل السودان رجال وفراسة ويحموا الضعيف
ويقيفوا في رأس الضيف.

من غنا العازة أيام كان الزبير ود رحمة وبعدهو ولدو سليمان بتغني بتقول:

قوم يا محمد شدوا ليك العاتي

قوم يا محمد اعدل الخاطيء

قوم يا محمد قول يا فاطنة هاتي

كانت بي غناها تخلي الما بحارب يفور في الواطة، وكانت النسوان المعاهها
أمنات ومطمئنات..الليلة خايفات من جيش جسي وراهن بيكوس فيهن وهن
ماشات لي دار صباح، وهي ماشة تغني:

ولد حدباي كريم ما كرم بلاصة

كريم برحم العدمان الايدو يابسة

كريم يدي المسكين مخلوفتوا كابسة

كريم يدخل العوجة الفرسانه لابسة

ما نمام ما مسك الحرص في بالو
ما كضاب بيسمع حديث من قالوا
يتبسم وكت العدميصفالوا
ايدو مساعده للعطا البستر حالو
كم يا سليمان شدولك على المبتور
ويدك يا اب نفل تفعل قدر ما تدور
كم كمل عيال الميري والمأمور
كم كمل عيالا فوقا الخربة تدور
كم كمل عيال مصر واستطمبول

(8)

وقال عبد الواحد: تبقى العازة واحدة من الأعلامالسودانيات الي ما خافن
من العدو وجيش جسي ولا ضلام الليل ولا مرافعين الخلا لحددي ما وصلن
الجيلي حلة الزبير ود رحمة ما عليهن إلا التعب وغبار الطريق وحزن السنين.

في الوكت داك كل السودان كان بيعني ضد الترك،ويقولوا:

حالي حال العدو المسكين
حالي حال البهم اتكوو للسكين
حالي حال الملسوع جرب سموم التعابين
وحالي حال البنية لمن جناها يبين

في الوكت داك كان كوركت مرة عبد الواحد الحاج وين الصلصة والبصل
والزيت أنا ما منتظراك لي زمن شوفو الراجل بيحكى في الضللة.

عبد الواحد نطّ فوق وقام على حيلوأي جايي يا الحاجة جااايي.. عمك
عبد البين: قاليهوا أقعد احكي.

عبد الواحد رد سريع: إت عوير جيش جسي كبس ولبس مركوبه وشال
أكياسه ولا خلي بالو للرجال البضحكو وراهو.
هييع الأسد مرسل.



سرقة كنوز الكنداكة أمانني شاخيتي

جوزيف فرليني

سرقة كنوز الكنداكة أماني شاخيتي جوزيف فرليني

عبد الواحد قال في بحثة سوداني اسمو الطيب أحمد محي الدين كتب كتاب مهم ومنظم عن تاريخ مروى القديمة في السودان، وأهمية العمل أنو جاء بي كلام ما مسبق مع مراجعتو لي كثير من النظريات والآراء حول أصول الملوك والكنداكات والعادات والأديان والصناعات المحلية في مملكة مروى.

عبد البين أضاف لي كلام عبد الواحد بأنو تاريخ مروى ونبته وعلوة وقصص خراب سوبا والعنج لسع فيهو علات كثير ما اتحدد بالتفصيل لسع، وعائز جهود كثيرة ودا كلام كويس.

لسع يا حاج وضح والله أنا بتلخبط في التاريخ القديم إلا النضمي بتاع الترك والأنصار بعرفو من حكاويك، لكن كراكة دي شنو سامعها كترت أياها الكراكة سيدي الأراكالي في الغنية ولا الكان دكا سامع بيها ورينا قالها حاج الماحي، وهو بيتسم وعيونو بقن صغار.

ضحك الحضور على حاج الماحي لمن قال كنداكة ولا كراكة.

عبد الواحد: الكنداكة صفة للملكة في السودان القديم وزى ما تقول اسم احترام في كنداكات كتار حكمن زي أماني ريناس وأماني شاخيتي وعيبك، وكانن حاكمات، وماف راجل ود مرابعارض، ولا بقول بغم، ضحكوا تاني.

(2)

الطيب بيحكى لي قمييز وحسين عبد المولى في بيت العزابة بتاعهم، والبيت عبارة عن صالون جالوص متهالك وأغلب السراير متكلتة بي حجار.

الطيب أحمد وهو شايل نسخة منكتابو مروى القديمة، وقال: زي ما عارفين إنتو السودان هو أرض الذهب وكانت مروى من غناها بتقييد المساجين بي سلاسل الذهب، ودا معناهو إنو الملكات الكنداكات كانت عندهن كنوز كبيرة من الذهب والماس والجواهر والنفائيس، وزي ما عارفين أنو الملوك والكنداكات كان عندهم اعتقاد في العالم الآخر عشان كدا بيدفنو معاهم حاجاتم اللي ممكن يمشو بيها الآخرة ومنها النفائيس دي والجرار والفخار والخيول والعبيد والعربات والمجوهرات اللي ما بتقدر بي تمن وكل حاجاتو.

سألو حسين عبد المولى وهو من أصحابو المثقفين وتاجر متجول في كتير من المرات ورسام وقاص وكاتب وهلمجراو صاحبو قال ليهو: طيب الكنوز والذهب اللي بيندفن مع الملوك ما بيكون عرضة للنهب بتنجو كيف من السرقة.

قمييز دخل خشمو وقال: أصبر ياخ والله انت لو اشتغلته نهاب قبور أثرية كان خليت تجارتك الفضيعة دي.. وضحكوا في سعادة.

الطيب قال: فعلاً بتحدث عمليات نهب كتير وكبيرة من ناس بسموهم حرامية الآثار ونهابي القبور، وديل بيقيموا بي البحث عن المواقع الأثرية، وبطلعوا حاجات قيمة عشان يبيعوها والمصيبة إنو الآثار دي ما بتسجل علمياً، عشان كدة حضارتنا ما مياخدة سمعة الحضارة في مصر.

قمييز: كدي خلي الكلام الكثير عارف ليك حالة بتاعت سرقة عدليل كدا.

حسين عبد المولى: أي الزول دا إن خليتو بتكلم براهو بحلج أحسن ناخذ قصة محددة ولّا ذاتوو ورانا إيه مش فته البرقاوي دي بناكلها أحكي ياخ.

(3)

عبد الواحد قال: الطيب في كتابو كتب إنو في منطقة النقعة والمصورات اللي بتقع في مروى القديمة جنوب شندي في أهرامات بيقلوا عليها الطرابيل بي عاميتنا، ودي في فترة الغزو الخديوي المصري المسمنو كضب ساالي بالتركية السابقة كان في جيش اسماعين باشا ود الخديوي عدد من الأجانب الخواجات الحرامية، جو معاهم كمستشارين للحملة في السودان.

الحاج مصطفى جاب كرسيهو وقعد، وقال: الشيء شنو أولاد محمد علي باشا جنهم تلقط للأجانب براهم ما بيعرفوا لي شغلتهم.

ياخ أسكت ديل البشوات والأغوات مش زي ناسك ناس المرقع والجهادية قالها عبد البين.

عبد الواحد: خليك معاي وتكمل الموضوع وبعدين نشوف الكلام شنو.

واصل عبد الواحد: كان ضمن حملة إسماعين ود الخديوي محمد علي باشا عين عدد من الأجانب، عايز أركز على اثنين حرامية أولاد كلب عملو عملة ما كويسة، وإن ما جيش إسماعين جاء السودان ما كان بيعملوها خالص خالص. حاج الماحي: قاليهو عملو شنو أولاد أم زقدة، ما ملت فيهم حراب الأنصار تنجمم وتلحقن أمات طه.

عبد الواحد: الناس ديل جو مؤجرين عشان يساعدوا في احتلال البلد ويورو إسماعين ود الخديوي كيف يقهر شعب السودان ويدعي إنو جاي فاتح باسم الخلافة الإسلامية لي بلد مسلمين زيو وديل مجرد مرتزقة في الأصل عشان كدا ممكن تتوقع منهم أي حاجة ياخ.

(4)

قمببز كان سأل عن حادث مشهور وقع في البلد وعن نهب الكنوز السودانية، وقال بي صوت عالي ومتغير: شوفوا أصلو الكنوز دي بتحرسها الشواطين.

رد عليه الطيب: شوف الجماعة العملو الكلام البقولو معروفين هم الدكتور فرليني الإيطالي وبيقولو ليهو فريني وصاحبو ومعاونو إستيفاني وديل جو مع الحملة بتاعت إسماعيل باشا معاونين.

حسين عبد المولى قاليو: أهاا بتذكر كتبت في المسودة بتاعت كتابك دا كلام جا فيهو الآتي (الطيب الإيطالي الذي سطأ على كنوز أماني شيختو، جوزيف فرليني، ولد في يولونا. رافق فرليني كطيب حملة محمد علي باشا إلى السودان سنة 1821م. كان فرليني مطلعاً على كتابات المؤرخين اليونانيين القدامى، الذين أشاروا إلى الثراء الهائل لمروي. ذكر هيرودت «كان الأسرى في مروي يربطون بقيود من الذهب. الحديد هنا أعلى من الذهب». في عام 1838 مأخذ فرليني إذناً من الحاكم المصري للسماح له بتنقيباً ثار مروي، اختار فرليني الموقع الأثري لمدينة ودبانقا الكوشية، حيث يوجد بها قصر مروي مع العديد من الصروح الأخرى. إلا أن أعماله لم تكن موفقة هناك. ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينتي النقة والمصورات الصفراء. وصل فرليني ورفيقه وستيفاني إلى النقة من ودبانقا، في مسيرة على الأقدام استغرقت ثماني ساعات) ما يهو القاصدو يا الطيب دا قريتو ياخ خش في الموضوع.

قمببز رد عليهو: والله بقيت مثقف تجيبها بالنص كمان ياخ ماكان تورينا عملتوها والله وضحكوا.

واصل الطيب وقال: كانت الكنداكة أماني شاخيتي واحدة من حكام مروي وكانت قوية ملانة قروش وذهب إضافة إلى أنها مهابة وشخصيتها متفردة.

بنت القصور والمعابد اللي بقت خرابات في منطقة ود بانقا. ولا من ماتت دفنوها في هرمها الكبير في مروى القديمة اللي هسع بنسُميها نحن البجراوية ودا واحد من أكبر الأهرامات اللي بنيت عموماً. تظهر الملكة وهي ملانة بي عدد كبير من الحلي والمجوهرات، وشايلة سلاحها تكاتل في أعداء مملكتها كان في الشمال أو الجنوب قالها الطيب وبعدها سأل أها العشاء كيف يا ناس؟

(5)

قال طيب قال لي جماعتو حسين وقمبيز وهم متحلقين حول العشاء بعد يوم مضمّن من العمل قال الطيب: كانت ود بانقا الهسي دي الجنب شندي كانت في قمة ازدهارها وكانت من أهم الموانئ النيلية بعد ميناء مروى يعني مشرع من مشارع نهر النيل.

قمبيز قاليهو: أهااا اصل القصة أصلك لمن تلقى موضوع تتجدع فينا والعجب صاحبك حسين شاعر ومغني وممثل وخطاط وكهربجي وعاشق وكمان بائع متجول.. ضحكوا من كلامقمبيز.

حسين قاليهو خلاص يا بنشرجي الطيارات انت واستغرقوا في الضحك.

رد عليهو الطيب وهو يمضغ ما في خشمو بهمهمة غريبة زادت من ضحكهم.

وقال بعدها: موقع ود بانقا أساساً كان ميناء مهم لأنو بتميز بي موقعو الرابط بين البطانة والنقعة والمصورات والبجراوية وكمان بإطلالته على ولايات وطرق تجارة مروى الجنوبية.

واصل وقال: أهمية الموقع أيضاً كميناء يمكن استنتاجها بقربها الوثيق بمدن النقعة والمصورات أعلاها مباشرة في البطانة المروية. يمكن تصور ود بانقا باعتبارها موقع إقامة ملكية تاني بعد مروى طالما أن مروى وودبانقا فيهن وحدهن أكبر القصور الملكية في مملكة مروى القديمة.

(6)

الطيب بدا يتكلم عن مناطق النقعة والمصورات وود بانقا وإقليم شندي، وقال موجه كلامي قمييز: منطقة إقليم شندي كانت عبارة عن غابات في الوكت داك ما كانت صحرواية زي هسة، وفيها أنواع كثيرة من الحياة البرية والدليل إنو في النقوش والرسومات الجدارية والتماثيل في أشكال للعديد من الحيوانات البرية زي الأسود والنمور والأفيال والثعالب والغزال وغيرها.

قمبيرز رد عليه قاليهو: صاح في الإله الأسد أبادماك وغيرها من التماثيل بتاعت الحياة البرية بتدل على إنو المنطقة كانت غابية والي بتمثل رمز قوة مروي في متفق معاك يا حبوبة عجوز والله بي كترت نضمك إلا جابداك حبوبتك بت بجوك.

حسين قال: وطيب يا إنشتاين لو في أسود ونمور وبعايعت زي دا الحرامية أقصد فريني واستيفاني حرامية الآثار الجو مع الباشا كيف بتحركوا في المنطقة دي.

الطيب قال وهو بشرب في الموية وبعد ما قعد: ويذكر فيرليني إستيفاني عملو احتياطاتهم من الأسود اللي كانت كثيرة، وتتجول في إقليم شندي، وكمان قالوا إنهم لقوامعبد جميل مغطى من برة بالنقوش الواضحة وأعجبوا بيهو.

فريني قال إستيفاني: بس هنا بنلقى الذهب في المعابد والأهرامات، وإن لقيناها هو ياهو الغنى لي جنا الجنا.

إستيفاني: المعبد دا شكلو حق ملك عظيم لكن عايز أقوليك العرب ديل لازم ما يحسو أنحن عايزين نشيل الذهب والمجوهرات لازم يقولولي أهلهم دا شغل الباشا.

فريني: أيوة خليك حريص خالص.

فريني قال: لقينا المعبد مغطى لي نصوبي رملة وأنحن زحينا الرمال من جهة الشرق، وحاولت أشوف الباب بي وين مدخل لكن أصلو ما لمينا فيهو

استيفاني المعاي قالي: ياخ إلاب من فوق لكن برضو كان قرار صعب لأنو الحر والعطش والمرض وسط العمال وقلت أحسن نرجع لي حلة ود بانقا.

(7)

بعد رجوع فريني وإستيفاني لي حلة ود بانقا بعد تعب شديد من الرمل والحر اضطروا إنويغيروا العمال ويقوموا بي عمل جديد وهو مداهمة الأهرامات واختاروا أكبر هرم هو هرم أماني شاخيتي كنداكة مرووي القديمة قالها عبد الواحد.

الحاج الماحي: المعني الذهب جوة الطرايليل.

عبد البين: اسم طرايليل دا حق ناس شندي اسمها أهرامات مرووي القديمة من قبيل الناس دي بتنضم في شنويا حاج الماحي.

واصل عبد الواحد وقال الطيب في كتابو قال: (انتقل فيرليني إلى موقع مدينة مرووي العاصمة، هناك اختار تفكيك هرم الكنداكة أماني شاخيتي في الجبانة الشمالية. بلغ ارتفاع هرم شاخيتي ما ينوف عل الثمانية وعشرين متراً، بأربع وستين درجة. استأجر فرليني أربعة عمال محليين، شرعوا في تفكيك الهرم من أعلى إلى أسفل).

فريني قال وهو بيحكى عن القصة: في روايته التي نشرها بالايطالية إنو استيفاني ناداه فقام بي سراع وتسلق الهرم، وهنالك وجد واحد من العمال العرب بتاعين ود بانقا فوق في راس الهرم ونايم على بطنو.

قمبيز قال للطيب: أها يا أنشتاين واصل.

الطيب ضحك وواصل كأنو ما سمع قمبيز، وقال: من فوق سطح الهرم انكشف عن فتحة بتودي لي جوة الهرم. كان العمال في اللحظة دي يحاولوا جر زميلهم العامل عشان يخش جوة الهرم.

أها الخواجات ديل لمن شافوا الكلام طوالي طلوعوا مسدساتهم بقي فرليني واستيفاني بهمهموا وعيونهم زي الكديس اللقى حلة لبن وعايز يهجم عليها، وقالو للعمال انزلوا من فوق الهرم واتخرجوا ودي قروشكم كاش حسب الاتفاق. كتب فرليني (بمجرد إزاحة الكتل الحجرية، ظهر مشهد لغرفة مستطيلة الشكل، تتكون جدرانها من كتل صخرية مشدبة، توازي درجات الهرم الخارجية. ارتفاع هذه الغرفة يبلغ نحو خمسة أقدام مربعة).

ودي كانت اللحظة المنتظرها الحرامية ديل وما كانوا عايزين العرب يعرفوها كلو كلو، ولا يحسو بي حاجة على الرغم من أنهم كانوا مرتبكين خالص.. قالها عبد الواحد بي حرقة وأسى.

وواصل، وقال: العمال العرب طالبوهم بي قروش شغلهم وأدوهم قروشهم طوالي والعمال خلوهم في الخلا ومشوا في اتجاه حلة ود بانقا قالها الطيب أحمد لي حسين عبد المولى ومتعجب من تصرف العمال.

حسين عبد المولى: دايمنا الناس البسيطين بفكروا بي طريقة بسيطة ياخ، يكون قالوا الخواجات ديل إن حفروا لي السنة الجاية ما يلما في حاجة خلوهم ياخ.

قمبيز: شوفوا الطيبة والعوارة ما بتنفع ود الخلت تاريخنا لسع مجهول أنحن شغالين حكي وقصص شوفوا المصريين بيرجعوا أي قطعة أثرية يعرفوا مكانها.

حسين عبد المولى: دا شغل الدولة والجامعات أول حاجة يورونا الحرامية ومكان عرض الآثار السودانية وين معروضة ياخ.

الطيب قال: اللفي الزمن البعيد خلو منو النهب كنز الخليفة عبد الله التعايشي بعد كرري واسع وبين ومنو النهب كنوز عليدينار بعد استشهادو المسروق مننا كثير والله، ودا عايز مبادرات شبابية وحكومية.

قمبيز: والله الراح من ذهب حبوباتنا كنوز كثيرة.. واستغرقوا في الضحك بي حماس .

(8)

الطيب قال لأصحابه في بيت العزابة: كانت الغرفة الجنائزية المقر الدايم لأماني شاخيتي كانت فيها كل حاجاتها الدفنت معاها في داخل الهرم الخاص بيها.

فرليني لحظة دخوله لي هذه الغرفة قال: (أول ما رأيت سرير عليه شيء مغطى بثوب من الحرير أو القطن. كان هذا كفن الملكة تحول القماش إلى هشيم بمجرد لمسه، وكان جثمان الملكة ممدد على سرير أو نعش خشبي، بأربع أرجل مشدبة ملساء أسطوانية الشكل. بجانب سرير الملكة عدد كبير من القطع الخشبية، المنحوتة بأشكال مختلفة، مع إناء برونزي سلطانية أو فازه احتوت على قطع أخرى ربطت بنفس نوعية قماش الكفن).

واصل فرليني وقال (الغرفة احتوت على عدد كبير من التماثيل والتعاويد ومجوهرات زجاجية ومن أحجار كريمة وأشياء أخرى كثيرة، تماثيل صغيرة وصناديق وعلبة معدنية وغيرها. إلا أن كمية كبيرة من الحلي الذهبية المشغولة بشكل رائع من الخواتم، وأساور والحجول، كانت مصنوعة كلها من الذهب الخالص).

قال الطيب: طوالي أعلن فرليني وإستيفاني تأجيل العمل للصباح، ولمن دخل الليلقاموا بفحص كنز أعظم ملكات مروى. سجل فرليني في مذكراته

لكن لحسن الحظ كان في عالم آثار بريطاني قرا كلام فريني عن الكنوز في الأهرامات اسمو ريشارد ليسوس، ولمن كان في لندن قرأ عن ما نساها وخلاها فرينيمن ذهب وكنوز في الأهرامات واعتبروا فريني مجنون وكضاب ودا هبط همم المغامرين الأوروبيين والباشوات والاعوات في جيش محمد عليباشا في السودان وكان أخطرهم، عثمان بيك الي خلى فكرة تدمير ما تبقى من الأهرامات.

واصل الطيب وقال: وبعدها جاء ليسوس يقود أول بعثة تنقيب بطريقة علمية منظمة. يذكر ريتشارد ليسوس الآتي: (شاعت أخبار عثور فرليني على الكنوز. إن العديد من الأوروبيين، دون ذكر الباشا بدأوا يفكرون بوجود كنوز هناك. حاولت جاهداً أن أقنعهم، بأن ما عثر عليه فرليني من خواتم ذهبية، كانت بين ركام فجوة الهرم، وليست في غرفة دفن الكنداكة أماني شيوختي نفسها. كان عثمان بيه قد عرض على قيادة عملية تفكيك الأهرامات، إلا إنني رفضت هذا وتمكنت من إقناعه بعدم جدوى دا. بالتالي انسحب الجنود دون الهجوم على الأهرامات).

(10)

حاج الماحي قاللي عبد الواحد: والله يا عبد الواحد دا الكلام المفروض ما يتنسي كلو كلو ومفروض نضغط على إيطاليا وألمانيا وفرنسا وأمريكا وأي خواجة إنو يعتذروا ويخجلوا من فعالهم، والله فريني وإستيفاني سرقوا جيوبنا عدييل حكومتنا حكومة الهناء سوت شنو في الكلام دا؟

عبد البين: ها حاج انتأكل رغيف حاف ولا كب ليك جالونين بنزين ولا جاز، حكومتنا هههه.

عبد الواحد: كلام حاج الماحي صاح دا من المنسي والآن ذكرتكم بيهو والتحف دي قاعدة الآن أسمع في كلامي وكلامكم في المتحف الألماني فقدت

منها المجموعة الرابعة في الحرب العالمية الثانية لمن الحلفاء دخلوا برلين أما
الباقى قاعد وممكن استردادها لأنها مسجلة باسم السودان الكلام دا بقى ما
منسى ياناس سمعتو.



كايو في جبل كلغو

كايو في جبل كلقو

(1)

الخواجات أبان برنيطة جو السودان رحالة ومغامرين ومعاونين للاستعمار أو باحثين عن الثراء والشهرة والغرائب في السودانفي القرن الثامن والتاسع عشر وطمعانيين في خيرات بلدنا قالها عبد الواحد وعليه آثار انبساطة، كان عبد الواحد بيحكى وهو مستمع بي القعدة مع أصحابو.

واحد من قرايبو في الحافلة: ياخ ديل وثقوا لينا وعن الحياة السودانية

عبد الواحد: ديل في النهاية انتهازيين ومحتلين وطبعاً ديل كتار خالص، وفي ناس عملوا كتب وشهرة كبيرة وكانوا بيحكوا عن بلدنا بي الشافوهو ولا السمعهو ولا من مقابلاتم ولا من راسم ساي لي سودانيين في الوكت داك. عبد البين قال وهو بيصلح في عمته الكبيرة: شوف يا حاج عبد الواحد أنحن من طلعا الخواجات ما مشينا متر.

عبد الواحد: العيب فينا ما هم كويسين، هم حرامية وقتلة وأولاد سفلة.

كانت أوروبا داخلية في عصر النهضة والمعرفة بعد نوم وجهل وحروبات واصل عبد الواحد في الحكاوي واعتبروا أنو العالم بتاعنا ما مستكشف على الرغم من أنو في حضارات أقدم وأرسخ زي الفراعنة والنوبة والحبش والصينيين وغيرهم، كانوا متطورين خالص خالص وعندهم منجزات كبيرة، جزء منها لي يوم الليلة ما اتعرف سر وولا فكو تلامسو.

إت يا عبد الواحد الرحالة ديل ما قاعدين مبسوطين مالم بحبوا الشقاوة هههه، ضحك صاحبو عبد البين.

شوف يا عبد البين الرحالة ديل كانوا بورطوا نفسهم في متاعب ومصاعب كثيرة وكانوا بغامروا عشان الواحد يرجع ويحكي قصص زي مقال الطيب صالح لمن مصطفى سعيد بيحكي للبت الخواجية الحلوة عن النيل والسودان في موسم الهجرة للشمال قالها تكون نايم في عنقريبك تداعب موية النيل بي يدك تهبش التمساحو تمسح ليه ضهرو غايتو جنس محن والأسود والأفيال في الشوارع والغابات والمطر وضحكوا كلهم دي فكرة كثير من الخواجات عن بلدنا وكان داردو على سؤال صاحبو عبد البين.

واصل وقال: الرحالة الجو هنا نقلوا صور ومشاهد بقت راسخة عن بلدنا، فيهم ناسآمينين، كتبوا الشافوهوا وناس كضابين قالوا نحن من أكلة لحوم البشر ومتوحشين ومتعطشين للدماء وأولادأم زقدة ذاتوووو.. قالها معاها ضحكة.

لكن والله قصص يا حاج عبد الواحد مالم علينا الناس ديل عشان يقولوا علينا كدا.

(2)

قالت الحاجة وهي بتقطع في البصل وتجهز في حلتا كدي أدينا واحد منهم ويكون زول حقاني وعندو قصة عليك الله يا المبروك.

كويس بحكي ليكم عن واحد وصل لحدي ديار الفونج في النيل الأزرق. اسمو فرديك كايوا احفظوا الاسم دا كويس.

أها ود كايو دا فرنساوي أبيض طويل مهووسو كان عالم بكتب في الآثار والتاريخ وجاء مصر لقي الخديوي عايز يحرك جيشو للسودان، وما صدق طوالي طلبانو يمش مع الأمير إسماعيل باشا للسودان.

على أساس إنو رحالة وعايز يزور المناطق الأثرية ويكتب عنها، ويسجل
كمان خبر الجيش ومقاومة الأهالي ويوصف بلد للفرنسيين اللي معلوماتهم عن
السودان ضعيفة خالص خالص في الوكت داك وأهو فسحة وفرجة وشهرة
وضحك ضحكة مدوية وضحكت معاهو مرتو وحفيدو.

أهاا بقى يكتب عن آثار النوبة في الشمال ويوصف الأرض والمواشي
والمحصولات والمنقولات والناس والكنائس القديمة كلو كان يكتب
عنومفكراتو، وكان مستمتع بي صحبة الباشا والخدمات والاحترام اللاقيهو من
جيش الباشا.

لحدي ما دخل دار الشايقية وحكى عنهم وعن بلدهم وأسباب مقاومتهم
ووحشية جيش إسماعين باشا اللي كانوا بيقطعوا اضنين الأهالي ويجمعوها في
سلوك من النحاس ويرسلوها القاهرة للباشا دلالة على نصرهم المؤزروقمعهم
لأهل السودان، وكان الخواجة فردريك كايو قرفان لكن فرصة الحماية والبحث
اللي بتوفرها الحملة كانت حلوة وفرصة ما بتعوض خالص.

(3)

عبد الواحد قال لي أصحابو في قدام دكان حاج الماحي: كايو كتب عن معركة
كورتى ضد الشايقية وتسليم المك نصر الدين الميرفابي ودخول شندي وتسليم
المك نمر والمك مساعد ودخول الباشا قري وتسليم مك العبدلاب ناصر اللي
كان عجوز ووصف قري.

حاج الماحي: المعنى الفرنساوي ما خلى حاجة ما كتبها.

عبد البين: يا حاج الماحي الزول رحالة ومغامر ما بفوت شاردة لكن
بعجبني شغلانية الخواجات بنجضوها تمام التمام.

عبد الواحد: صدقت الزول دا دقيق في الوصف وكتب عن النقعة والمصورات ومناطق الآثار لحدي دخول الحلفايا، والوكت داك الخرطوم غابة ساي، الساكنين كانوا في مناطق محددة، ومشى مع الباشا لحدي مدني وسنار واستسلام الملك الأخير في سنار للباشا واحتلال السودان ودخلوا في طاعة الباشا.

استمر عبد الواحد يحكي والجميع منصتين ليهو: أهأا لأنو الباشا جايي عشان الذهب اللي في بني شنقول ودار الفونج الي الآن النيل الأزرق وداير العبيد والرجال حسب فهمهم.

كان عليهو أنوي سير حملات ووصل أخوهو الباشا إبراهيم ود الخديوي محمد عليودا ساق حملة وصلت لي جبل موية واتجاوز لي القرابين ودي قرية صغيرة غرب مدينة الدمازين الحالية، وطبعاً الدمازين كان اسمها في الوكت داك أبو رماد الغربي، واطة دلجة بزعوها ناس الروصيرص.

واصل وقال عبد الواحد: لمت في الأمير إبراهيم الدوستتارياتعب تعب الموت وما بهمنا كان مات ولا إتعالج لأنهم حقارين وظلمة، عذبوا الناس، وبعدها رجع لي مصر مستعجل وبقيا سماعين باشا متحكم، وكان لازم يتم مراد أبوهو الخديوي ويجيب العبيد والذهب بي سراع.

حاج الماحي: ديل الترك اللي بتشكر فيهم يا عبد البين.

عبد الواحد قال: قول ياسيد الامنتي ليكالباشا ساق حملة فيها مدافع وجيش وقال ماش دار الفونج ودي قصتنا هنا.

عبد البين: والله كلام، هو الباشا حصل دار الفونج كمان؟

عبد الواحد: بالحيل حصلا ود مربط العجيل الجاي ليهو وحتت الحكوة المنسية ذاتووو.

واصل عبد الواحد كلامو: كان قاصد فازوغلي عديل وفازوغلي واحدة من المشيخات القوية من مشيخات بني شنقول المعروفة وفيها جبل أصم كبير في الضفة الغربية للنيل الأزرق والجبل دا بتشاف من بعيد خالص.

الشارع كان ملان بي الشدر الكبار من الهجليج والهشاب والتبلدي والقفل والقش المرات بيكونأطول من الزول، وما في طرق معروفة يمكن المشي فيها ولأنو الجيش كبير وكثير كانت حركتو بطيئة جداً بسبب العوائق زي الخيران والأودية والجبال والشدر وغيرها، إضافة لي الحيوانات المفترسة يا حاج الماحي.

حاج الماحي: وين يلقي الدرب البلد ديك بعيدة وشجرا شابك ودربا صعب خلاص والما بعرفا بجهلا أسالوني أنا مشيتا.

عبد الواحد قال: الأخطر من دا كلو كان الأهالي غير متعاونين مع الحملة، وكان الجيش بيهاجم القرى والحلال ويقتل وينهب ويأخذ الشباب رقيق ويقتل النسوان والشفع والبنات الصغار، وكان بجمعوا الاضنين في وحشية ماليها مثل في أي مكان في الدنيا.

في أثناء الحديث جاء الحاج مصطفى وقعد يسمع في الونسة وبدون ما يقاطعو، لكن قصص الوحشية خلتنو يفتح خشمو، وقال مقاطع لي عبد الواحد.

مصطفى: لا حول ولا قوة ما قالوا ديل اللي بنوا السودان ووحدهو؟ كلامك دا في المدارس ما في دووت يا عبد الواحد.

رد عليهو عبد الواحد وقال ليهو: يا حاج مصطفى البحكى فيهو كتبوا فرديك كايو نفسوا في كتابو المشهور (رحلة إلى مروى والنيل الأبيض وما وراء فازوغلي وسط مملكة سنار وإلى سيوة وفي خمس واحات أخرى) كتبوا بالفرنسية واترجم للإنجليزية والعربية وترجمو الدكتور فضل الله إسماعيل ودا دكتور ليهو وزن وشنة ورنة وطلع لينا وفيهو منسية كتيرة عن الفترة ديك.

عبد البين: على اعتبار أنو كايو شاهد عيان على الحملة وعارف أهدافها الخبيثة برضو وكان عايز يبقى مشهور ويقول للخواجات أنا مشيت شقيت إفريقيا.

(4)

نخلي كايو يحكي شوية واستمتع بي الشاي والقصة أصلوا إنتو يوم واحد ماعصرتوا لي أي حاجة بلا اللبن والشاي مالقيت منكم عمار، وضحك عبد الواحد وأصحابو بي قهقهة عجيبة وغريبة.

كايو قال: وصلت أنا في معية الأمير إسماعيل باشا وجيشنا بعد ما سمعنا بي مرض إبراهيم ود الخديوي الي مسكتو الدوستتاريا، وكانت حالتو صعبة المسكين، كان راقدر رز ومرضو زاد عليه وما لاقى علاج.

سأل كايو واحد من أصحابو، وقال ليهو: يا كايو الباشا دا ما معاهو دكاترة كلو كلو؟

كايو: الدكاترة المعاهو بعملوا في المستحيل عشان ينقذوهو وكانت أمورو ملكلكة، وأنا بقيت أستطلع في الأحوال من قادة الجيش والخدم والزواج، وأهل البلد الي مسكوهم عشان يرسلوهم مصر كعبيد أو جنود في جيش محمد على العايز يعمل بيهو إمبراطورية توسعية في قلب أفريقية.

واصل كايو وقال: الزوج بقوا يحكوا قصص تقطع القلب والترك ما عندهم رحمة ولا شفقانين على الزوج كأنهم بتعاملو مع بهائم مش بشر، وأنا كنت متضايق من تصرفاتهم دي خالص خالص.

وبعدها التحركنا لي فازوغلي والطريق كانت فيهو قرى متفرقة للزوج وعرب كنانة الي كانوا بيحفروا الحفائر عشان قطعانهم تشرب منها.

يعني يا شيخ عبد الواحد عرب كنانة برضو كانوا مستهدفين من الباشا؟
سألو عبد البين: الباشا شال من قطعانهم برضو وضرب فرقانهم لكن النفع
ناس كنانة إنهم كانوا بعاد من مسار الحملة واللقوهو نهبهو زيو وزى الزوج.
رد عبد الواحد: نرجع نكمل باجماعة.

أها كان الباشا أجبر عدد من زعماء القبائل يرافقهو لأنو كان خايف لو
خلاههم وراهو يتمردوا ضدو، ومن ضمن الساقهم معاهو كان مك الشايقية
صبير وكان مرافق للحملة.

الباشا قال للمك صبير: يا صبير أمش إتكلم مع الزوج يستسلموا ويدفعوا
الجزية من الذرة أو مواشي ولا قروش.

صبير: يا باشا الناس ديل ما يعرفو القروش.

الباشا: المهم لازم يفهمو إنهم حايدفعوا الجزية.

صبير قال للباشا: سمعا وطاعة.

وماكان عندو حل غير يقول كدا للباشا لأنو المك صبير معاهو عدد من
الأعيان بتاعين القبائل، الباشا كان عاملم زي الرهائن في حملتو دي، مرق المك
صبير ومعاهو عدد من رجالو، واتكلموا مع الأهالي.

وجاء راجع قال للباشا: أنا مشيت يا سعادتو، واتكلمت مع الأهالي، وقالوا
ماعندهم ذرة وعيش أكثر من حلوقم ولا عندهم بهائم والعايز يعملوا الباشا
يسويه.

الباشا إسماعين ود الخديوي غضب وكورك وقال لي قوادو سوقوا الجيش
ووروهم أنا منو وود منو يقولوا لي كدا العبيد ديل والله أنتقم منهم، اتحركوا
سراع سراع.

أهالادي كانت الطامة وبداية عذاب الأهالي، سكان القرى دخلوا في الغابات ولا طلغوا الجبال، واتحصنوا بيها، وجيش الباشا ماش عليهم.

أول هجوم على أقرب قرية دخانها طار فوق وبقي بتشاف من بعيد وكتل تلتمية من الزنوج، ونهبوا أي حاجة ممكن يشيلوها وحرقوا الباقي.

الحلة الثانية ساقوا منها 170 أسير من النسوان والرجال وحرقوها وساقوا العايزنو من المواشي وكتلوا الباقي بالأخص الخنازير كانت كتيرة وربطوا الشعبة في رقاب الزنوج والأهالي المساكين.

حاج الماحي: الكلام دا كلو كتبوا منو ياهو زولك الفرنساوي؟

عبد الواحد: ياهو فريدرك ود كايو اللي كان مرافق للباشا.

وواصل عبد الواحد وقال: كايو بحكي لي صاحبو الخواجة المعاهوا، وقال ليهوا: دا كلوا وأنا بعاين لي وحشية الأتراك ديل لكن ما بقدر أتكلم لأنو الباشا راجيني لمن أرجع أوروبا أكتب عنو كلام يعجبو، وماعارف أنا بسجل أي حاجة فظيعة ولا كويسة بتحصل قدامي وكنت بنافق فيهو عشان أكتشف العالم دا، وكان الباشا كريم معاي عشان راجي مشكاري ليهو، وتطير شهرتو في الآفاق.

الباشا مبسوط إنو حقق نصر على المساكين ديل اللي عندهم حراب وكان بضرهم بي المدافع والرصاص، والكلام دا كان يوم 22 / 1821 / 12 م.

قريب لي جبل كلقو الشهير وجبل كلقو يقع شمال جبال الأنقسنا وغرب الدمازين واللي بتكون من سلاسل جبلية شاهقة الارتفاع.

(5)

قال كايو: قبال ما نصل الجبل لقينا وادي كبير فيهو شدر كبار وقش طويل والواطة فيها تربة حمراء فيها أو كسيد الحديد، وفيها صخور الكلام دا آخر حركتنا خصوصا الجمال المحملة بي الموية والأكل والذخائر والجارا المدافع وكان اجتيازو صعب للغاية، الوادي والغابة دخلناهم الصباح طلعتنا منهم الضهر عديل كدا.

سأل كايو واحد صاحبو، وقال ليهو: مع الباشا دليل يوريكم الشارع؟

كايو: أيوة كان في دلاء من الأهالي ماشينمعانا.

واصل كايو وقال: وأنحن ماشين فجأة ظهرت قدامنا مزارعالعيش من نوعبراهو ما زي حق باقي السودان والباشا قال الجيش يتقدم ويهجم على حلة وجبلكلقو.

وكلقو دي عبارة عن قطاطي مفرقة وناسا ما كتار ولا عندهم بنادق ولا خبر بي الحملة، لكن الخبر وصلهم لمن الجيش قرب عليهم، أظن في ناس هارين من القرى المحروقة كلموهم، وماكان عندهم فرصة غير يطلعوا الجبال، ويحتموا بيها من غدر جيش إسماعين باشا.

كايو قال: قبال ما الأهالي يهربوا داموهم الجنود بي سرعة كبيرة، وشالوا منهم أسرى كتار، وربطوهم في الشعب.

القوة المهاجمة الأولى من جيش الترك قايدا واحد اسمو الحاج حامد، وديل التفوا وجوا بي جنوب الجبل، وقوة عمر كاشف باشا هجمت من الناحية الشمالية، وحاصروا الجبل، وعينك ما تشوف إلا النور والنار، ولعت في قطاطي الزنوج المساكين والمغلوب على أمرهم.

جزء من الزنوج طلع الجبل وديل الشباب والقادرين يجروا، وكانوا ماهرين في التسلق بي صورة غريبة خالص.

(6)

القوة المتقدمة من جيش الباشا أعاقها الصخور من دخول القرية، ولمن خشوا جوالقوا النسوان والعجائز وحاولوا يسوقوهن بالقوة، وجزء كبير رفضن يمشن معاهم طوالي كتلوهن بلا رحمة في الحال، واللي استسلمن ربطوهن بي وحشية مبالغ فيها، وبرضو كان العساكر ما قادرين يتعاملوا مع الأرض الصخرية، ولا قادرين يجروا ذاتو من الكلابيت والحراب والسهام اللي نزلت عليهم زي المطرة من فوق الجبل، بعد ما قالو خلاص غزوة، وانتهت الله حي وقادر.

كايو واصل وقال: أهال الزنوج الطلعوا الجبل بقوا بدردقوا الحجار والخطب، ويقع في ريسين العساكر اللي اتورطوا في قذائف محلية الصنع جيدة التصويب، وفكّ معاهم ضحكة، وهو بتذكر في الأيام ديك.

كايو الفرنسي يقى بيحكى منفعلقال بي حماس: الزنوج لمن شافوا العساكر انكسروا هجموا عليهم هجمة قوية، الأتراك كانوا بيشوفوا الزنوج زي صقر الجديان لمن يهجم من فوق بي سرعة ورشاقة وقوة.

وغرسوا حراهم وسفاريقم والسفروق دا اسموعند زنوج كلقوا الكلبوت، وهي حديدة معكوفة ترمي، وتستخدم في الصيد والحربة غرسوها في صدور عساكر الباشا اللي كان وعدهم وحسم إنو البقبض واحد من الزنوج والأهالي المساكين يدهو قرش إسباني أحمر.

(7)

إسماعيل ود الباشا استقبل الفوج الهارب من حلة كلقو من رجالو، وهو زعلان وبرطم ويكورك فيهم، وطوالي في حماقة ساق معاهو مجموعة من رجالو، واتقدم نحو الجبل عشان يوريهم الويل وهو منوزي ما قال.

لكن مطرة الحراب الجاتو من فوق خلتو يأخذ جرية هو والمعاهو لي معسكرهم، شتات منظر الباشا كان جبان للغاية لأنو افترى على خلق الله.

عبد الواحد قال: الباشا ورجالو غايتو مرقنهم كرعينم وبنادقم، كان ناس كلقو أدوهو حربة كان راح فيها شمار في مرقة، لكن في مثل بقولواهل السودان (الراجل يا كراعو ولا ضراعو) والباشا مرقنو كراعو، واستغرقوا في الضحك.

وبعد أخذوا جريتهم وقفوا وقرر الباشا يكتل سكان كلقو جت، وقام الباشا حاصر الجبل وبدأوا يضربوا بي المدفعية وشال الأحياء من الزنوج أسرى، والباشا لمن حسب خسايرو كانت فظيعة الماتوا من ديشوا اتناشر والإنجرحو أربعين ومن بين قتلى جيش الباشا إثنين من قوادو الكبار.

قال كايو: أما ناس كلقو كانت خسايرهم كبيرة مات منهم 180 قتيل و575 شالوهم أسرى، ربطوا الأسرى، وختوهم قدام المدافع عشان ما يفرقروا خالص، الأسرى كانوا رجال ونسوان وشفع والغنائم بهائم كثيرة.

واصل كايو وقال: لكن القتلى من جيش إسماعين كان ملاحظ أنو الزنوج قطعوا أعضاءهم التناسلية كلها وشالوا بيضهم، ودي كانت عادة الزنوج في الحرب بجبو العدو كتعبير عن نصرهم المؤكد ويستاهلوا، عساكر الباشا.

(8)

عاد عبد الواحد بعد ما استمع لي كايو، وقال: خلونا من الخواجة العامل فيها إنساني أصلوا ماف خواجة جانا جاب نفع، ولا كان منو خير كلو استعمار بغيض وزبي ناس كايو كانوا عيون للاستعمار بيدعوا أنهم رحالة ولا خلافو ولا تجار كلهم من أسباب أذانا.

عبد الواحد قال متألم: المهم أهلنا في كلقو حاربوا بشجاعة، واقتدار على الرغم من هول المفاجأة وقوة السلاح الناري، وكثرت جيش الباشا، إلا أنهم دافعوا عن أنفسهم وعرضهم وما اعتدوا على زول.

حاج الماحي: رجال وعملوا عليهم الكثرة بتغلب الشجاعة.

قال عبد الواحد: كلامك صاح وعين الحقيقة، الأسرى فرزوا ليهم قوة تسوقهم زي البهائم لي سنار، والباشا قرر يواصل التقدم من كلقولي فازوغلي. واصل عبد الواحد وقال: تاني ما أسمع زول يشكر استعمار كان ترك ولا إنجليز ولا غيرهم كلهم واحد.

وقال عبد الواحد: وتبقى كتلة كلقو واحدة من ملاحم العزة على الرغم من هزيمة الزنوج، إلا أنهم قاوموا كرجال وماتوا شجعان، والتاريخ بخلد ذكراهم، واللعنة على من هاجم الآمنين وخرب بيوتهم وأخذهم كعبيد لإرضاء نزواتو التوسعية، واتذكروا جرية إسماعين باشا في جبل كلقو وحريقو في شندي ودا من المنسي من تاريخنا اللي فيه بطولات كثيرة.

هوي خلاص النوم وجب، وسكت عبد الواحد وما فضلت إلا صورة جبال كلقو في الأفق كرمز لإنسان السودان صاحب الأرض، وذهب الغزاة كلهم للجحيم.



جمال الكرنوق
في جزيرة ود القمر

جمال الكرنوق في جزيرة ود القمر

(1)

حسن حسني قاعد في قهوة من مقاهي القاهرة بعد معاناة السجن وحياة الذلة فيأم درمان، وهو يبكي عن قصصوا في السودان، وقال: في شهر ذي القعدة سنة 1301 هجرية سنة 1884م، وكان النيل في أحسن حالاته، والوقت دا من العاميسمح بالإبحار في النيل، لكن نهاية العام 1884م ما كانت الخرطوم بتنوم مطمئنة لأنو غردون كان الحاكم وفي آخر سنين عمره وبعناده، فقد التعاطف الرسمي في لندن والقاهرة، لكن قدر أنو يرسم صورة في ريسين الجماهير البريطانيين صورة مخلص ونبي مسيحي يعيش محاصر بالهموم والأعداء محارب براهو في هذا الجزء من إفريقيا، وكمان زول إنساني ومرتبط بي الأرض وسكان الخرطوم، وفارس فيكتورسي وسيد مأسوني عريق في المحفل الإنجليزي.

واصل حسن حسني، وقال في أسى: قرر غردون إنو يقعد في الخرطوم ويخت اللوم على الحكومة المصرية والبريطانية ويمحن السير قلا دستون، ودا كان رئيس الوزراء في لندن، وكان زهجان من غردون الي كان شغال بي راسو.

قال حسن حسني عن نفسه بصوت أجش، وهو بتذكر في الأيام السوداء من حياته، والي كلفتو أربععاشر سنة من الأسر في السودان المتوحش دا.

(2)

حسن حسني جاء للسودان موظف في التلغراف في الخط الخديوي في السودان، ودا كان منجزات الترك، وقتها وأحدث وسيلة اتصالات، وكان بقرأ وبكتب وبتكلم الإنجليزية كويس عشان كدا خلوه كمترجم وتلغرافجيفي الخرطوم في الدائرة القريبة جداً من غردون، وأوضاع الخرطوم كانت أكثر من مقلقة.

حسن حسني قال: والتلغرافات الكنا بنرسلا كانت متناقضة مرة نرسل كلام ونجني ننفيهو، وكلو كلام غردون، والراجل دا كان بغير رأيو في كل ساعة ويوم ألف مرة، عشان كدا تلغرافاتو كانوا برسلوها بالدسته من القاهرة لي لندن.

(3)

واصل حسن حسني وقال: أها النحكي ليكم قصتي في صباح يوم من أيام حصار الخرطوم، وبأمر من الجنرال غردون باشا حكمدار عام السودان قالوا تتحرك بابور بخارية صغيرة اسمها عباس عشان توصل بريد لي دنقلا، وكان غردون عايز يتخلص من القناصل الأوروبيين، وبعض التجار الإغريق اللي خافوا وبحاولوا يهربوا من جحيم اقتحام الخرطوم.

أهااا وقولوا كدا ركب ناس عندهم وزن سياسي منهم نائب غردونو اللي جاء للخرطوم بي كراعو ومبسوط عشان يكتب تقرير تقييمي عن الأوضاع في السودان، ودا خواجه بقولوا ليهو الكولنيل استيورات باشا، ودا من جنرالات جيش الملكة والمستر هيرين قنصل فرنسا الراجل الأنيق اللي يرش نفسو كل صباح بالعطور الباريسية الفاخرة، لكنو كان مشهور زي كل الأوروبيين في الوكت داك كانوا ما بستحمي بي سهولة بالرغم من قعادو جنب أطول نهر عذب في العالم.

وضحك حسن حسني وواصل، وقال: وكان الفرنسيون دا بدون في مذكراتو أوضاع السلم والحرب في السودان لحدي ما خش في ورطة الحصار العنيف بتاع

المهدي، وكان شايفم ناس متوحشين ومتعطشين للدماء، وما قدروا عظمة الحضارة الأوروبية ومسترباور قنصل بريطانيا النشط في الخرطوم، والي بشوف إنو لبلادو حقوق وامتيازات، وإنو السودان من حيازات الملكة ومصر نفسها اللي يحاول خديويها يتمسك بالسودان بالرغم من منشور إخلاء السودان.

ومعاهم عدد من العاملين في الحكمدارية وعدد منالبحارة الدناقلة، وكان في البابور مدفع واحد وثلاثة من العساكر المدفعجية ودليلين من دنقلا، ودا لتوجيه الباخرة لعبور الشلالات والجنادل.

(4)

عبد الواحد قال: كانت ترسانة الخرطوم مليانة بالبواخر والبوابير، وكانت ملائنة بالحركة وأصوات البحارة والعمال وأعمال الصيانة.

واصل وقال: محمد عليو البشتلي ديل عمال وريسين البوابير في ترسانة الخرطوم في الوكت داك، وهم من أولاد دنقلا ليهم زمن شغالين في البحر حافظنو من الرجاف لي دنقلا عشان كدا اختاروهم اكونوا في الباخرة عباس.

عبد البين: البحارة الدناقلة ديل شكلم اختاروهم بعناية شديدة عشان المهمة دي سرية وغردون معلق عليها آمال كثيرة أقلها تيجو حملة إنقاذ للخرطوم تفكو من الورطة العملا دي.

حاج الماحي ضحك، وقال: المكتولة ما بتسمع الصيحة.

عبد الواحد واصل، وقال: بعد قرار تحريك الباخرة عباس تم اختيارهم بي سرعة عشان يمشوا مع الباخرة في اتجاه الشمالية لي دنقلا، وتنفيذ مهمة خطيرة، وهي تجاوز دفاعات الأنصار ونيرانهم، كان عليهم الاحتفاظ بمواعيد التحرك في السر، لأنو الباخرة إذا وقعتفي يد الأنصار أم الحسن اتنفخت، ضحكوا كلهم.

(5)

عبد الواحد قال: حسن حسني والأدلاء والبحارة رفعوا عفشهم بي سرعة وشالوا معاهم شنط حديد فيها جوابات غردون وبرقياتو المكتوبة بالجفرة (الشفرة).

قول كدا اتحركت الباخرة عباس بعد وداع غردون واصلوا وما عملت صفارة زيها وزى البوابير الطالعة من الترسانة ومرقت منسركة في نص البحر. عبد الواحد واصل وقال: وفي ليل الخرطوم داك ما شغلت الباخرة عباسأنوارها، وقال أخلي القصة يتمها حسن حسني سمح الغنا في خشم سيدو ولا ما كدا.

قال حسن حسني: خلينا البابور نفسها تنزلق في تيار النيل بهدوء وحذر وهي ماشة في اتجاه الشمال، وكل من في البابور كاتم نفسو، ويسأل الله إنو ما يشوفهم الدراويش المحاصرين للخرطوم.

في الليلة ديك كانت كواريك الدراويش وتكبيراتهمونوباتم بتدق تنشر الرعب في الخرطوم كلها ناهيك عن المنسرقين والراكبين في البابور وأصلاً هم خايفين، وكانت كل أماني غردون إنو يصلوا بسلام عشان يقولوا للساسنة وجنرالات الجيش البريطاني أنا بقدر أصمد، ولكن محتاج لي دعمكم وما بقدر أصمد للأبد، وإذا دخل الدراويش الخرطوم في ناسكتار ييموتو وتقع بلاوي كتيرة.

عبد الواحد قالوهو بيحكى: اتحركت الباخرة، وهي بتغرف وتقلب في الموية بسراع سراع سراع لحدي ما فاتت المحاصرين اللي اتفأجاوا بيها مرقت بعيد في ثبات وضربوا نار اتجاهها، وكان في بابور فيهو العساكر اسمها الصافية بترافقها للحراسة، وبدو يردوا على نار الدراويش المجلية.

حاج الماحي: بيكون قلب غردون انقطع لمن سمع الدانات بتضرب في البحر بيقول خلاص ناسي غرقوهم وضحكوا كلهم.

عبد البين: غردون كان صنيديد وكت رسلهم بيكون كان متوقع أي حاجة تحصل، وشغال بي راسو البيحصل يحصل، لكن بتكون طقتو خوفاً فعلا.

وقطع صمت الليل في الخرطوم فجأة صوت دانات كان بردت في الموية، وهي ولا مستها بعنف وهربت البوابير في الضلام في سلام فرح الجماعة، وما عارفين الغريق قدام.

البوابير بقتتهدر في النيل الي أخفاها حتى عن عدسات نظارات غردون المقربة، وكتب في يومياته مبتهج (لقد عبرت بسلام) في يومياته الي حكى عن الخرطوم في آخر أيامها.

البوابير طيارة طير مرقت من خانق السبلوقة الضيق بمهارة بعد مقاومات صغيرة من ناس الشيخ الأمين ودأم حقين وغيرهم ما أثروا معاها خالص.

واصل حسن حسني، وقال: ومن بعدها المتمة الي كانت واحدة من أقوى قواعد الأنصار في الوكت داك، وفيها الجعليين الي أدوا البواخر كم دانة جلن ووقعن في النيل، وأنحن جرينا جري في البحر.

شاف الركاب في البوابير فرسان الدراويش بيضربوا رصاص بنادقهم القديمة وقصيرة المدينادق الراجتون وهم بيكوركو، فبيرد عليهم حراس البواخر بنيران عبثية ياخ كانت زي اللعبة ولا الهظار، المهم كنا متقدمين شمالاً كويس.

قال حسن حسني: والله غايتو لحدي هنا سلامة، لكن المشكلة كانت قدامنا في بربر فيها الأمير أحمد الخير مسلح بمدافع، ولازم تكون عملية تجاوز بربر صعبة ومكلفة، أي احتمال وارد وما عندنا حلو لا طريقة غير نجازفها ونقطع بربر دي، لأنو بعد المتمة انفصلت منا بواخر ومراكب الحماية بعد وداع حزين، وكان آخر ما يدور في ذهن الجنرال غردونالي منتظر من أن أخبار حلوة لمن نصلويجي جيش الإنجليز سراع سرا عينقذوا من الهلاك وركوب الرأس بتاعو دا؟

(6)

يحكي حسن حسني في ذكرياتو بعد معركة أم درمان في يوم 2 سبتمبر 1898 م وتحريره من سجن السائر الرهيب في أم درمان، وهو عجوز أزرى به الدهر وأكلت أيام الأسر أنضر أيامه.

واصل حسن حسني وقال: لمن وصلنا بربر ظهرت لنا المدينة من النيل بيوتها من الطين والرواكيب والقطاطي، ونحن بقينا نزيد من سرعة المحرك البخاري، وقبل ما نتجاوزا كنا واتزودنا بالخطب للوقود واستعدنا لمواجهة مدفعية بربر، ورقدنا كلنا ورا الدروع الكانتبتقل من حركة البابور الي كان يصارع في موج النيل ودخانا الأسود في السماء، ويكشف مكانا في البحر الي بقي لنا زي الفتيل.

حسن حسني وهو يحكي للقاعدين معاهو وهو براجع الأيام ديكوهم مارين قدام بربر قال: فكّ فينا ديم الدراويش نار جد وعشنا لحظات عصيبة، لكن داناتم كانت بتقع في البحر، جنبنا ونحن بنراقب ونتضرع لله، ونطلق من مدفعا دانات أيضا ونرد ببنادقنا، وكنا خايفين من إنوتقع دانة في الباخرة.

ولكن نجونا وهربنا بالباخرة وقطعنا الشلالات والجنادل، وكانت في قوة من الدراويش على ظهر الخيول متابعانا في البر.

سألوا واحد من الي معاهو عن شعور و بعد ما رجع مصر رد حسن حسني بي أسمي ظاهر عليه، وقال: كانت ديك أيام صعبة أاه كم كنا خايفين من الموت الكنا شايفنو قدام عيوننا، لكن أجمل ما في الموضوع حصل هو الهروب من يدينا لأمير محمد الخير، لكنني جابوني ليو أسير، وذليل ياريتني لومت مع الباشا الي مضى لي ربو.

لكني الليلة بحكي وأنا فرحان عشان عشت وشفنت تحرير أم درمان، وشفنت جيوش السردار، وناس الحكومة في الخرطوم، شالو حكم الدراويش من الوجود، وقدرت رجعت لي المحروسة.

(7)

يعتدل حسن حسني في جلسته، وهو يرشف ماتبقى من فنجان القهوة، وهو يتذكر، ويقول: واصلنا رحلتنا شمال بربر واستغرقتنا يومين، وفي اليوم الثالث من إبحارنا وصلنا لي جزيرة في نصابالبحر تقابلها قرية السليمانية في ديار المناصير، وفرحنا لأنو قربنا من سيطرة مدير دنقلا مصطفىاور، ودا كانوا بيقلوا عليهو الثعلب العجوز لأنو أرمني مكار.

كيف كيف؟ قالها الحضور كلو عايزين يعرفوا حاجة عنو.

حسن حسني ضحك، وقال: مصطفى ياور دا مدير دنقلا كتب للمهدي إنو آمن بالمهدية وضرب الدراويش في مقتل في كم حراية وعرف دوخ المهدي ورجاله وانسحب إلى مصر في هدوء وانضباطعجيب.

طوال أيام سفرنا بي البابور كنا نتخير المناطق العميقة في البحر، وبنحاول إنو نتجنب الإبحار بي جنالقيفة، لأن فيها كائن ومصايب وبنخاف من مدفعية وبنادق الدراويش، ولكن كنا مفتحين عيوننا تمامعشاننعبر مناطق العدو بي أمان.

أها والحصل شنو معاكم إنتو؟ مش معاكم البشتلي ومحمد علي.. المشكلة وين؟ قالها واحد من القاعدين معاهو.

لكن أقدار اللهقالهاحسن حسنيوهو يسحب نفساً من الهواء ويمسح عن جبينه عرق تدلى منأخايد وجهه اللي كانت تمسحه سحابة من الحزن الأبدي.

واصل حسن حسني كلامو وهو يتذكر أصحابو من الرئيس والعمال المصريين في الباخرة عباس، وقال: المهم هكذا هي الحياة فجأة ظهرت قدامنا جزيرة والبحر فيهو ممرين، وكنا اتفقنا كلنا على أن نمر من المسار الأيمن للنهر، ولكن كان هناك عائق قدامنا في مجرى البحر ما بقدر أتذكر والكلام دا طول مضى عليهو الحدث تمتاشر سنة قالها بلهجة سودانية مع ابتسامة خفيفة.

«واصل يا عمنا حسن حسني». قالها واحد من الحضور.

وبعد التشاور مع المرحومين محمد وعلي البشتلي قررنا التقدم خوفاً من أنو نمر بي جنب من القرية اللي واقعة على شاطئ النيل اليمين، وحاولنا تفاديها بكل السبل الممكنة، لكنالباخرة عقلت في الرمل اللي أخرنا وحاولنا نطلعها بتحريكها يمين وشمال وما قدرنا، وكانت محاولات عبور الجنادل والصخور والموية الضحلة صعبة للغاية وبعدها غرزت في المياه الضحلة، إضافة إلى أنو الصخور ضربت الباخرة وإتسرب بعض الموية فيها الكلام دا حصل الصباح، بقينا شغالين عشان نمرق من الحتة دي الليل كلو، وما قدرنا نعمل شيء، يمكن إنوطلع رقابنا من سيوف الدراويش، قال كلامه وسكت ونزلت منو دمعة، سكت كل اللي حولو.

(8)

عبد الواحد قال: كانت الجزيرة قريبة من البابور اللي كانت في نصاب البحر، وكان ممكن إنو تشكل ليهم حماية كويسة.

الحصل شنو طيب يا عبد الواحد قال الكلام دا عبد البين.

عبد الواحد: حالاً أصدر الجنرال إستيورات باشا أمر بنقل كل العفش والشنط الموجودة في الباخرة إلى الجزيرة، وبقى في الباخرة الجنرال إستيورات باشا والمدفع مع ذخائره، ومعاهو القناصل الأوروبيين.

فقد أخذت الشمس في الارتفاع وبرودة الصباح تتلاشى من الجو والخوف من أي هجوم محتمل مع غضب إستيورات، والقناصل اللي كانوا بينظروا لنا كفاشلين، وأنا من تسبب في هذا الموقف العصيب.

واصل عبد الواحد، وقال: وفي الوكت داك كان الدليلين الدنقلاويين قد عاموا لي الضفة اليمينيون ما يأخذوا أي إذن، ولكنهم بعد ساعة جواوا كلموا

إستيورات والقناصل بأنو الحلة ما فيهادراوئيش، وأنو سكانها يدينوا بالولاء للحكومة، وأنو مديرهم مصطفى باشا ياور مدير دنقلا وأنو المناصير عرفو قصة البابور ومكانها، وأنهم جاهزين يوفروا لنا جمال تو ديننا لي دنقلا بأسرع فرصة.

وبعد ما سمع الكلام دا إستيورات باشا أمر ثلاثة من حرسو والكاتب وأنا نعوم نصل القرية، ونتأكد من صحة الكلام دا.

حسن حسني قال لي إستيورات باشا: دا كلاما صح لأننا مصرين وبنخاف من المناصير اللي لو شافونا ساي ما يمانعوا من قتلنا طوالي.

حسن حسني قال للباشا: من الأفضل أنو يتحركوا جزء منهم بالراكب لي دنقلا يجيوا مساعدة وفي الوكت دا يمكن للباشا والقناصل أنو يبقوا في الجزيرة آمنين، وكلنا كنا مقتنعين أنو المساعدة من دنقلا دا أفضل حل يمكن نسويها بدل ما نخت نفسنا تحت رحمة الدراوئيش ديل.

قال عبد الواحد وهو بيحكى: طبعا الباشا الجنرال إستيورات غضب منا، وقال نحن جناء. وهددهم بأنو بيضر بهمنا كان ما استجيب لي أوامر ودي.

حاج الماحي: والله الباشا عميان ومفتري صحي ما يعرف السودان بالجد.

وواصل عبد الواحد بدون ما يرد على حاج الماحي، وقال: تحت تهديدات إستيورات باشا اتحرك المصريين بي مركبلي قرية السلمانية، ولقيناها عبارة عن قرية صغيرة، وفي القيفة قابلهم رجال من المناصير واقفين قدام بيان القطاطي بتاعت القش، وواحد منهم اسمو عثمان ود القمر المنصوري، ودا أعمى وعجوز وماكر برضو قاهها، وهو بيتسم.

حاج الماحي: دا قصتو شنو كان؟

عبد الواحد: دا بطل الفليم الهندي اللي أنحن فيهو دا، صبر بيلا الأبري ماف يا حاج الماحي، سوي صبر، وضحكوا كلهم.

(9)

حسن حسني شرب من القهوة الي القدامو وسرح وهو بعين للسماء بتذكر في الأيام، وقال: بعد نزلنا للشاطئ خضنا طرف البحر وبعد الترحيب بينا من أهل الحلة سألنا الرجل الأعمى ود القمر المنصوري عن سبب جيتنالي حلتوردينا على سؤاله بأن أقدار الله عطلت باخرتنا في النيل ضربتها الصخور والجنادل والرمال.

ود القمر رحب بيهم في حلتو تاني.

وقبال ما يسألهم تاني قاموا سألوه هل هم مع الحكومة ولا مع الدراويش.

رد عليهم الرجل الأعمى: بأنهم تابعين للحكومة ومديرهم مصطفى ياور باشا وأنهم ما تابعين للدراويش.

قال حسن حسني: وفي اللحظة ديك تظاهرنا بأننا صدقنا كلامهم، وقلنا ليهم جيبوا المصحف، وأحلفوا عليه و يقولوا لنا الحقيقة.

ود القمر كلم ناسو يجيبو المصحف وجابوا الكتاب وحلفوا عليه بأنهم يقولوا الحقيقة، وأنهم ما يخذعونا، وأنهم تابعين لسلطة الترك.

عثمان ود القمر ثم سألنا: عاوزينش بالضببط؟

ردينا على المناصير بأنو الباشا عاوز جمال يتم سفرو لي دنقلا وسريعاً.

ضحك حسن حسني وهو بيتململ، وقال بصوت خافت: كم كنا غيبانين ياخ.

المناصير قالوا ليهم بأنو شيخ القرية الشيخ سليمان برة الحلة ولن يجي يكلموه بالحصل وحاجة الباشا وأنو يجوهم باكر.

قال حسن حسني: وكان دا ما قدرنا عليه على أساس نجبي باكر، ومع وعد أهل الحلة بأنو يرسلوا لينا إن جاء الشيخ سليمانلي حلتو، وطلبوا منا أن ننقل التحايا للباشا ونديهو الأمان، وقلنا لهم سنفعل ذلك ونخطر الباشا.

بعد دا كر جعنا بي المركب لي الجنرال إستيورات والقناصل وما قدرنا نقتنع الباشا بأنو نرسل المركبلي دنقلا عشان تجينا النجدة لأنو الباشا وثق في كلام المناصير المكارين.

حسن حسني قال: الباشا زعل منا واتهمنا بي أننا خوافين وعينا في مجموعات لحراسة البابور في الليل داك.

في الصباح الرجلين الي كانوا مع الراجل الأعمى جومعانا للجزيرة وشايلين معاهم المصحف ومشينا في الحال إلى الباشا والقناصل عشان نوريهمبي الحصل.

العرب الي جو معانا قابلوا الباشا وأدهاهم الباشاضمان على دفع قروش الجمال وأدهم الأمان ووعدهم بشرفه أنو ييلتزم بي كلامو، الباشا المسكين ما عارف العرب مكارين.

حسن حسني: الراجلين وعدوا الباشا بأنهم بيحجوا في اليوم الجاي بعد ما يجي شيخهم من الخلاء قالها حسن حسني وضحك هو جماعتو.

واحد من الحضور قال لي حسن حسني: طبعاً والباشا صدق وعدهم لأنهم حلفوا بي الكتاب وأنهم بيقولوا ليهو الحق.

حسن حسني قال: بيتنا الليلة دي كفي الجزيرة وختينا حراسة مشددة منتظرين جية العرب في الصباح، وهم عارفين أنو بابور نادقش الحجر ومعتل.

في الصباح وفي حوالي الساعة العاشرة وصل للجزيرة راجلين وكلمونا بأنو شيخهم جاء من الخلاء، وأنو عرف قصة البابور وتعطلها في الجزيرة، وأنو عايز يجيز

الجمال لنا، ويتمنى أن نصل كلنا سالمين لي دنقلا، وكلمو الباشا أنو لازم نقل العفش للقيفة اليمين عشان يواصلو رحلتهم بالجمال.

طوالي الباشا والقناصل أمرونا بنقل العفش إلى الشاطيء وعبرنا للقيفة معانا كل أغراضنا.. الله حي وواحد وقادر، قالها حسن حسني بي أسى شديد.

(10)

كبّ من القهوة وملاً فنجانو ورشف من الموية واتلفت ثم استطرد، وقال: في حوالي الساعة الواحدة ظهراً ونحن ننتظر يكلمونا بوصول الجمال واللي جزء بعضها حاشتر وهو وأنحن منتظرين.

جاء رجل وقدم لنا دعوة الشيخ سليمان عشان نزور حلة الشيخ وبعدها قال لي الباشا أنا ما بتكلم العربية يمكن تجي معاي لزوم الترجمة.

وقال استيورات باشا: حانتحرك نحن الأربعة الباشا والقنصلين البريطاني والفرنسي وشخصي.

قال حسن حسني: مشيت معاهم بي المركب لي الشيخ ولقينا هو قاعد في غرفة ومعه حوالي خمسين راجل ومعهم الرجل الأعمى، وكان أغلبهم يلبس ملابس الطراز التركي امعانا في التمويه.

واصل وهو بيحكى بي شروود ظاهر عليه، وقال: بعد وصلنا دعونا للجلوس على عنقريب، وجلست أنا وقنصل فرنسا المستر هيربن في عنقريب والباشا وقنصل بريطانيا المستر باور في العنقريب الثاني.

جابو لينا لنا بلح ناشف وبسكوييت محلي وتظاهروا بأنهم منتظرين الجمال اللي وعدونا بإحضارها واللي من المفترض أن تكون جات والملاحظ أنو الرجال كانوا هادئين داخل الغرفة بشكل يحير.

(11)

قال عبد الواحد بي خبث شديد: جمال الكرنوق بدأت قصتها ونحن ننتظر،
ولكن المناصير كان عندهم سبعة جمال بس وعملو لعبة دورانية بي الجمال السبعة.
حاج الماحي: كيفن دورانية يعني.

عبد البين: دا شغل ملعوبية مش حلقوا وأدوهم الأمان.

حاج الماحي: الحرب خدعة والباشا عوير.

واصل عبد الواحد وهو بيضحك ما حاول يفض الاشتباك دا وقال: كانوا
المناصير بيجوا قدام باب القطية عربي وقايد جمل وواحد من عرب المناصير
يكورك واحد ويمشي يلف وراء القطية، ويجي عربي وبى جمل وبتاع الحساب
يكورك اتنين لمن وصلو سبعة يبدلو العربي والجمل، ويقول البعسب تمانية،
ويواصل في نفس الكضبة تسعة وعشرة ماش بيعسب في السراب.

قال حسن حسني: قلبي ما ارتاح وعانيت للباشا اللي كان مبسوط أخيراً
يتخرج من العرب ويحصل لي حدود مصطفى ياور، وما عرف حاجة الباشا
راجل طيب والله، وما يستاهل قالها بحزن عميق.

واصل حسن حسني بيحكى في قصته المنسية، وقال: فجأة دخل الغرفة رجال
طلعوا سيوفهم وحراهم وسكاكينم في أيديهم، وهجموا علينا، وبدوا بالقنصل
الفرنسي المستر هيربين كتلو هو، وطعنوني أنا في يدي اليمينو كرا عيال الشمال، وبعدها
شعرت بأنو قواي خارت ما قدرت أشوف كتلة الباشا والقناصل، ولمنوعيتلقيت أربعم
راجل شايلين السيوف والحرا بوشروا عليهم محاصرنا لقطية.

عبد البين: داغدر والله كان يكتلوهم في البحر وهو غضبان.

حاج الماحي: ياخ غدر الجابو شنو دي بلدنا خلي يشم التراب حق أبوهو.

قال عبد الواحد مقاطع كلامهم: حسن حسني محظوظود الشيخ والراجل اللي وعدو وأداهو الأمان دخل وطلب من الدراويش أنويخلوني وفاءليوعدهم وحلفهم بالقرآن، وبعدها جريت نفسوساقوني يعالجوني من الجروح، وبقيت أشتغل لمدة شهر كخادم مع المناصير لحدي ما اتعافيت.

(12)

حسن حسني قال: بعد فترة رسلوني لي بربر للأمير محمد الخير اللي زغنا منو بي البابور زماااان وطوالي سجنني أربعة شهور وبعدا فكاني بالضمانه وبقيت لا يص في بربر.

واصل وقال: بعد مرور سنة رسلوني مع حراسة من بربر بأوامر من الأمير محمد خير لي أم درمان عشانا بأبايعا الخليفة عبد الله التعايشي بعد وفاة المهدي، وبعدا قعدتني أم درمان بين السجن دخلوه كل ما تحصل كفوة ومرقوه، حاله كانت صعبة وما متخيلة، وياهو الحال والحمد لله.

سألو واحد من القاعدين: وكنت عايش على شنو ياعم حسني؟

رد عليه وقال: اشتغلتي حاجة عشان أعيش وما اعتمدت على زول لمنحرر الجيش الإنجليزي أم درمان وبعدا طوالي جيت لي بلدي مصر وتاني ما بقبل على السودان كلو كلو.

عبد الواحد ضحك وقال: ود أم زقده تاني بتجي المولد بدون عكار؟
استغرق الجميع في الضحك وقالو والله حكاية لكن.



جرية ستورات ورتلي في حلة الصباي

1 / 1 / 1898 م

جربة ستيورات ورتلي في حلة الصبابي

1/1/1898م

(1)

اعتدل عبد الواحد وقال وهو بيحكى لي أصحابو زي كل يوم في قصة جديدة وبدأ وقال: الليلة بحكي ليكم عن جري الإنجليز في بلدنا جنس فضايح غايتو أبداً ليكم بي واحد عاجباهو روهو بيقولوا ليهو الميجور ستيورات ورتلي، ودا ضابط بريطاني جاء مع حملة كتشنر سنة 1898م.

عبد البين: يعني ما ياهو الباشا بتاع المناصير ولا ستيورات جديد كان والله قصص.

عبد البين: داك كتلو سنة 1884م ودا جاء مع حملة كتشنر سنة 1898م ركز ياخ وأخدوا ليهم ضحكة كلهم.

حاج الماحي: خرينا من عبد البين المخرف دا وأحكي الجرو من الإنجليز كتار إلا تاريخنا منسي، أدينا يا حاج من المنسي داك قصصو حلوة، وبتمشي الوكت ورانا شنو ياهو عطالة المعاشات.

قال عبد الواحد: الميجور ستيورات ورتلي عينوهو عشان يقود القبائل السودانية الزعلانة من الخليفة عبد الله التعايشي الي سموهم الإنجليز في الوكت داك قوات العرب الشرقية ولا العربان المتحالفه.

عبد البين: ديل العاقلين والله سقطوا الخليفة والمهدية.

حاج الماحي: ديل الخونة الي وقفوالي احتلال البلد ياخ.

عبدالواحد: خلونا نحكي التاريخ زي ماهو نخلي الأجيال تحكم لو بدينا غلاط ما بنقيف والتاريخ ما بحاكموهو بي واقع اليوم ومنطقو، دي أحداث انتهت خلونا نحكيها ناشفة وبس.

عبد الواحد واصل وقال: العربان ديل كان في نظرهم خطر المهدية أكبر من احتلال البلد وعدواتم للخليفة عبد الله التعايشي كانت كبيرة ودا منطقم.

وواصل قبال ما يبدو غلاط جديد، وقال: ودي وجهة نظرهم وما عايزين نحاسب موالي ولا نجرم معادي للمهدية. عايزين نحكي التاريخ زي ماهو، لأنو بكرر نفسو في كل مرة، ولازم ناخذ منو العبرة التاريخ ماقصص وبس.

في البلد البعيدة في إنجلترا كان ستیورات قاعد في كرسي القماش الهزاز بعد ما عجز ويحكي للناس المعاهو عن تجربتو في حلة الصبائي جنب الخرطوم بحري في السودان، ويراجع في الماضي، وأيام الحرب لمن كان شاب.

ستیورات ورتلي بحكي، وقال: عن العربان المتحالفة لمن كتشنر كان زاحف نحو احتلال أم درمان لمن جاء يوم 29 أغسطس 1898م جاتني تعليمات من كتشنر أجمع العرب وأسلحهم وأخليهم تحت عيوني.

وقال ستیورات: كتشنر طلع أمر يديني بنادق وذخائر وبابور ملان عيش عشان الأكل ومعاهو معدات حرب وإسناد ناري من البوارج الحربية.

استمر وقال بصوت أجش: مهمتنا هي الضفة الشرقية للبحر بشرط نكون ماشين مع الحملة ونقوم بي مهمة تنضيف الطوابي الشرقية الي كان بيقودا الأمير عيسى زكريا التعايشي وكانت الطوابي في الجيلي والحلفايا وحلة الصبائي وجزيرة توتي.

(2)

عبد الواحد جنو مع الحكاوي المنسية ومهموم بيها أخذ ليهو سرحة، وقال: شوف يا يا حاج الماحي حملة كتشنر ما كان ممكن تخلي شرق البحر فاضية كروو كان لازم تأمنها.

واصل وقال: كان خطة كتشنر فيها قوة البوارج الحربية في النيل وقوة الجيش الإنجليزي بقيادة ستیورات وقوات العربان السودانية.

وكان بي التزامن مع الحملة قوة هناك ماشة على القصارف بقيادة الكابتن بارسونيز في الشرق اللي كان عصي على الحكومة بسبب عثمان دقنة اللي سحبو الخليفة لي أم درمان.

واصل وقال عبد الواحد: وفوق دا كلو كلف كتشنر نص الكتيبة الخامسة المصرية بقيادة عبد الجواد برهان ودا قائمقام مصري يقوم بي جيشوا ويعبر من سواكن لي بربر والطريق دا كان قافلو عثمان دقنة لي أكثر من أربعناشر سنة ماف ودمرة مشى فيهو إلا شاف الموت، كتشنر سوادا كلو عشان يوسع دايرة التقدم على أم درمان.

(3)

ستیورات قاعد في بيتو وبكلم ناسو ببيذكرياتو عن حروب السودان والمخاطر لي أصحابو قال: في يومي 29-30 من شهر أغسطس سنة 1898 م وأنا مع السردار كلفني بي مهمة شرق البحر لأنو فيها عدو ولازم نزيلو بي أي تمن.

وقال السردار كتشنر موجه كلامولي ستیورات: سلاطين باشا رتب مع جزء من زعماء القبائل الكرهانين حكم الخليفة بيلاقوك بي الشرق وانت حاتقودهم.

قال ستيفورات: طوالي قطعت البحري البوارج الحربية وبدأ العرب يجوا يتلموا في حنة شمال الجيلي وقريبة من قريالعدلاب الشهيرة في جنب جبل ملكيت.

وسكت شوية وهو بتذكر وقال: وطوالي اخترت الراكينحصين من العربان ومعام حبة إنجليز ومصريين يمشوا يعملوا استطلاع لي طابية الجيلي ويدوني الموقف بي الكامل بي سرعة.

سألو واحد من الجماعة القاعدين معاهو: والحصل شنو بعد داك؟

رد عليهو ستيفورات، وقال: الاستطلاع جاء راجع ومعاهاوسرى من الدراويش عدددهم ستة لقوهم في مركب في البحر شغالين استطلاع برضو.

واصل وقال: بعد ما جابوهم عرفت منهم إنو في نقطة في حلة الدبيبات فيها 90 من الدراويش ودي نقطة مراقبة متقدمة، وكان لازم أزيلها عشان أتحرك للجيلالي فيها قوة كبيرة من الدراويش، وعرفنا أنهم انسحبوا كلهم لي طابية الحلفايا اللي بقت هدفنا الجاي.

(4)

عبد الواحد بيكلم في جماعتو، وقال: إنو قوات العرب الشرقية أو العربان المتحالفة ديل هم جزء من الجعليين، وكان زعيمهم إبراهيم بك فرح والشكرية بقيادة عمارة أبو سن وأهلك الهندندوة، وكان زعيمهم محمود بك موسى وأحمد بيك خليفة شيخ العباددة والجميعاب ناس الجيلي تحت قيادة ميسرة الزبير والمسلمية الطاهر ود العبيد انضموا للحملة لحدي مابقوا ألفينراجل وشايلين 1235 بنديقة و115 سيف ومعام 350 حمل و27 حصان و52 حمار والكلام دا كتبوا الإنجليز في تقارير مخبراتهم في ملحق خاص سموهو قوات العرب الشرقية.

حاج الماحي: صحي ديل الزعلانين من الخليفة.

عبد البين: ديل كتلهم وشر د أهلهم وشال نسوانم ذاتو وو.

عبد الواحد ما كان مهتم بي مغالطاتهم وواصل وقال: نجى للمربوطة يا جماعة هروب الميجور ستيورات قالها عبد الواحد بصوت شبه جهور.

وواصل عبد الواحد وقال: إنو ستيورات كان قايل دي المهمة الصغيرة في معركة أم درمان، لأنوقوات الخليفة عبد الله الرئيسية كانت بي الغرب من البحر وديك الحرابة الجد في راسو.

(5)

ستيورات برضو اتذكر حادثة زرتو فجاة، وقال لي جماعتو: لمن بقينا نحن على بعد 150 ياردة من قرية الصبائي ودا الآن حي من أحياء الخرطوم بحري والوكت داك كانت حلة صغيرة.

قال ستيورات ورتلي بيحكى: ظهر لينا فجأة حوالي 25 من فرسان الدراويش من نص البيوت بتاعت الطين في حلة الصبائي قالها، وهوبيتبسم ويراجع ذكرياتو في الأيام ديك.

اتقدموا للهجوم علينا هاجمين أهاا العرب المعاي ما كان عندهم سلاح ولا حاجة وما شايين إلا عدد محدود من السيوف والعكاكيز والبقية ماشين ساي زيادة عدد.

واحد من جماعتو المعاهو سألو: كيف يعني فرسان الدراويش حققوا مفاجأة ليكم يعني ما متوقعينهم خالص؟؟

رد عليهو ستيورات: الدراويش مصايب ديل ظهوروا فجأة وكانوا هاجمين من دون نظام وكان العرب المعاي همهم يلموا الغنائم، ولمن شافوا الدراويش

يهجموا علينا انكسرت جبارتنا، وبدينا نجري على فرسان العباددة اللي كانوا ورائنا قراب وديل فرسان جد غايتو تميناها جري قالها ستیوارت وهو بيضحك.

عبد الواحد تم الحكوة وقال: الجماعة أخذوا جكة ولا زي ما يقولو الأنصار زمان أخذوا اليهم طلقة، وكان مع الميجور ستیوارت ومعاهم ليوتانت وود وحسن الأفندي شريف، ولكن ديل بعد جريتهم برضو كانوا قراب للعدو، ولقوا نفسهم قدام الموت الأحمر.

حاج الماحي: ديل أهلي رجال الحراية.

عبد البين ضحك وقال: حاج الماحي ياخ والله بقيت زي الغناي القال كرري تحدث عن رجال كالأسود الضارية خاضوا اللهيب وشتتوا كتل الغزاة الباغية، وما معروف منو اللي اتشتت ولا شتت ذاتو وو.

حاج الماحي: حاربوا وماتوا رجال ما سلموا دقونهم للمحتل، لكن أقدار الله نافذة.

واصل عبد الواحد واصل، وقال: الباشا بقى بكورك لي ناسوا لكن المسافة أقرب والخيل كبست عليهم.

ستیوارت قال: فجأة بقينا تحت رحمة فرسان الدراويش المتوحشين وكوركتا لي ناسي لكن منو البسمع في الوكت داك؟

واصل وقال: فرسان الدراويش في لحظة بقوا قراب منناو طعنو إثنين من عرب العباددة الورا والوضع بقي خطير للغاية اشتباك مباشر مع العدو والتحام اضطرينا للجري للخلف، وطلعنا مسدساتنا وبقينا مستعدين لضرب نار، مافي طريقة، الكلام دا كلو في ثواني على أول عدو يواجهنا والجيد أنو الليوتانت وود طلع مسدسو وضرب وقتل واحد من الدراويش ورماه من حصانو في سرعة، وهو مترجع للخلف، وجاري معاهو الباشا ستیوارت.

واصل ستیورات وقال: العبادة ركزوا ودقوا نار جد من بنادقهم، وكتلوا
إثنين من الدراويش من فرسان البقارة في سرعة.

والقاموا جارين من العرب المعاي لمن شافوا في موت في نص الدراويش
الشجعان الهجوموا علينا أخذوا ليهم ركزة تم كلامو وهو سارح بعيد.

وبقينا نضرب مجموعة نيران كثيفة وكتلنا كمان عدد من الدراويش العرب
المعاهجموا على البقية والدراويش اضطروا يتراجعوا في اتجاه البحر، وانضموا
لي أخوانم بعد تعب شديد، وفي طريق انسحاب الدراويش وقعوا في قوة الشيخ
ميسرة ود الزبير باشا والشيخ الطاهر ود العبيد وديل ما قصرنا معاهم تب.

عبد الواحد ضحك ومعهو الجنبو، وقال: والله الخواجات ديل أولاد كلب
أي جرية بمرقوها نصره ليهم غايتو الخواجات زي ما يقولوا أخذوا ليهم طلقة
وقاموا صوف، وكان ما عرب الجمعياب والعبادة كان راحوا فيها شمار في
مرقة.

ستیورات قال: داك يوم صعب كب كاس ويسكي وهو بيراجع في ذكرياتو.

واصل وقال: ياخ أنا كان ما مجنون مالي ومال الحرب دي أسع معاشي ما
مكفيني ولا الوسام الأدوني ليهو بيأكل عيش ذاتوو، كب من ويسكيهو تاني
وانفق الخواجات في القرقراب ودارت الكاس بين الأحباب وضاع تاريخنا
سراب في سراب.



أسد الخشش خال فاطنة

نقد اللّٰه و د عمر

أسد الخشخاش خال فاطنة

نقد الله ود عمر

(1)

الخال شريك الوالد ومعها ضحكة من عبد الواحد أضحكت الجميع من حولو إلا يا السجمان إت براك ياولد، جابذك خالك عبد المعين أصلو بخاف من مرتو وقاعد موحد تبع حزب جماعة (الأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) دا أكبر حزب في العالم عليالطلاق إن خشوا أي انتخابات ياخذوها هيسيع حزب الخوافين والموحدين وضحكوا على كلامو.

ضحك الجميع من حوله والولد قاليهو خالي ياهو ولدك وبتكون إنت الجبدتو وضحكعبد الواحد ونهروا «أسكت يا مسخوت أنا أسد الخشخاش خال فاطنة».

رد حفيدو: وقصة خال فاطنة شنو كان هسع بكورك لي حبوبة وأخذو ليهم ضحكة، وقال الحفيد: أحكي يا جدو احكي عليك الله.

اعتدل عبد الواحد وبقت عيونو بتلمع زي الكديس الشاف اللبن وتبسم وقال: الله يرحم الرجال والفرسان الله يرحمهم جميعا دي قصة من قصص الرجالة في تاريخنا ومن القصص المؤثرة والي لمن تسمعا شعرت جلدك تقوم وتكلب.

وكرر عبد الواحد كلامه وقال: تعرف نحن بنشوف الخال حنين وأي زول
بعجبو خالو، ياخ في مناطق في السودان بيقلو عليها بلد الخال، لأنو ناسا
متكاتفين وبينهم مودة، خلي دا عندنا أغاني للخال زي غنية خال فاطنة ودا
السالتمنو.

نط حفيدو وقال: عليك الله ما تحكيها أنا بشوف كلامها قوي وشعرا حماسي
وفيهار جالة لكن قصتا ما عارفادوت، أحكيها لينا أصلو حكاويك ما بتكمل.

(2)

عبد الواحد قعد يغني براهو وهو بستحضر في مشاهد عبر ونبرة صوتو تعلي
وتخفت كانوا في ملحمة من ملاحم التاريخ، أو بشاهد في دراما للتو، وسرح
بغني:

يسلم لي خال فاطنة ليهنبلالي البدرج العاطلة

أب كريق في اللججسدر حبس الفجج

عاشميق جبل الوججانا أخوي مقدم الحجج

يسلم لي خال فاطنة ليهنبلالي البدرج العاطلة

ياخريف الرتوعاب شقه قمر السبوع

فوق بيتو بسند الجوعياقشاش الدموع

يسلم لي خال فاطنة ليهنبلالي البدرج العاطلة

سام الروح سبلاوأنا أخوي جبل الضرى

سيد أم رطين ماضل فارس الألف نقد الله

واصل عبد الواحد: شوف البلد دي ملانة رجالة كان متعادين ولا متصالحين
البحكي عنو كلام بعبر عن مقنع الكاشفات، وأسد الخلا أب عيوننا كلها شرار
البحمي الضعيف، ودي عادة مشتركة تلقاها في السودان شرق وغرب وشمال
ووسط دي قيمنا وتاريخنا وفراستنا ولازم ما ننساها.

الناس تغني ساي لازم يعرفوا أصل الحكاية من فصلها وزى ما يقولوا من
هلمجرا، وغمر المكان ضحك أعقبته مطالبات بأنو يستمر في القصة.

(3)

أسحف كان بلد عامر وواحدة من مراكز شرق كردفان وقريبة من بارافي
زمن التركية السابقة، ولمن وقعت حوادث المهديّة وشوكة الأنصار قويت، وبقوا
خلاص ظاهرين، واتحولوا من الدفاع للهجوم، حاصروا الأبيض وأسحف
وبارا والتيارة وغيرها من مراكز الحاميات.

وكان في ناس مع المهديّة وناس ضدها والحالة جايطة شديد، وكتر الموت في
المعارك وكان أي حامية بخشوها الأنصار يقع فيها موت كتير لأنو فكرة المهديّة
ما بتعترف بي الما بيؤمن بيها والمهدي زي ما قال في منشور الدعوة (من لم يؤمن
بمهديتي فقد كفر).

عشان كدا الحالة ما كانت ثورة على الظلم وبس وإن كان في ناس زهجانين
من التركديل إيمانم ما كان من ناحية دينية، ووقفوا مع المهديّة عشان جور
الترك في الوكت داك.

(4)

قال عبد الواحد: قول يا سيد الامتني ليك كدا، الأنصار حاصروا حامية
أسحف والمسألة كل يوم ماشة صعبة، وكانت أسحف سوق ملان مال ومزارع
وثررة حيوانية وفيها الجوابرة وأهلك الجوابرة ناس شطار واتييزوا بجمال
نسوانم وفراستم وفيهم شيوخ يروبوا الموية في الإبريق.

والطمع من الأنصار في إسقاط الحامية الي كان فيها 200 عسكري تركي
والناظر والعمدة ورجال الجوابرة الي كانوا بيعتبروا الحاصل عركة بين الحكومة
والمهدية، شن دخلم فيها.

لكن الحصار ضيق عليهم الدنيا، وعرفوا إنو القصة وراها حصة، فقرروا
يمرقوا النسوان والشفع من حامية أسحف.

والزمن داك النسوان تقال في المشي والدنيا حرابة، كانن راسيات ناس الزينة
وبتول وبنونة زي مايقول الشاعر:

تمشي الهويني كما يمشي الوجي الوحل

واصل عبد الواحد وقال وهو يضحك: مازي بنوت الليلة ناس شيرين
وتماضر ورؤى ومنى. بنوت الليلة الواحدة تجي ماشة زي الركشة تقوم وراها
عجاجة وكرابة ونضمي في الفاضي.

وكان المحاصرين القيقر ديش من الأنصار أي مرقة من القيقر معناها الموت
الأحمر، والدنيا عصرت على الجوابرة والحكومة في الوكت داك.

الكلام دا قبال شيكان بي سنتين يعني بيقع في بدايات نشاط المهدية في كردفان،
أها قوول كدا، لمن ضاقت الواطا في أسحف وثبت الرجال قاموا قالوا يطلعوا
النسوان والشفع من الورطة دي.

«يا جدو ماتكرر أديني الحصل طوالي» قالها حفيدو وهو بتبسم.

(5)

عبد الواحد قال: زمان عندنا أستاذ عزيز علينا من أهلك ناس الدويم اسمو حسين عبد العزيز الله يرحمو بيقول أعود بالله من الحديث المعاد وبعيدوا تاني لكن كل مرة أحلى، وكأنك ما سمعتو قبال دا، الراجل دا عالم وبلاك أنقلش مان يعني إن حكي ليك قصة سيدنا موسى عليه السلام كل يوم يدريك فيها جديد وعجيب العلم بميز الرجال وأصبر على تميز جدك قالها عبد الواحد وانفقع بي الضحك.

عبد الواحد واصل وقال دي برة القصة خاطرة وترحم عليهو أرجع ليكم للقصة تاني وواصل، وقال: وكانت المناوشات مات فيها أكثر من مية من الرجال، وكان في أسحف فرسان زي محمد ود عوض ونقد الله ود عمر بطل قصتنا خال فاطنة وعدد من جيش حكومة الترك، وكان في بارا النور عنقرة وفي حامية أسحفمن الترك السيد الروبي ومسرور أفندي نعيم، ومحمد السنجك يعقوب وإبراهيم أغا كاشف.

أها اتبرع الفارس نقد الله ود عمر إنو يمرق النسوان والشفع لي بارا براهو لأنو ما كان ممكن يمرقوا من أسحف عدد من الرجال عشان كدا شال الشيلة وعصر على الثقيلة فارس الحوبة الله يرحمو.

ومرق بي حصانو وحربتو وسيفو وبنديتو ماشي متأني ويقدل ويقول لي النسوان وهو شاقبي بيهم العدو اتمهلن البصلكن ميت تب هيبع كع.

ومن هول المفاجأة ماقدرو المحاصرين من استيعاب الموقف الصعب دا وشقاهم بي الحريم عنوة.

واصل وقال: راجل واحد بي ألف راجل عيونو حمر، وما خايف الموت، ولا كترة العدو، ولا هماهوشي غير يوصل النسوان والشفع بارا سالمات وفي أمان وما استعجلن وقاليهن أجرين ولا كورك فيهن.

قال عبد الواحد بي فخر: كان مركز على العدو الشاقيهو رجالة وحمرة عين وشايل رحو في كفو، سيفو البجربو ما بقرب عليهو وحربتو عودا أبنوس مر. الأنصار المحاصرين أسحف نصهم منبهر بي رجالتودي وما مصدق الحاصل، ونص تاني ولا كتير عرف الزول دا البقرب عليهو عنقرتو تطير وشفاشو بتقدا وبخليهو للحددي رمة.

حفيدو قاليازول يا انت شن بتقول، اذا الجن بي ذاتو، راجل سايق معاهو هدف حلو ومضمون نسوان أسحف ويشق بيهن العدو المحاصرو دي قصة وليهن حق يغنن ويسمن عليهو حريم كردفان والسودان ما مصدق. زي كان حفيدو بواصل في استغرابو وعبد الواحديضحك: البقرب عليهو منو لكن.

قال عبد الواحد بهدوء: ديل رجال الواحد ما منواتنين، في الواطة فارس وإن غنموا في حراة ساكت وكارس، لآخواف ولا خان مقنع الكاشفات هيبيع أبشر والله.

وصل النسوان لي بارا وما في راجل ود مرة عرض قدامن على الرغم من أنو المسافة ما قريبة بتجي مشي بي الكرعين ضحوة وحاجة وضحك عبد الواحد. لكن وصلن مرتاحات ومطمئنات وبقن في مشكارو وبغنن ليهو ضي القبيلة وفارس أسحف أغاني كتيرة.

وكيل القنصل الأمريكي في الخرطوم

سنة 1871م

وكيل القنصل الأمريكي في الخرطوم سنة 1871م

(1)

عبد الواحد الليلة قال بحكي ليكم من المنسي في تاريخ السودان من وجهة نظر الأمريكيان زمان والكلام دا بدري خالص في زمن حكم الترك في الخرطوم.

واصل وقال: بعد نهاية الحرب الأهلية والأمريكان ختوا الدستور بتاعم وانتهوا من الصراعات بينهم، أها الحكومة الأمريكية بقت تفتش لي تأمين مصالحها التجارية وحفظ حقوق الأمريكيين في التحرك وكانوا تجار ومغامرين وواحدين لافين ساهي قالوا عليهم رحالة، بعدين الدستور بتاع الأمريكيان دا قال ماف حاجة تانية اسمها توسع ولّا استعمار، لأنهم يادوبك نضفوا بلدهم من شر الاستعمار البريطاني وانتهوا من حرب أهلية طاحنة.

إلا الأمريكيان أولاد الكلب الليلة مستعمرين العالم كلو قالها ومعها ضحكة صغيرة من عبد الواحد.

الأمريكان قاموا قالوا نعمل قنصليات زي الأوروبيين في الأماكن الممكنة نلقى فيها مصالح لنا دا كلام عبد الواحد.

في الخرطوم كان في خواجه قبطي في الوكت داك، وكان تاجر اسمو عاذر عبد الملك دا اللي بقي قنصل أمريكا.

بيحكى الخواجة عاذر واصل كلامو، وقال: الأمريكان عاينولي الدولة العثمانية هي الدولة العظمى في الوكت داكشان كدا قرروا يعملوا القنصليات فيها كان أهمها قنصلية الاستانة عند الباب العالي، ودا حاكم الإمبراطورية العثمانية اللي كانت محتله مساحة واسعة من العالم.

وكان السلطان بتاعها يقولو ليهو الباب العالي، وبيحكم باسم المسلمين إلا الباب العالي كان كل الحكمو فعليا من السودان سواكن بس، ودي ذاتها قنع منها، أجرها لي أولاد الباشا محمد ود عليخديوي مصر في الوكت داك.

قال خواجة عاذر: الوكت داك كان انفراد محمد عليباشا بسلطانو في مصر رغم كلامو إنو يتبع لسلطة الباب العالي إلا إنو كون إمبراطورية توسعية كبيرة، وبقى مهم في نظر الخواجات الإنجليز والفرنسيين والأمريكان لأنو كان متحالف معاهم ضمة، على الرغم من أنو يقول إنو والي العثمانيين في مصر.

واصل خواجة عاذر عبد الملك، وقال: الحكومة الأمريكية شافت إنو تفتح قنصلية في الإسكندرية تتبع لي سلطة قنصليتها عند الباب العالي في الاستانة لأهمية الدولة العثمانية، ولأنها ماسكة أغلب الممرات المائية المهمة في الوقت داك.

(2)

عبد الواحد قال: أول بي التبادي قامت الخارجية الأمريكية حددت السيد جون قليدون، ودا كان أكبر تاجر إنجليزي في ميناء الإسكندرية عشان يكون قنصل ليها في سنة 1849م في نهاية زمن حكم الخديوي محمد عليباشا في مصر.

حاج الماحي: المعنى عيون الأمريكان بدت من مصر وبعداك قبلت علينا.

عبد البين: اصبر ياخ خلي اللي يكمل وبعدين دخل خشمك.

حاج الماحي: واصل يا عبد الواحد سمينها رضىنا.

واصل عبد الواحد وقال: وبعد داك قامت أمريكا رفعت القنصلية في الإسكندرية إلى قنصلية عامة وعينو خليفة لجون قليدون واحد أمريكي اسمودانيال سميث، وداكان قنصل عام أمريكي في طرابلس الغرب يعني ليبيا الليلة، وكانت ليبيا واحدة من ولايات سلطان الدولة العثمانية في الوكت داك.

عبد البين: المعنى سميث عارف البلد عشان كدا عينوهو صاح.

قال عبد الواحد: الأمريكان كتبوا في جواب تعيين دانيال سميث (بالرغم من أن مصر لا تزال شكلياً تحت السلطة العثمانية، إلا أنها صارت في الواقع سلطة مستقلة، وصار لزاماً علينا أن نوثق علاقاتنا مع واليها، ورغم أن عمك يقتصر على تشجيع وتقوية العلاقات التجارية مع بلاده إلا أننا نحثك على مدنا بمعلومات أخرى تراها مفيدة)، الكلام دا مكتوب في ورق الخارجية الأمريكية أوراق تعيين القنصل سميث (Washington. DC Oct23. 1848) وثائق الخارجية الأمريكية).

(3)

عبد الواحد جاهو سؤال من حاج الماحيو قاليهو: أهادا كلو وأنحن مالنا ومال الأمريكان في شنو في السودان بهمهم عشان تحكي لينا القصة دي.

عبد الواحد قال ليهو: ياخ أصبر دي فرشة الصبر جبر جاييك يا أب شراوأنا لسة ما كملت السودان دا الطامعين فيهو اكنار من زمان عشان خيراتو الكتيرة، وما مستغلة، ودي واحدة من أزماننا اللي جابت طمع الأجانب في بلدنا.

واصل عبد الواحد وقال: في الوكت داك الدور الدبلوماسي والسياسي الأمريكي ما كان مؤثر إلا في العواصم الكبرى في ذلك الوقت زي لندن وباريس والاستانة وغيرها من العواصم المؤثرة في السياسة الدولية في الوكت داك، لكن كان في اهتمام أمريكي بمصر والسودان، ودا سببوا أن سلطة مصر المتمثلة في شخصية محمد علي باشا كانت تتجه لي إقامة إمبراطورية في قلب العالم إفريقيا

وأسيا، إضافة ليأنو السواح والمغامرين الأمريكان بقوا كتار بصورة ملحوظة في ذلك الزمن عشان علم المصريين والحضارة المصرية، وكان في كلام عن حضارة عايزة كشف في السودان.

واصل عبد الواحد وقال بلغة فصيحة: وحددت ثلاث مهام أساسية للقنصليات، وهيمساعدة وتوجيه السواح الأمريكيين وتوفير الحماية وسبل الراحة لهم، وقدر عدد السواح الأمريكيين في وادي النيل وقتها بعدد 4000 سائح سنوياً، وحماية المبشرين الأمريكيين، إذ انطلقت بعثات تبشيرية أمريكية، وحماية من دخلوا في الدين المسيحي على يد الجمعيات والمبشرين الأمريكيين وتشجيع التجارة ورجال الأعمال الأمريكيين اللي ظهرت لهم شركات تعمل في استيراد الحاصلات السودانية والمصرية، وبدت الشركات دي تحتاج لحماية لتنشيط أعمالها، وكانت أهم سلعة الصمغ العربي وبعدها ريش النعام.

خواجة عاذر بقى يتكلم مرة تانية لي ناسو عن دواعي التمثيل الدبلوماسي في السودان في الوكت داك.

وقال عاذر: لكن الهدف اللي ما قالوهو الأمريكان واحتفظوا بيهو سر هو متابعة التطورات السياسية في مصر الليبتصارح حولها النفوذ الفرنسي والبريطاني، وضعف النفوذ العثماني مع أطماع محمد عليباشا التوسعية لإقامة إمبراطورية، عشان كدا صانع القرار الأمريكي قرر أنو ما ينعزل عن مراقبة التطور دا.

واحد من اللي بتكلم معاهم عاذر وقاليهو: أميركا مش قررت الحيايد وما تخش في أزمة دولية.

رد عليهو عاذر وقال: مصر منطقة مهمة لأي دولة كبيرة ومحمد عليباشا كان فاير وشاغل الدنيا بي اتصالاتو مع الخوارج وحروباتو في الجزيرة العربية والشام وحصل جيشو لحدي جبال طوروس في جنوب تركيا وهدد سلطة الباب العالي.

الأمريكان قرروا يكونوا قراب من موقع الحدث وفتحوا قنصلية الاسكندرية والقاهرة وبعدها في المدن المصرية وفكروا يدخلوا في السودان الي احتلا هو محمد علياشا سنة 1821م، والمسرح بقى جايط وممكن تظهر حكومة جديدة تحتل الشرق الأوسط كلوا عشان كدا قالوا يبقوا قراب.

(4)

حاج الماحي قال كمل كمل يا عبد الواحد، وهو مستمتع بي الحكوة الي ماسمع بيها قبال دا ولا لاقاها في كتب المدارس ولا ونسوبيها من قبل دا. رد عليه عبد الواحد: أصبر أصبر نتم القصة ونجيك على شفقتك وتعرف الباقي صبرا يبل الأبري مافي.

واصل وقال: أها الحكومة الأمريكية طلبت فتحعدد من وكالات القنصلية ووصل عددها حداشر قنصلية في السويس، الزقازيق، أسوان، المينا، طنطا، أسيوط، جرجا، المنصورة، بني سويف، الأقصر والخرطوم كانت القنصليات دي بترفع تقاريرها لي القنصل العام في الإسكندرية والقاهرة طوالي، وتقاريرها متنوعة من سياسية واقتصادية وعلمية وغيرها من كل النواحي.

واصل عبد الواحد وقال: الأمريكان مع القنصليات الأمريكية فتحوا الإرساليات الأمريكية الدينية، لكن معارضة أقباط مصر خلت دور الإرساليات يتغير من الطابع التبشيري للتعليم، وذلك في العام 1845م، وكان الهدف من قيام القنصليات والبعثات التبشيرية متابعة الأحداث ورفع تقارير دورية عن حقيقة الأوضاع في المنطقة.

(5)

جيتك في المربوطة الخرطوم، ودي بدأ التمثيل القنصلي الأمريكي فيها في سنة 1865م لحدي يناير 1885م والزمن دا قامت المهديية وطردت الترك وفتح الإمام المهدي الخرطوم واتحرر السودان من احتلال الترك الي قاده محمد علي باشا في العام 1821م ولخبط البلد كلها.

عبد البين: أهمية الخرطوم في الوقت داك شنو الي بتخلي الأمريكان إنو يفتحو قنصليه فيها؟

رد عليهو عبد الواحد وقال: الخرطوم كانت مدينة الأجانب بامتياز، وكل الرحالة الزاروها قالوا عنها وكتبوا أنها (واحة أوروبية في مجاهل إفريقيا توفر لهم سبل الراحة وكل ما يقدمه العالم المسيحي المتحضر، فيها قنصليات لعدة دول بريطانيا وفرنسا وأمريكا وغيرها من الدول الأوروبية القوية والمؤثرة في النظام الدولي في الوقت داك) فهتمت كلامي؟

قال عبد الواحد: البعثة القنصلية الأمريكية الأولى استمرت من فترة غير معروفة البداية بالنسبة لي لحدي سنة 1865م والبعثة القنصلية الثانية فتحوها في العام 1871م، وما في معلومات كثيرة عن البعثة القنصلية الأولى وما لقينا أي وثائق عنها، وبعدها انقطعت أخبارا لي السنة الي ظهر فيها خواجه (عاذر عبد الملك) الي بقى وكيل قنصل الولايات المتحدة في الخرطوم لحدي فتح الخرطوم على يد المهدي في سنة 1885م.

خواجه عاذر عبد الملك كمل وقال لي أصحابو: أول زيارة لي شخصية أمريكية معروفة ومشهوره للخرطوم قام بها الشاعر والدبلوماسي والكاتب الأمريكي (جيمس بيبارد تيلر)، وقعد في الخرطوم ستة شهور وكتب كتاب عن رحلاتو وصف السودان وعاصمته الخرطوم، ودا كان في سنة 1851م، ومن المحتمل أنو الدبلوماسي (بيبارد تيلر) هو الي نبه الأمريكان لي أهمية السودان وقاموا فتحوا

قنصلية الأمريكية بعد زيارته الشهيرة للخرطوم. وقالبيارد: إن مركبة على النيل كانت تسير، وهي ترفع العلم الأمريكي لأول مرة في أرض السودان.

وقال عبد الواحد: بعد مغادرة بيارد الخرطوم طلب منو ريس المركب السوداني أن يترك العلم الأمريكي في مركبو عشان يضمن الحماية الأمريكية من ظلم السلطات في ذلك الزمن الغابريالي ينهب فيهو الحكام كل حاجة وبفرضو ضرائب كثيرة على السكان وأصحاب المراكب الشراعية، وكان ما دفع التاجر ولا سيد المركب بيقلعوهو منو ويشغلو مركبو في أعمال الحكومة من غير ما يدفعوا ليهو حاجة، وخلا بيبارد العلم الأمريكي لريس المركب.

وقال عاذر: أنا قرئت الكلام دا في (Bayard Taylor. Journey To Central Africa. New York. G. P. Putnam and company. 1854. p270

واصل وقال: أهأا الإشارة الثانية جات من الرحالة والمغامر الأمريكي الدكتور كليرنس م. بروانل.

عبد الواحد ختف الكلام من خشم الخواجة، وقال: خواجة كليرنس دا قابل قنصل بريطانيا في الخرطوم وقتها جون بترك وزوجته، وشال منو خطابات وانطلق في رحلة لأعلي النيل وتوفي في إحدى جهاتها ورسل النعي بتاعو القنصل البريطاني وزوجته، وكتب مات الرحالة الأمريكي، وقام جون بترك باع حاجات كليرنس، وتم إيداعها أمانات لدى وكيل القنصل الأمريكي في الخرطوم وقتها اللي هو الخواجة عاذر.

ضحك عبد الواحد وكمل قال: جون بترك كان تاجر رقيق ورفعوا فيهو شكوى، وبعد داك ردفوهو من القنصلية لأنو ماكان متلزم بي القوانين الإنجليزية وغنى في السودان غنى فاحش، وكانت عندو زرائب وكبانيات باعها للمصريين زي موسى العقاد في الاستوائية وبرضو باع لي أبوعموري كبانية جنب مشرع الرق.

(6)

عبد الواحد قال: في العام 1862م ذكر الرحالة البريطاني صمويل بيكر أنالخرطوم فيها قنصليات لفرنسا والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وجاء أيضاً في حادثة الباخرة عباس اللي انقذتبالصخور في ديار المناصير قبالة جزيرة الكون وقرية الهبة، أن شيخ المناصير والمعروف باسم عثمان ود القمر قد كتل القنصل البريطاني والقنصل الفرنسي وعدد من الأجانب واللي عرفوها تاريخياً بواقعة يوم الهبة ودي حكيتها ليكم في قصة جمال الكرنوق.

(7)

عبد الواحد شرب من كباية الموية القدامو، وقال: الخواجة عاذر عبد الملك عرفو بأنو أول وكيل قنصل أمريكي معتمد في الخرطوم، وهو من الأقباط وساكن في الخرطوم وعندو جنينة كبيرة قبالة جزيرة توتي معروفة في وقتها، كان عاذر عبد الملك وأحد أثرياء الخرطوم وتجارها المعروفين بالصدق والأمانة كعادة أهلنا الأقباط كلهم.

واصل وقال: بقى دار عاذر منزله للسواح والمغامرين الأمريكيين، وكان الأجانب قناصل وحكام بما فيهم غردون اللي كان حاكم عام السودان يبجي يتردد على بيت الخواجة، لحدي ما كان ديوانو بينفسي خالص دايماً مضيوف، إضافة لى أعماله التجارية في الخرطوم بالأخص في شراء الصمغ العربي وتصديره عن طريق سوكن لي أميركا راس.

خواجة عاذر قال: وهو بسترجع الأيام ديك وبتذكر اهتمام الأمريكيين بي خبر الأورطة السودانية، والليجاء في الوثائق الأمريكية اهتمام خاص بالمقاتل السوداني بعد نجاح أورطة الجنود السودانيين في المكسيك، وقمعهم للتمرد بعد 24 معركة كبيرة ضد عصابات المكسيك، وما إنهمو في واحدة، والأورطة دي رسلها الخديوي سعيد باشا.

واصل عاذر وقال: وفي سنة 1863م كانت الولايات المتحدة تتبنى سياسة العزلة المجيدة، وكان مبدأ الرئيس مونرو والي يقضي بمنع الدول الأوروبية من التدخل أو حيازة مستعمرات في القارة الأمريكية، وكان الفرنسيين والنمساويين دخلوا في حروب مع الثوار المكسيك واستعانوا بالأورطة السودانية، عشان كدا لقى السودان اهتمام من بدري بشؤونه في دوائر صنع القرار الأمريكي وقتها.

(8)

قال الخواجة: طلبت مني وزارة الخارجية الأمريكية ومن قناصلها في وادي النيل يدهم أي معلومات عن الأورطة السودانية والأورطة الثانية الي كان بجهزوا فيها عشان تمش تغير الأورطة الأولى في المكسيك.

كان فهم الأمريكان أنو العساكر أخذوهم بي القوة من بلدهم يعني أخذوهم كعبيد ومرزقة وماعارفين أنو الحرابة في دمهم جارية.

عبد البين ضحك وقال: من زمان قصة مرزقة دي مدورة فوق رأسنا والله كلام، وضحك الجماعة المعاهو، وقال خواجة عاذر بالغ غايتو إن قال للأمريكان كدا.

خواجة عاذر واصل، وقال: عشان كدا كان التكليف بمتابعة تجنيد السودانيين في الأورطة دي لشك كبير تسرب في نفوس الأمريكان بأنو الجنود رقيق تم اختطافهم وتجنيدهم من قبل الترك في السودان، إضافة إلى النجاح الذي حققوه في إخماد الثورة في المكسيك، كان مدهش للغاية وقتها ودا خلى في اهتمام بالسودان في الوكت داك.

وظيفة قنصل الولايات المتحدة الأمريكية التي استلمها الخواجة (عاذر عبد الملك)، فقد كان من كبار تجار الصمغ العربي في السودان، وكانت أعماله ناجحة.

عبد الواحد واصل: جاء في تقرير القنصل الأمريكي العام المستر جورج هـ. بتلر في الإسكندرية في يونيو 1871م الآتي (أما عاذر عبد الملك فهو تاجر كبير في الصمغ العربي الذي يصدر للولايات المتحدة الأمريكية، وهو قبطي من رعايا السلطان ويتمتع باحترام مواطنيه من المسلمين والأقباط، وقد قام بمدي بمعلومات تتصل بالتجارة في وادي النيل والمصالح التجارية الأمريكية في السودان، كما أنه أصدر التعليمات لوكلائه في أواسط إفريقيا للبحث عن الدكتور ليغنقستون وتقديم كل مساعدة ممكنة له، وإن عاد سالمًا سيكون مدانًا لوكيل القنصل الأمريكي في الخرطوم بسلامته، خاصة بعد إعفاء المستر جون بشرك القنصل البريطاني من وظيفته).

(9)

في سنة 1872م، قالها عبد الواحد بعد ما وصلت صينية الشاي ومسك كبايتو. وقال: استقبل وكيل القنصل الأمريكي في الخرطوم عاذر عبد الملك في بربر الصحفي الأمريكي المستر الفنان س ساورثورث مراسل صحيفة النيوهيرالد. ودا قعدت تحت ضيافة وكيل القنصل الأمريكي عاذر عبد الملك ستة شهور وألف كتاباً موسوعة عن السودان الموارد والسكان والعادات وتجارة الرقيق.

واصل عبد الواحد: كما ان استقبل عاذر عبد الملك الصحفي الأمريكي ستارلينق، ودا كتب برضو عن السودان وعن شخصية عاذر عبد الملك، وقال (قبل وصولنا بربر بساعة استقبلنا عاذر الوكيل القنصلي للولايات المتحدة الأمريكية بالخرطوم، الذي جاء خصيصاً للترحيب بنا، وجدناه رجلاً مسنّاً فكهاً خفيف الظل، ومستعداً للقيام بأي مهمة من أجل راحتنا، وهو بلا شك أغنى تجار السودان وأكبرهم سنّاً).

(10)

الخواجة عاذر كان نشطاً ومواظباً في إرسال تقاريره للقنصلية العامة للولايات المتحدة الأمريكية في الإسكندرية، وهو أول من كتب بسلامة الرحالة بيكر اللي اتوغل في جنوب السودان واللي انقطعت أخباره في العام 1873 م، وكذلك أبرق بموت الضابط الأمريكي المستر كامبل الذي كان يعمل في خدمة الجيش المصري ومعه عدد من الضباط الأمريكيين في زمن الخديوي إسماعيل باشا.

إستارلنق واصل، وقال وهو يتكلم عن شخصية عاذر عبد الملك وقال: اتنوّعت برقياته لتشمل كل الأوضاع في السودان بما فيها التجارة وأحوال المناخ وهطول الأمطار في السودان.

خواجة عاذر قال: الأمريكان أيضاً أظهروا اهتماماً كبيراً بميناء سواكن وتم ترشيح الإغريقي موسكو ناس ودا كان تاجر في سواكن، وذلك بهدف متابعة الحاصلات السودانية المصدرة إليها ومتابعة تجارة الرقيق في السودان التي تخرج عبر ميناء سواكن، وتم ترشيح التاجر الإغريقي موسكو ناس في العام 1880 م، الكلام دا قبل قيام المهديّة بي سنة تقريباً.

عبد الواحد كمل وقال: ولكن الخارجية الأمريكية رفضت تعيينه واكتفت بتقارير عاذر عبد الملك التي كانت تتحدث عن تجار الرقيق وحمولاتهم ومعاملة التجار للبيد والحاصلات السودانية، إضافة إلى الأوضاع في الخرطوم، و(عاذر عبد الملك) كانت تربطه علاقات واسعة مع كل رجالات الحكم والتجار والإدارات الأهلية في السودان.

(11)

أها والحصل شنو؟ الكلام دا في مناهجنا مافي يا جدوليه؟

رد عبد الواحد وقال: وقاليهو انتو ما قريتوا حاجة.

وواصل كلامو، وقال: في العام 1882م احتلت القوات الإنجليزية مصر وأصدرت (قانون إلغاء القنصليات)، وجاء في القانون أن كل الأجانب تحت حماية المحاكم الدولية ولم تعد هناك حاجة للقنصليات، وقبل أن يبلغ القرار عاذر أغلقت قنصلية القاهرة العامة، ونشبت الثورة المهديّة في شمال السودان لتقطع طرق الاتصالات بين مصر والسودان.

قال عبد الواحد: أثناء تحرير الخرطوم قتل عاذر عبد الملك على يد الثوار الجدد الكلام دا كتبو سودانية شاطرة اسمها ميمونة ميرغني حمزة، حصار وسقوط الخرطوم، وطبعتو دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر في سنة 1972م في كتابها في صفحة 7.

(12)

عبد الواحد قال بسراع سراع: لكن قبل تحرير الخرطوم وفي أيامها الأخيره سلّم وكيل القنصل الأمريكي الحاكم العام غردون باشا مبلغ 72000 ريال نقداً و126.315 ريال عبارة عن بضائع وغردون أداها بونات أو كمبيالات يشهد ليهو بي حقو في القاهرة لو قدر يهرب من الخرطوم. لكن إرادة ربنا غالبية وقتل الخواجة عاذر اللي نعتو الصحف في أمريكا، بس الغريب ما قالوا في عمل إرهابي، وأطلق عبد الواحد والحضور ضحكة كبيرة.

الأذان قال الله أكبر وقام عبد الواحد شايل إيريقيو وعرفوا السامعين تاني ماف إلا الصلاة ومشى كل زول يجهز نفسو عشان يلحق صلاة الجماعة.



هيا لاسلاسي في الخراطوم

هياسلاسي في الخرطوم

بتعرف يا حاج الماحي الراس تفري موكنن ولدي ميكائيل ولا ما سمعته
بيهورد حاج الماحي: لا والله.

ضحك عبد الواحد وقال: دا ما هياسلاسي إمبراطور الحبشة المشهور.

أها عرفتو، رد حاج الماحيو عبد البين كان بتنصت في كلامم ساي.

الليلة جبت سيرتو أكيد فيها قصة لذيذة، قالها حاج الماحي.

أيوة اعتدل عبد الواحد، وقال: أنا بحكي قصة حصلت في زمن الإنجليز
في السودانلهمان كانت الحبشة إمبراطورية مستقلة، أها كانت علاقتها مع الإنجليز
والفرنسيين حلوة في زمن الإمبراطور منليك، ووقع معاهم اتفاقات زي حقت
الحدود بين الحبشة والسودان اللي لي هسة ملخبته ومشاكلها كبيرة وكثيرة.

لو تتذكر قلت منليك مكار لمن كان بتباحث مع هارتنتون القنصل البريطاني
في أديس أبابا طلبوا منو مندوب في ترسيم الحدود.

الإمبراطور منليك قال للإنجليز: إنتو منو مندوبكم؟

قالوا ليهو الإنجليز: الكابتن قوين.

نطّ منليك قال للإنجليز: دا مندوبي الشخصي وعاييز أطلبمنكم إقليم بني
شنقول وبديكم حق التنقيب في الذهب لي خمسين سنة وعاييز مدينة المتمة تبقى
حقتي لأنو فيها عدد بسيط من الحبش المسيحيين لو مشوا السودان بقوا

مسلمين وبديكم قامبيلا تعملوا فيها محطة جمارك وتدوني ليها بعد تطلعوا من السودان.

والإنجليز ما كان بهمهم أنو قمبيلا ولّا بني شنقول المهم نفوذهم والسودان محتل ما عندو زول بتكلم عنو والمصريين كانوا شركاء لكنهم كانوا الطرف الأضعف ما بحركوا ساكن وفقدنا الكثير، ياخ أقوليك مصر ذاتها مستعمرة وما عندها رأي مع الإنجليز ضمه.

ضحك حاج الماحي وقاليهو: والله قصة لكن الكلام دا متينياشيخ عبد الواحد؟

عبد البين: قادر الله القصة دي ماعارف فيها حاجة وبقيت تكسر في التلج كمان يا شيخ قادر الله.

رد عليهو عبد الواحد وقال: الكلام دا حصل بعد كرري ولحدي 1902 م الإنجليز تموا المؤامرة وخلوا حاجات كتيرة معلقة لسع بنعاني منها ودي قصصا بتاخذ زمن.

أها يا يا يا حاج عبد الواحد ودا علاقتو بالراس تفري شنو؟ قالها حاج الماحي.

ضحك عبد الواحد، وقال: أصبر، دي تقديمة وبعدين نخش في اللحم الحي.

واصل وقال: بعد منليك مات الحبشة جاطت وبقت صراعات بين الأسرة الحاكمة لحدي ما نطّ الراس تفري ومسك الحكم وأخذ أي معارضة، وقال إنو نصف إله وجاب حاجات غريبة وعجيبة، المهم بقي هو الإمبراطور وإلاله والكل في الكل. وكانت علاقتو مع الإنجليز في السودان حلوة وسمن على غسل ومسكالسلطة سنة 1930 م وسمى نفسو هيلاسلاسي أي قوة الثالوث المقدس.

(2)

هيا سلاسي بدأ في تحديث الإمبراطورية وبناء الجيش وختّ دستور واشتغل في حاجات كثيرة كويسة، لكن كان شايف نفسوا وبيعتبر كلامو تعليقات إلهية واجبة التنفيذ عشان كدا كان حكمو حار.

قال عبد الواحد في حسرة: لكن كان بعذب المسلمين حرق قراهم وما خلا فيهم زول وما ضربو وحرق قراهم وعمل إبادة منسية في تاريخ الحبشة ذاتها.

عبد البين ضحك وقال لي عبد الواحد: قادر الله يعني بكرة ممكن تحكي لينا عن منسي الحبشة والله محن، واستغرقوا في حالة من الضحك

لمن الحكومة المصرية احتجت على تصرفاتو والإنجليز نصحوه يرفع يدهو الباطشة من مسلمي الحبشة، ودا خفف عليهم، لكن ما ريجهم من شرو.

واصل عبد الواحد وقال: اهتم هيا سلاسي ببعثات الضباط لي بلجيكا وفرنسا وبريطانيا، وهو أول حاكم إفريقي استخدم الطيران في ضرب التمرد في مرتفعات إريتريا، وكان بقود التمرد أمير اسمو قوقسا من التقراي، وضرب أي متمرد في راسو، وحكم بالحديد والنار، وما قدم هدنة لأي زول بعارضو، الراجل كان صعب شديد.

(3)

لكن ظهر خطر دا هم عدوان الإيطاليين على الحبشة، والمعارضين لقوها فرصة واتحالفوا مع الإيطاليين، في الوكت داك كان في عصبة الأمم، وكان عدوان إيطاليا على الحبشة واحد من أسباب قيام الحرب العالمية الثانية، وفتقت المنظمة الدولية، وجاط العالم، لأنو موسليني رئيس الطليان كانت عندو أطماع كثيرة وكبيرة، وبقى معاهو هتلر وتذكر ونستون تشرشل الي كان حكيت عنوا بقی فيما بعد رئيس وزراء بريطانيا، وكل ديل ناس حرب ودواس ساي.

واصل بعد اتكأ في الكرسي المتهالك في دكان حاج الماحي وقال: الله حي، واصل. وقال: إيطاليا كانت مغبونة من نتائج الحرب العالمية الأولى من الأوروبيين وكانت محتلة إريتريا والصومال الإيطالي وطمع موسليني كبير في مزيد من الأراضي.

لكن فقر إريتريا والصومال وضرب هيلاسلاسي للمتمردين في إريتريا ضيع فرصا في الغنائم ولأنو الأحوال أحسن في الحبشة خلاهم يفكروا فيها، لأنها غير مستعمرة، وفيها خيرات، ممكن يمصوها يعوضوا بيها خسارتهم في الحرب العالمية الأولى، ولأنو الصومال وإريتريا مافيهم حاجة مفيدة، وموسليني كان يفكر يعمل مستعمرة كبيرة في شرق إفريقيا. ويمص دم الغلابة عشان كذا كانت الحبشة هدف مناسب ودي الجابت خبر هيلاسلاسي وخلتو يجري ما يقيف.

أهو الأطماع بتاعت الاستعمار وبشوفوا المكان الهش لأنو كان في صراع نفوذ غريب بين المستعمرين أنفسهم.

حاج الماحي: أهأا يا يا حاج عبد الواحد الكلام دا علاقتو شنو بي السودان، وبي حكايات من بلدنا.

أصبر يا حاج الماحي ماش عليك، الكلام جاي لي قدام قالها عبد الواحد.

قال عبد الواحد واصل كلامو: أهأ بعد معارك صغيرة بين الحبش والإيطاليين، قام موسليني غزا الحبشة واحتلاها، وقامت الدنيا ما قعدت، واضطر هيلاسلاسي للهرب، وجاء جاري وين قايل؟

أهأ يا حاج عبد الواحد جاء جاري وين؟ قالها حاج الماحي وهو منفعل.

جاء السودان، رد عليه الحاج عبد الواحد.

(4)

شوف يا حاج الماحيا لعلاقة بين الحبشة والسودان تبادلية وقوية وزى ما بيقلو الاستراتيجية، دي علاقة ساكن السهل بي ساكن الجبل.

وقال عبد الواحد: هيلاسلاسي جاء السودان وقعد في بريتاغت الخرطوم دي، بالمناسبة بري دي أيام حصار الخرطوم في زمن غردون باشا زمان سنة 1885 موابتها مسمنها الدار الآخرة كل يوم فيها اشتباك وموت كليوم وفيها المظاهرات مسخنة كما نبرضو من زمان بري كلامها براهو، واستغرقوا في الضحك.

واصل عبد الواحد، وقال: المهم قعد معزز مكرم وبيجمع في رجالوا ويدربهم عشان يحرر الحبشة، والإنجليز أدوهو العايزو نكاية في الإيطاليين عشان هم متحاربين معاهم، والشعب السوداني كمان أكرموا غاية الكرم.

واصل عبد الواحد وقال: وكمان قوات دفاع السودان وققت مع الحبوش في تضامن غريب النوع والمحتوى، الغريب أنو هيلاسلاسي باع كل حاجة لمن كان في لندن فلس فلس شديد حتى عجز عن أنو يشتري فحم للدفاية، ولمن جاء الخرطوم أكرم بعد ذلة، ولقى تضامن معاهو حتى فكر في الرجوع علي ملكو في أديس أبابا.

وبدأ المقاومة في الحدود وجمع رجالو بقوا بز عجو الجيوش الإيطالية في حرب عصابات رهيبة وشاركهم السودانيين، فهمتو القصة دي فيها جزء من تاريخنا المنسي برضو.

(5)

عبد الواحد قال: أها قول كذا الجرايد في الخرطوم بدت تكتب. وقالت جريدة الفجر إنو الإيطاليين بشتروا البهائم من السودان ومفروض دايقيف فوراً لأنو الإيطاليين محتلين لايجب التعامل معاهم.

عبد البين: والله ناس الجرايد قصصهم قصص ما الطليان محتلين والإنجليز زيهم ولا في خيار وفقوس.

واصل وقال عبد الواحد: أي في خيار تقييل الإنجليز كانوا برضو محتلين وضحك، لكن مصلحتهم الرأي العام يتعبأ ضد إيطاليا، الدنيا مصالح والآخرة دار عمل، وأخذوا ليهم ضحكة.

حاج الماحي: هوي يا ناس راجل أمك أبوك، وواصلوا في الضحك.

وناس كتبوا عن مفهوم العدالة للأسود والأبيض وقالوا دا الرق الحديث، واحتلال الحبشة نشط السود في أمريكا وأوروبا وأمريكا اللاتينية وجمعوا تبرعات لدعم الإمبراطور لي تحرير الحبشة.

عبد البين: وين الشعب الحبشي من الكلام دا ما كانوا مهتمين ولا شنو؟

عبد الواحد قال: كيف دا كلامك كانوا بيقاموا الطليان، وكان في حبش بهربو بنضموا لي جيش الإمبراطور في السودان، والعالم جاط كلو بين معارض ومؤيد للإمبراطور اللي عندو حضور قوي في دول أمريكا اللاتينية وسود أمريكا، وكمان الداعمين السودانيين برضو اللي اتطوع عدد منهم في جمع التبرعات.

والنفع هيلاسلاسي إنو في حبشة كتلوا الجنرال جرياني، والإيطاليين قاموا انتقموا من الحبش وقعوا فيهم قتل وتشريد، ودا جاب لاجئين من الحبشة. الإمبراطور استفاد منهم وفتحوا ليهم معسكرات في السودان وجندهم، وجمع السودانيين الأموال والكساء والأكل، القضية بقت قضية راي عام.

قال عبد الواحد: حتى الشفع كانوا بلعبوا بوليس وحرامي قلبوها حرابة بين الحبش والإيطاليين، وفي النهاية النصر مضمون للحبش، أها الإنجليز عرفوا أنو وقوفهم مكتوفي الأيدي بجيب ليهم هواء وإنو امتصاص الموجة ديبالتفاعل معاها ودعم الإمبراطور حتى لاتقوم ثورة جديدة في السودان، لذلك خلوا الناس يعبروا عن غضبهم، ودا كان ذكاء وقرائة حلوة لسير الأحداث بعدين الإنجليز كانوا زهجانين ومعادين الطليان عشان اتلاقت المصالح وتعبوا الطليان.

والزاد الأمر أنو موسليني يوم عشرة من شهر ستة سنة أربعين أعلن الحرب على بريطانيا، بالتالي الحدود ممكن يحصل فيها دوشمان وبقى المرمتوقع شديد.

قال عبد الواحد: أها قام الحاكم العام نادى الزعماء والشيوخ والأعيان في اجتماع جامع في سراي الحكومة في الخرطوم وبلغهم بالموقف، وأنهم حاياربوا الإيطاليين ودي لقت قبول من السودنيين كلهم، واستفاد منها الإمبراطور، واتكيف.

واصل عبد الواحد الحكوي، وقال: الإيطاليين كمان عشان المقاومة من السودان احتلوا كسلا والقلابات وكرمك، وضربوا حمار كلتوم ست اللبن بي الطيران، وضحكوا كلهم، وبقث زيتة وزمبليطة وغنا وخلاس كل زول كرب نفسو.

حاج الماحي: بالله دا حمار كلتوم ست اللبن اللي بتغنها الفلاتية أما حكاية. واصل واصل القصة حلوة وصحي من المنسي بتاعنا.

وبقت قوة دفاع السودان بتحارب في كسلا وكرمك والقلابات ومنطقة الطابية في حظيرة الدندر بتدافع عن حدود السودان الشرقية اللي ولعت نيران وحرابة مع التيليان زي ما بيقولو.

ودي كانت أول تجربة لقوة دفاع السودان في الخارج والحدود وثبتت في قرورة وكسلا والقضارف وحظيرة الدندر وكرمك وأي مكان لا قوا فيهو الطليان.

(6)

عبد الواحد جر نفس طويل، وقال: بعداك لموا الصفوف قوة دفاع السودان وجيش هيلاسلاسي ومليشيات الحبش واتحركوا من الخرطوم لي مدني ومنها لي سنارلروصيرص.

أي حلة ولا مدينة مروا بيها كان بيكر موهم ويدعموهم دعم غير محدود كان برحبوا بيهم ويصفقو ليهم.

من الروصيرص لي جبل القرى الي يقع شرقها ومنو إلى مقنو والطابية ودي في مدخل نهر الدندر مع الحدود الإثيوبية، وبعداك دخلوا إثيوبيا تووف لحدي مدينة دير مكاريوس، ودي أول حراة، وبعدها خشوا أديس أبابا منتصرين.

قدم السودان 140 شهيداً وعدداً من الجرحى ومنح الإمبراطور أوسمة ونياشين، وأشاد الإمبراطور هيلاسلاسيشجاعة السودانين في تحرير إثيوبيا، وقال (دا دين على إثيوبيا للسودان ما بننساها).

أها الكلام والله منسي لازم نتذكروا، ودي قصة الدور السوداني في تحرير إثيوبيا، عرفت عبد البين وحاج الماحي وشيخ مصطفى، الحبش بيقدروا السودان ليه عندهم دين في رقابهم ما حلوهو لسة.



المحساني الغيت عليا بلولة

الحساني الغتيت عليا بلولة

(1)

الباقى للشهر أيام والدنيا أربعاء وعقاب شهر زي ما بيقولو وعبد الواحد بيحسب في الأيام عشان يقبض المعاش بتاعو وشغال بحسب في الديون عبد الواحد قاعد في الراكوبة ومعاها ولد بتو، وبدون مقدمات، ضحك وقال اتذكرت ليك قصة عجيبة خالص يا ولدي.

واصل وبقى بنضم براهو، وقال بي لغة عجيبة وبى أسلوب أدبي رفيع: في الصحراء الناشفة اللي تقطعها النيل ريحها الحارة وأحر من السموم بالنهار، ولكن بعد ما تميل الشمس للمغيب تبرد الحر وتتحول لسراع لبرودة حلوة تنعش المسافر ينوي يعكس الشفق الأحمر مع الرملة الذهبية منظر جميل للغاية، النيل عامل زي خيط الموية في عمق الصحراء زي بيتلويزي ثعبان ماشي بيرسم في الواطة آثارو.

ولكن على جوانبو بيعث الحياة والنضار في الصحراء، النيل دا قصة تانية وهو السبب الأساسي اللي بيخلي الغزاة طوالي بيجو من الشمال ودا المغربي برضو الرحالة والمستكشفين والمجانين منهم والباحثين عن المال والسلطة في السودان.

واصل وقال بعد أن شرد بي فكرو: في تاريخه السودان هو أرض الذهب والحضارات والبلاد المجهولة زي ما بيقول الأوروبيين وبالنسبة ليهم هو غير المستكشفة على الرغم من أنو حضاراتو أعمق ومركوزة في تاريخو الطويل.

(2)

الحاجة العازة كوركت بي طول حسها الحاج عبد الواحد بدورك تجيب لينا حاجات من الدكان.

رد عبد الواحد: شن بتدوري رسلي الوليد دا بلا هارينني بطلباتو بتاعت الحكاوي..

ضحكت وقالت: براك معودو عليها بدور بصل وزيت وصلصة وماتنسى اللبن.

ياخ خليني عندي كلام مهم قالها عبد الواحد.

ردت عليه العازة: خلاص أمش وتعال قولو إلا بدور الحاجات، وإن ما عندك أكتبها في الدفتر أصلو الشهر انتهى.

الحاج بقى مارق ومرق سراع سراع وبتذكر في ديونوفي دكان حاج الماحي وأتشهد وأستغفر الله، وهو خايف من قصص حاج الماحي صاحبو.

(3)

لمن وصل دكان الماحي لقي أصحابو الحاج محمود عبد البين وعبد اللطيف مصطفى قاعدين في ضل دكان حاج الماحي.

مما شافو الحاج محمود قعدوا جنبو في أقرب كرسي وطايبو وبعد السلام.

حاج الماحي: إت الحاج عبد الواحد قصة ونجت وسلاطين ونعوم شقير ناس مخابرات كتشنر شنو؟ الناس ديل دواهي وماف زول لعب بيهم أصلو. ضحك عبد الواحد وقال ليهم: هوي أنا مرسل وإن فتحنا القصص فيها المنسي كتير، دواهي وين، ديل لعب بيهم وليد صغير ياخ.

واصل عبد الواحد وقال: في نهاية القرن التاسع عشر كانت الثورة المهدية في السودان بتحارب الحكم الخديوي المصري في السودان أو ما يسمى كضبوطلفيق بالتركية السابقة، وكانت نهاية حروب المهدية الكبيرة أو ما رسمت نهايتها هي حملة كتشنر اللي انتهت بمعركة كرري وهزيمة جيش الخليفة عبد الله التعايشي في يوم 2 سبتمبر 1898م.

حاج الماحي من جوه دكانو كورك لي عبد الواحد وقال ليهو: دا كلنا عارفنو الجديد شنويا الحاج عبد الواحد.

ضحك عبد الواحد وقال: والله ما عندك صبر أصلو خليني أكمل كلامي. أهأا قولو الحرب واقعة واقعة وحملة كتشنر ماشة على أم درمان كل صباح تصبح في حطة وراكبين البوابير وبجدعو في خط السكة حديد وماشين على مقرن النيلين.

وكانت الحرب المهمة هي حرب المعلومات كل طرف عايز يعرف أي حاجة، أهأا ناس ونجت وسلاطين ونعوم شقير عندهم مصادر والخليفة عايز برضو معلومات وأخبار الترك وكلف الأمير عبد الباقي الوكيل عشان يقوم بالمهمة دي.

عبد الواحد واصل وقال: كان في شاب أسمر عمرو سبعة وعشرين سنة وهو حساني من أهلك الحسانية بتاعين جبال الجلف في شمال السودان في الضفة الغربية للبحر. كان عريس يادوب مع زوجته الحسانية بنت عمو، وكانمقاتل في جيوش المهدية تابعلي جيش الأمير عبد الباقي الوكيل اللي كان مسؤول من

التماس مع جيش كتشنر، ودي طريقة قديمة عملوها الأنصار في معركة شيكان.

عبد البين الي كان قاعد مع أصحابو في دكان الماحي قال بي استغراب: البلد فيها حرابة والوليد محارب البودي يعرس شنو؟ وضحك الحضور.

عبد الواحد قال ليهو: الأنصار حسب ما كان شايع في الوكت داك أنو المهدي قال بتجي جردة ترك وحا تنباد في سهل كرري وأي زول بنط كرري بموت ساهي.

واصل وقال: دي كانت خدعة من الإنجليز زاتم عشان يضمنوا المنطقة البحاربو فيها ودا اسمو اختيار ميدان القتال أو أرض المعركة الي بتنفع معاهم والخليفة بلع الطعم واتغش ساهي.

عبد البين قال للعبد الواحد: أنا الخليفة ما عندو البيدي النصيحة ماشي أعمى وأطرش كيفن يتغش يا حاج عبد الواحد.

رد عليه عبد الواحد: في الي أداهو النصيحة وما اشتغل بي كلامم عثمان دقنة قال يا نحارب في السبلوقة ولا ننسحب غرب عشان بوابير الكفار فيها مدفعية ممكن نتجنبنا... لكن ماف زول اشتغل بي كلامو ووقعت المصيبة ونهت المهدي.

(4)

في الوقت دا كان نعوم شقير واحد من الريسين الخطيرة في المخابرات بتاعت كتشنر وبقي رئيس قسم التاريخ في قلم المخابرات لمن أعادوا تنظيمو بعد نهاية المهدي، وكان قاعد في مكتبو بوجه في مجموعة من الضباط الجدد الي حاشتغلوا في السودان وبيحكى ليهم عن مقال كرري.

نعوم شقير قال: تقدم حملة كتشنر نحو أم درمان كانت المصاعبالقداما توفير المعلومات الاستخبارية عن قوات الخليفة عبد الله والدفاعات الطوابي وتوزيع

الجيش وطرق الإمداد وبالمقابل كان الخليفة يجتمع مع الأمراء الكبار في مجلس حرب يوفر للخليفة عبد الله التعايشي معلومات ثرة، وكذلك أسس نقطة ودبشارة وفيها عبد الباقي الوكيلونقطة في الغرب في جبرة الشيخ فيها يونس ود الدكيمودي كانت بعيدة عن مسرح الأحداث ذاتو.

واصل نعوم شقير وبعد أخذ نفس عميق من سيجارتو، وقال: ونجت باشا الوكت داك كان مدير قلم المخابرات بدأ عمل منظم للمخابرات بتجنيد التجار اللي بيسافرو بين مصر والسودان وعدد من الزعماء السودانيين ورجال في دولة المهديّة في أم درمان وأقاليم السودان المختلفة، وكانوا منتشرين في كل الطرق اللي حا يتقدم فيها جيش كتشنر باشا.

سألوا واحد من الضباط الجدد وقاله: طيب ياسعادتو نعوم شقير الأنصار ما كان عندهم نشاط استخباري مضاد.

رد عليه نعوم شقير بالحيل وبالمقابل الخليفة كان يعمل عمل على كشف الجواسيس بتاعنا وأساليب ناسنا وطبيعة نشاطنا، ونجح في اعتقال عدد من المعارضين ليهو البشك بس فيهو برميهو في سجن السائر.

(5)

عبد الواحد اتوهط في كرسيهو، وقال: أما الأمير عبد الباقي الوكيل كان قائد الجبهة الشمالية بي اعتبار، وكان في تماس مع العدو، وكان ينسحب جنوباً، ولكنو كان يبقى تماس مع قوات العدو الإنجليز عبر الجواسيس والاستطلاع، وكانت عندو مجموعات من الفرسان تشق الصحراء ليل نهار، وبنقلوا المعلومات بي صورة فورية.

كانت معلومات عن أي تحرك للحملة جنوباً، وكانت هذه الخيول تصل تماس الحملة، وترجع جنوباً إلى موقع الأمير عبد الباقي الوكيل ومنه جنوباً إلى أم درمان، حيث مجلس حرب الخليفة المنعقد على طوال اليوم، لأنو كانت المساحة

اللي تحدد أرض المعركة المحتومه كرري تتناقص كل صباح، وبقرب من زمن الصدام الدامي اللي استشهد فيهو رجال السودان.

دايما قبل الحرب ما تقع بيكون فيصراع خفي بين الأطراف المتخاصمين والصراع دا تضليل العدو من الطرق وحتات الموية أو خفض الروح المعنوية أو حرق الأرض، بحيث إنو ما يستفيد العدو من الأرض ومحاولات تحييد ميدان المعركة وحرب الجواسيس والمعلومات وإدارة التصور والرأي العام ومحاولات شرعنة الحروب

حاج الماحي: هيبع يا حاج والله الليلة كلام مثقفاتية ساكت، وضحكوا كلهم.

(6)

قال عبد الواحد: يا عبد البينكممل حكوتي وأدبني فرصة أودي الحاجات للولية الدنيا طارت أصلو أنايا ناس مستنني هناك.

حاج الماحي رد عليهو وقال: الحكوماااا يااا واستغرقوا في الضحك اللذيذ.

واصل عبد الواحد وقال: فيالوقت داك أعلن الخليفة عبدالله التعايشي لكل القبائل الاستعداد للمعركة الفاصلة وجمع الرجال القادرين على حمل السلاح في أم درمان، وما خلى زول بيقدر يحارب.

عبد البين: المعنى ما خلى حاجة وما كان عارف إنو الحرب بقت علم وتخطيط بيدرس زي أي علم تاني مش هبتلي.

حاج الماحي: ربنا قال: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) مش قال اكسروا رقتكم ودي قدرة الأنصار عملوها في الوكت.

في الوكت داك كان نعوم شقير بيحكى في تجاربو المخبراتية وأسرار معركة كرري والوقائع والتعب ودا بسموه نقل الخبرات والمعارف بين الأجيال.

واصل نعوم شقير كلامو لكن جاهو سؤال من واحد من الضباط الجدد إلى بيحكى ليهم، وقال ليهو: سعادتو وباقي جيوش الخليفة عبد الله التعايشي مش كان عندو قوات تانية ما شاركت في معركة أم درمان.

رد نعوم شقير وكان بولع في سيجارتو، وقال: الخليفة كانت عندو قوات برة أم درمان والقرباب جابهم كلهم ما خليا إلا الأمير أحمد فضيل بالقضارف عشان جاهو كلام ومعلومات استخبارية بأنو في حملة عسكرية جاية عن طريق شرق السودان، وكان في الأبيض برضو الأمير الختيم موسى برضو معاهو جيش من الأنصار كان برّ حسابات الطرفين الخليفة وكتشنر باشا يعني بعيد من أم درمان وكمان في الفاشر أمبدي الرضي.

وفي جنب في مشرع الرق جنبفشودة برضو جيش زي خمسمائة راجل وعندهم باخرة قديمة وديلبى قيادة الأمير سيد صغير ديل في بلاد الشلك واشتبكوا مع الفرنسيين في حراية ما انتصر فيها زول وكل طرف انسحب لي معسكرو.

واصل نعوم شقير، وقال: الطريف في الموضوع ديل ماعارفينهم هم في حربهم في فشودة مع السواحين البيض حسب كلام الأنصار، وبعد ما احتلينا أم درمان جات باخرتهم، وفيها سيد صغير عشان يبلغوا الخليفة ويديهم ذخيرة ورجال، ولمن جو قبضناهم، وهم الي حكو لنا عن التدخل الفرنسي في فشودة، وضحك نعوم والضباط الجدد المعاهو.

قال نعوم شقير: في ناس في أم درمان كانوا ماعايزين الحراية مع الإنجليز زي عليدينار الي هرب بي 300 من أتباعو لي دارفور، وكمان في مواطنين هربوا شمالاً وعملنا ليهم معسكرات وراء معسكرات قواتنا وأطلق عليهم اسم لاجئين.

عبد الواحد واصل في كلامو، وقال: نتيجة لأنو كان عدد من الهاربين من أم درمان شمالاً وغرباً وجنوباً بيزوغوا من قبضة الأنصار.. ديل فرح بيهم السردار كتشنر وساهم باللاجئين واحتضنوهم في معسكرات جهزوها سراع سراع. وتم استخدامهم إعلامياً في إظهار أن شعب السودان كان موالي للخديوي والإنجليز،

وإن حملة كتشنر هي الخلاص من الدولة المهديّة ويؤكدوا ضعف دولة الخليفة.

نعوم شفير قال وهو بتذكر الأيام ديك، وقال: كان على الأمير عبد الباقي الوكيل أن يجمع المعلومات بسرعة وبأي طريقة، ولا بد من أن يكون مطلع على أي تحرك لنا كان بالاستطلاع أو المعسكرات الجديدة اللي ينزل فيها جيشنا المنصور، إضافة لي تحركات البوارج الحربية وخلافها من تحركات قوات الهجانة في الصحراء.

قال نعوم شفير: أكبر خدعة اتعرضنا ليها من شاب صغير اسموا عليا بلولة، وعلى الرغم من أنو عليا بلولة الحساني اتزوج منذ عام ومرتو الجميلة شايلة طفل صغير بيرضع، ودا كان الشرك ذاتو وعليا بلولة ومرتو اتجهزو بي سراع والمرة عاملة كبريتها من حنة ودلكة ولا بسة قرمصيص وبقوا كأنهم هارين من أم درمان يعني من اللاجئيين ومن جور الخليفة ودولة الدراويش الظالمة.

(7)

واصل عبد الواحد ويحكى لي جماعتو في ضل الدكان وقال: مرق الشاب عليا بلولة بسراع وهو يحمل في جلمو مرتو وولدوالي بيرضع من أم درمان، وهو جاريشمالاً كل ما يمر بمناطق تجمعات الأنصار بتحاشاه بالمنحصر شمال منطقة ود بشارة ومنها إلى جنوب المتمة.

حاج الماحي: أها والبقى عليهو شنو؟

عبد الواحد قال: صادفت دورية استطلاع من جيش الإنجليز بتاعت استطلاع في الخلا، فقبضوا عليهو، وقال ليهم أنوفاري من بطش الخليفة الي قبض كل الشباب وجندهم ضمن جيشو الي بيحارب الترك وأنوحا يهرب بأسرتو الصغيرة دي مناطق سيطرة الحكومة وماعايزيقاتل جيش الحكومة.

قال نعوم شفير وهو غضبانو بينصح في الضباط من مكر أهل السودان

وقال نعوم بي انفعال: الكلام دا عجب الضابط الإنجليزي الغبان الي كان يستجوب فيهو، وكان في ناس كتار زاغو من المعركة دي.

وفعلا كان في ناس هاربين من الدراويشوا اعتبروا أنو في ناس شياب وشباب واقفين مع الحكومة وأنو أغلب جنود الخليفة حيهربوا بس على الإنجليزي أنهم يشجعوهم بالتعامل الكويس وإيواء الهاربين الي سموهم الخواجات الوكت داك بي النازحين من الأراضي اللييسيطر عليها الخليفة عبد الله التعايشي.

(8)

تم نقل البلولة الحساني ومرتو وطفلو لي مؤخرة قوة الاستطلاع الإنجليزي في الخلا والصي.

قال عبد الواحد: ومنجبل بعيد كانت عيون من الدراويش بتراقب استجواب عليا للبلولة ولتقرب المساء أدوهو الإنجليزي ذرة وموية نزل أسرتو ومشى على شجر السياالناشف المنتشر في الصحراء عشان يولع نار يطبخ بيها أكلي ولدو الرضيع وأمواليتعبو من الجوع والجري في الخلاء الجوع والتعب، وهو بعين في عساكر الحملة يرصد سلاحهم وأكلهم وتجهيزاتهم العسكرية.

قال عبد الواحد وهو مبسوط من الوليد الحساني، وقال: ارتفعت في الأفق خيوط الدخان ومنها انتقل فرسان الأنصار إلى سروج خيولهم وينقلوا إشارة على البلولة الماكرة الي كان يحدد بيها موضع قوات السردار بخيط دخان عمودي في أمسيات الصحراء المترامية الأطراف.

قال نعوم شقير: شفتو رجل المخابرات لازم يفكر عكس الناس، ويلاحظ أي حاجة غريبة جنبو فاهمين.

ردد الضباط: فاهمين أي زول بيولع نار في السودان تعمل دخان معناها عدو.

نعوم شقير انفجر غاضبا وقال لهم: أمرقوا مرق جلدكم أنتو بتاعين شمارات
ما تنفعوا بتاعين مخابرات خلييتاعين مخدرات خلي مخابرات.

ضحك عبد الواحد وقال والله الولد نجيش ضرب عصفورين بي حجر مرق
من الكتلة في كرري وأدى الأنصار معلومات قيمة.

ولم يكتشف الإنجليز قصة الحساني الغتتيلالا بعد معركة كرري بسنوات لمن
تسربت القصة المخزية الي عصفت بسمعة قلم المخابرات، ولكنها ظلت من
التاريخ المنسي في السودان.



شجرة البروجي . معركة شيكان 1883م

توت توت

شجرة البروجي.. معركة شيكان 1883م

تووت توووت

(1)

بعد أن أعلن انتهاء العمليات العسكرية الإنجليزية في مصر والكلام دا بعد معركة التل الكبير واحتلال مصر وصارت إنجلترا مسؤولة عنها وممتلكاتها كان بيحكى عبد الواحد لي صحابو عن تاريخ السودان في فترة المهديّة.

حاج الماحي: أسع كلامك دا الدخلو معانا شنو يا أستاذ؟

عبد الواحد: أصبر نكمل ياخ الموضوع مترابط كلو، ورت الإنجليز في مصر مجموعة من الأزمات منها الجيش المتهالك السيء التدريب، فتم تسريحهم ورفدم خلوا منهم جزء أتحوزق في السودان.

واصل وقال: كمان الديون المصرية ودي كانت قصة براها كمان وعجز الخزينة مصر كانت شبه مرهونة للأجانب وفوق دا كلو كمان سوء الإدارة المدنية يعني الحالة في مصر كانت تحنن وتجنن ذاتوو.

عبد البين: طيب وكت هي بالتعب دا ما لهم متجارين عليها كدا.

عبد الواحد: موقع مصر وتأثيرها على التجارة الدولية وصراع النفوذ بين القوى العظمى واسع دا ما بهمنا الكلام في الخازوق.

حاج الماحي: الله يكفيننا شر الخوازيق قاصد شنو يا أستاذ؟

عبد البين: بعد ماضحك قصدي خازوق بريطانيا الي ما كانت عايزو هو
وركبت فيهو هو السودان.

حاج الماحي: السودان يازول اتقي الله وضحك وضحكوا كلهم.

عبد البين: وضع وضع لكن ظنيتك قاصد المهديّة وضحك والله صاح هم
خوازيق ذاتهم.

واستغرقوا في حالة من الضحك.

عبد الواحد قال: وكانت أكبر الأزمات الي واجهت الإنجليز هي الثورة
المهديّة في السودان، وتهديد الإمام المهدي الخرطوم وميناء سواكن وحاصر
كل من الحاميات المصرية، والوكت داك كان السودان في طريقه للاستقلال من
السيطرة المصرية أو ما سميت كضب بالتركية.

عبد البين: والله يا عبد الواحد عندك جن من التركية ياها ولا ما ياها عاملة
ليك زنانه.

عبد الواحد: بالحيل كلامك صاح لأنو كلو كضب في كضب ماف ترك جو
البلد دي البتة.

واصل وقال عبد الواحد: ما علينا وما موضوعنا، خلونا في المهم، لقت
إنجلترا نفسها في مواجهة حتمية مع الخازوق أقصد الثورة المهديّة اللي كان أسد
الشرق هدد سواكن ومنها يمكن يهدد الطريق لي بقرة الإمبراطورية الحلوب الهند.

ويمكن للشوار إذا استمروا على النهجدا تهديد مصر نفسها لاعتبار أن الثورة
دينية من أهدافها تحرير العالم الإسلامي، وبذلك تصبح مصر الهدف الثاني بعد
تحرير الخرطوم والأقاليم السودانية.

كل دا بيخلي العوامل دي تدفع بريطانيا بمواجهة الثورة في السودان على الرغم من سياستها المعلنة، وهي عدم التدخل في الشأن السوداني خالص خالص، وما كان هناك مخرج لأزمة السودان سوى تجريد حملة تكون من بقايا الجيش المصري وثوار عرابي باشا والجنود السودانيين.

وتكون قيادة هذه القوات إنجليزية. كان هذا الحل مرضي لسياسي الإمبراطورية و لجلالة الملكة، وكان البحث عن قائد يقود هذه القوات أمراً صعباً للإنجليز لاعتبار أن هزيمته تعني ترميغ سمعة الإمبراطورية، فالمطلوب لهذه المهمة يجب أن تتوافر صفات كثيرة، وبدأت حملة ترشيحات من الحكومة الإنجليزية وضباطها في مصر، وقد قام الجنرال فلاتينيكر بترشيح الجنرال هكس باشا المسكين.

عين الجنرال وبدأ برنامج تجميع أشتات جيش عرابي باشا الذين كان جزء منهم في السجن عقوبة على تمردهم، فرحلهم إلى سواكن وهم مقيدون بالسلاسل إلى أن وصلوا إلى الخرطوم، وانضم إليهم الجنود السودانيون وبدأوا المناورة التدريبية، وأظهر هكس استيائه من سوئها، وقال إنه لم يشهد مثل هذه الفوضى.

(2)

شيكان ديواحدة ملاحم المهديّة الكبيرة في الوكت داك الثورة عمرها أقل من ثلاث سنين وحققت إنجازات عسكرية كل يوم بتحقيق انتصار، ويزيد عدد ناسها، ويقبل حماس عساكر الترك قالها عبد الواحد، وكان قاعد قدام الفرن منتظر الرغيف للجماعة العجايز المعاهو.

وكان كلام عبد الواحد رد على الحاج عبد القوي الي كان بتغالط مع حاج الأمين حول تاريخ السودان وصوتهم ارتفع، فقرروا يسألوا مولانا أقصد الحاج عبد الواحد عن القصة.

عبد الواحد أخذ نفس وعاین فوق لی السماء كأنو بیراجع فی الأحداث، وقال المهديّة قصة اختلافنا ولا اتفقنا معها لأنها كسحت حاميات الاحتلال في الوكت داك، وكان لازم على الخديوي يعمل حاجة قبال ما يفقد السودان.

واصل عبد الواحد الحكي، وقال: أها فكر يجيب ضابط إنجليزي يطلعوا من الورطة دي ويهزم الأنصار ويثبت حكم الخديوي.

عبد الواحد قال: أها قاموا الإنجليز قالوا ليهو نديك زول نجيض وعندو تاريخ ومحارب بيقرض المهدي واقترحوا ليهو خواجه اسمو مورقان هكس كان ضابط في جيش الملكة عشان يمش للمهدي في شيكان وينهي التمرد في السودان.

في الجانب الثاني كان المهدي انتهلا وأجهز على جيش الشلالي وراشد بك وحاصر الأبيض ودارفور وحاميات كردفان.

واصل وقال: والناس بتعاين ليهوا ياهو المهدي وفي زهجانين شايفنو كضاب ساي وراجين الحكومة تعمل حركة بي حركتين تخلصهم من المهدي والمهديّة. والأنصار كانوا تحت تأثير كلام المهدي ومتفقين وفي ناس كتار هاجروا ليهم، كانوا مؤمنين بالمهديّة ولا زهجانين من التركيّة المهم في تأييد غريب للمهديّة كان في الوكت داك.

حاج الماحي: سألناك من حمد تجيب لينا سيرة خوجلي يا الحاج.

رد عليه عبد البين: أصبر أصلوا عبد الواحد بحب المقدمات وبعداك بيحكي ليك اللي ماسمعتو.

رد الحاج عبد الواحد: أي والله دا كلو محكي دا أسبي بحكي ليكم من المنسي الصبر الصبر.

(3)

اعتدل عبد اللطيف وهو من الدراويش العجايز، وقال: أنا شاركته في جزء من حروب المهديّة في نهايتها منها كرري إلا الزمن داك كنت صغير، وأنا شاب داقت في كرري ومرقتني كرعيني الله عالمو أخذ ليها ضحكة.

وقال عبد اللطيف: اسكتوا عشان بحكي كلام سمعتو بي أضاني البياكلا الدود دي بديكم الشمار هسه.

وقال عبد اللطيف ببسمة عريضة: الخواجات قالوا في كتبهم ومنهم تشرشل قالوا كلام أنحن حافظنو صم بيقول (لم يفن في التاريخ جيش كله إلا جيش فرعون الذي أغرقه الله في اليم وجيش هكس في غابة شيكان).

وبي جنس الكلام دا أرخ ونستون تشرشل لي معركة والإنجليز برضو كتبوا استفزاز عن حملة هكس اللي كان سايق ليهو جيش من الملقطينو المغامرين والانتهازيين وبقايا جيش عرابي، وقوات لموها بي سراع سراع عشان تكسر المهديّة وجابوهم بي البواير طريق سواكن ومنها لي بربر والخرطوم، ومنها لي مدينة الدويم، وكانت مركز مهم في التريكة السابقة.

عبد الواحد قاعد في الضل معاهو أصحابو واصل وقالهم: في الدويم استعرض هكس جيشه اللي كانبيرتدي هدوم واحدة من الكاكي ولا بسين أبوات جديدة طبعاً، أبوات جمع بوت يا جماعة وشايلين مليون رصاصة في الوكت داك.

حاج الماحي: الله حي حي الحرابة علم ما عوارة ولا كترة في الفاضي، قلت لي مليون رصاصة.

عبدالبين قاطعو: أحكي طوالي ياخ القصة شكلو فيها كلام عجيب شكلو.

واصل عبد الواحد بعد ما أدى حاج الماحي نظرة معناها أسكت ياخ، وقال:
والجيش دا شاييل ليهو مليون رصاصة في الوكت داك وبنادق جديدة لنج وقايدو
إنجليزي ومعا هو مستشارين وتجار وناس طمعانيين في غنائم المهديّة.

استمر عبد اللطيف الأنصاري الدرويش العجوز، وقال: أهلنا قالوا لينا
هكس عجبتهو القوة والسلاح والرصاص الحي والاستعراضات وشالتوا
الهاشمية، وقال (لو اهتزت السماء لثبتها بالسناكي ولو اهتزت الأرض لثبتها
بالأبوات).

أهاااا قولوا كدا لمن الجيش دا بدأ يعمل في الاستعراض جاط جوطة زعلتو
لمن قال (أنا كالمسيح وسط اليهود) ود أم زقدة.

الله حي في شأن الله الله حي هتف أنصاري متعصب قاعد مع جماعة عبد
اللطيف،

ماكان يزوغ ود أم زقدة وقالها وانفقوا بي الضحك.

واصل عبد اللطيف الدرويش، وقال: طوالي هكس عمل مجلس الحرية
بتاعو.

واصل عبد الواحد: لكن الشيطان في الكلام الدقاق وبدت تظهر الخلافات
بينو وبين علاء الدين باشا اللي كان الحاكم العام ومجلسه العسكري.

عبد الواحد مسك القصة وقال لي جماعتو اللي قاعدين في الضل راجين
الفرن وهو بعين لي حاج الماحي ما يقاطعوا: هكس لمن شاف الفوضى وتنمر
علاء الدين طارت سكرتو وعرف الموضوع بايظ لكن في المجلس في ناس كانوا
شغالين يوحدا الصفوف، ويخلوا هكس وعلاء الدين يتفقوا وقرروا يتعاونوا،
ويرفعوا الخلافات للباشا الكبير اللي هو الخديوي، وكتبوا ليهو عشان يفتيهم
فيها ويحافظوا على الجيش وما تظهر الخلافات من تاني.

وظلعوا عشان الاستعراض بتاع الجيش، فشاف هكس فوضى أي زول شغال
براهو يقولوا ليهم للشمال دور ناس تلف يمين وناس شمال وناس تمش عديل،
حاجة عجبية غايو.

عبد الواحد واصل، وقال: أهأا قول يا سيد الامتني ليك فوضى الاستعراض
لمن زعل وقرب يخش في صدمة سكري.

قال هكس بطنو طمت من الحملة والعمار الفيهها ذاتوو، ولقى الموضوع فيهو
صعوبة، وبقي على هكس وعلاء الدين المثل اللي بيقول أنت أمير وأنا أمير منو
البسوق الحمير، وضحكوا كلهم.

عبد الواحد قال: أهأا قولوا واحد الجيش دا كانأغلبو من الفلاحين المصريين
وديل مزارعين ناس حراتة ساي وما بينفعوا وقول اتنين هم جاينهم خدمة
جبرية ذاتوو، وقول تلاتة هم ذاتهم ما مقتنعين بي الحرابة الماشين ليها مالهم
ومال المهديّة الناس ديل كروهم كر عشان يجوا السودان وقول أربعة الجو
الحار والأكل ما نفع معاهم ذاتووو.

حاج الماحي: دا درب كلو شوك.

واصل عبد الواحد: بعدين في الآخر الناس ديل ما اتدربوا على العسكرية
إلا فترة محدودة وما خشوا حرب قبال دا والخشو حرب من الفضلوا من جيش
عراي ذاتهم رافضين الفكرة، لكن ما قادرين يحتجوا لأنو ماف زول بسمعهم.

ماشين على الله ومن الله، وحتى العايزين يجاربوا قرفانين من الخواجة الكافر
اللي هو هكس اللي يفترض أنهم عبيد مش عساكر يسوا اللي بيقولوا دون
كلام.

فقد كانت المهديّة صاحبة الأرض واستطاع رجالها أن يدخلوا حاميات التيارة
قربأم روابة وبارا والأبيض وهزموا جراب الفول التركاوي محمد سعيد مدير
الأبيض الراجل كان حقار وكعب ضمة والمشهور بأنه فظ وغليد وسمين وقصير.

واصل عبد الواحد، وقال: وهزموا كمان حملة راشد والشلالي وقبلها الأنصار برضو كسبو معركة الجزيرة أباودي أول عركة مع الترك، وكمان أغلب الرجال ناصروا الثورة، وبلغ حكما الترك أو هن أيامه، وكانت فظائع الحكام كبيرة وكثيرة وجمعوا المال بالسوط والقوة، فكرهم شعب السودان، أبوا يدفعوا الضرائب وشاع مثل شهير (مئة في التربة ولا ريال طلبه).

(4)

عبد الواحد واصل في القصة وعينوا في الفرن أصلو مرسل للريغيف ومرتو عارفة إن لموا فيهو أصحابوا ما بيحي بي هين ولا هين ذاتو ووو.

عبد الواحد بقى مرة مرة بعين في الشارع ما تجي وراهو الولية تفتش ليهو، لكن الفرن لسع ما طلع ريغيفو، واصل وقال: الخلافات في جيش هكس كانت كثيرة. علاء الدين شايف نفسو المسؤول، وهكس كمان شايف نفسو القائد الخلاف الأول ظهر من أول في اختيار الطريق والقيادة.

وهل يخلو جزء من الجيش في نقاط في طريق تقدم الحملة وكانت المعلومات الاستخبارية عن قوة المهدي اللي شالت سلاح ناري من الحاميات التركية التي دخلوها عنوة وكون المهدي جيش من الجهادية وأداهم البنادق، وبقوا ديل قوام جيشو الصعب، وكانوا بخلبطو لكن ما بحاسبوهم زي الناس التانين الجهادية.

عبد البين قال لي عبد الواحد وجماعة الفرن: هوي هاءا المهدي فيها ظلم والمثل بيقول أنت قايل الدنيا جهادية ولا مهدي؟ في ناس وقفوا مع المهدي لي أسباب كثيرة منهم الشايفو المهدي المنتظر وواحدين علانين وشايلين من الترك فاعتبروها ثورة تحريرية من احتلال فاسد ومفسد وفي ناس دايرين الغنائم

وطمعانين في الترك المهم كل زول بغني على هواهو، كلهم كاتلوا الترك، ودا في زمن المهدي مش زمن عبد الله ود تورشين.

كلامك ما موضوعنا أنا جايي على الزبدة عبد البيناصر أصبر قالها عبد الواحد.

(5)

واصل عبد الواحد وقال: في معسكر المهدي المنتصر على الترك وفتح الأبيض، وفي كل يوم ينضم ليهو رجال من الحلال والبيجوا مهاجرين من بعيد، فيوزعهم على الرايات ويدرب جزء منهم على السلاح زي بنادق الراجتون وأب كسرة وأب لفتة والخشخشان.

حاج الماحي: ياخ كمل قصتك ديالعيش قرب يمرق وما يمرق مننا هكسدا كمان أرح يا حاج.

عبد الواحد ضحك وقال: المهدي وكل الأمير محمد عثمان أب قرجة ودامن أمراء المهديّة ومعه الأمير مساعد والياس باشا أميرير وكلهم رجال خبروا الحرب وعرفوا سرها.

واصل عبد الواحد وقال: المهدي طلع من الأبيض واستقر في حطة اسمها تبليدية الجنزارة وبقت معسكر كبير وملان ناس وجاهزين للترك، وكمان المهدي عمل مجلس حرب وشغال يحرّض على الجهاد ضد الترك، وبيشرب نصر وعليهم ويدرب في حالو سراع سراع عشان يضمن نتيجة المعركة الجاية لأنها تهديد حقيقي للمهدي، وبالرغم من دا كان واثق من النصر لأنو عارف المعلومات عن الحملة ومتاعبها والشارع الماشة بيهو.

عبد اللطيف قال: إنو أبوهو حكى ليهو الأيام ديك وواصل وقال: أب قرجة والياس باشا ود أميرير ومعاهم الأمير مساعد ومعهم تعليمات يعملوا

تماس مع قوات هكس باشا، لكن ما يخشوا معاهم في حرابة كبيرة يعني إزعاج وجمع معلومات، ويلصقوا منشورات المهدي في الشجر، وبس، ودي بسموها سياسة حرق الواطة قدام الجيش، ويعني يرحلوا الناس اللي في القرى الليفي طريق هكس، واستخدام أساليب الحرب النفسية.

أها كان أبو قرجة يخلي القرى ويعلق المنشورات في الشدر يدعوهم للاستسلام، وفي الليل يملاهم ذخيرة بنيران قريبة مؤثرة وتخفي قواته في الغابة بين الأشجار.

عبد الواحد كورك لي ناس الفرن: هوي يا ناس أصحو لسع الكترابة دي ما مرقت ورانا مشاغل.

وواصل في حكوتو، وقال: الجنرال هكس كان بيحاول يستطلع فيهجم أب قرجة قوات استطلاعته تجي فازه وهاربة لي معسكر الترك وتدخل الرعب في نفوس جنوده لامن كترت حالات الهروب وسط قواته، والمستسلمين اللي قدموا معلومات استخبارية في غاية الأهمية استخدمت بذكاء في الحرب النفسية.

(6)

هكس في واحدة من نقاط توقفه عمل زريبة وأمر فرقته الموسيقية بأن تعزف ألحان أعياد الميلاد ومع بداية النغمات الغريبة على الأرض بحضور الضباط والتجار والجنود عشان رفع الروح المعنوية.

واصل عبد الواحد، وقال: كانت طلقات أب قرجة زي ما يقولوا أووقفت الهرجة وسببت هلع وهرج ومرج في قوات هكس، واضطرت الفرقة الحزينة أنو تتوقف ويتلبد العازفين على الواطة اللي شموها ولقوها ما حقتهم، أولاد أم زقدة، وطلعت منو ضحكة جامدة.

في الجانب الآخر قال الدر ويش العجوز عبد اللطيف وهو يمضغ بلحة من طبق السعف القدامو: الله لي أب قرجة وقالوا عليه يجيء أب قرجة وتوقف الهرجة.

واستطرد في لذة باقي القصة، صراع أب عثمان أب قرجة أن يسلم جيش هكس في طبق من ذهب للمهدي. فقد كان أب عنجة متربص بالقوة الكبيرة، وكان أب قرجة يرسل معلوماته عبر رجاله للمهدي كل ساعة بصورة منتظمة وحركة الاتصال وفرت رؤية شاملة وتقدير جيد للمعركة المرتقبة في غابات أو سهول كردفان الغرة أم خيرا جوة وبرة.

(7)

يقول المهدي لرجاله في معسكر الجنزارة بصوت جهوري وهو يخطب في أنصاره محمساً لهم: سيهلكون ومن يتأخر ليصلح نعاله سيجدهم هلكوا.

عشان كذا كان الناس بتتسابق بتجهز في نفسها في معركة مصيرية، وكان الحماس فوق، وبالمقابل كانت قوات هكس متقدمة وسط مصاعب وفي أرض معادية ومعنويات منهارة، وكتروا الناس اللي هربوا وسلموا لي المهدي ومنهم خادم أوربي فرحوا بيهو الأنصار فرح شديد اعتبروه هو باشا كبير.

عبد الواحد قال: لو دخل هكس مباشرة للأبيض كان ممكن يحقق مفاجأة ودا كان ممكن يكون خطأ استراتيجي ينهي الثورة، لكن جيش هكس كانت فيهم الخلافات في القيادة والرعب العايشو وعدم الموية وماشي في واطة العدو ونيران أب قرجة كلو ما في صالحو.

حاج الماحي وجه كلاموا لي عبد الواحد: شوف يا حاج عبد الواحد هكس مغفل لو طوالي مشى لي الأبيض كان حير الأنصار وحظو كان ممكن مختلف بعدين لكن جيشو كان بطيء في حركتو ومكشوف تماماً.

ضحك عبد الواحد: لو عمل التفاف وأسرع كان ممكن يحدث فارق، لكن المكتولة ما بتسمع الصيحة يا حاج الماحي.

توووت عدو أمام، توووت لا عدو أمان.

توووت عدو أمام توووت عدو ماف.

توووت عدو في كل مكان توووت لا عدو، عدو.

توووت أنا وين، توووت انتو منو ذاتو.

تربك إشاراتة قوات هكس وتاخذ ما تبقى من روح قتال ضعيفة فيهم
توووت تووووت إنكسرت جبارتو وكسر جبارة الترك.

(8)

عبد الواحد ضحك وواصل: هكس يستاء ويأمر القناصة بوقف نداءات
البروجي الذي هزم هكس قبل صيحات العدو وهجومو.

يتقدم قناص من جيش هكس ويضرب رصاصة الرحمة في قلب البروجي،
ويقع ميت بينيران صديقة ويتعلق جثمانه بفروع التبليدية، وفي ربع ساعة فقط
يروح جيش هكس الذي كان يحمل مليون رصاصة معه شمار في مرقعة.

(9)

عبد الواحد مبسوط وبقى يكابس الواطة، ويحككي: بقتجثة البروجي
المصري عبارة عن عظام معلقة شاهدة على هزيمة هكس لحدي عشرينيات
القرن التاسع عشر، لحدي ما جاء ما أمر بي بإنزال العظام من مفتش الأبيض
الشليقاللي أمر بدفنها تحت شجرة التبليدي التي حملت اسم تبليدية البروجي
المسكين.

ومسك عن الكلام عبد الواحد وبقى بعاين في الفرن لأنو شامي ريحة
الرغيف قال بي سراع، وهو بتلفت: تبقى شجرة البروجي شاهدة على أكبر

هزيمة في تاريخ الإنسانية مجزرة لم يرتكب مثلها في تاريخ السودان إلا في كرري، حينما أبادت المدفعية جيش الخليفة في ساعات بس.

شوفوا عايز أقوليكم، شيكان بتحكي عن عظمة التخطيط والتنفيذ من التماس الأول بقيادة أب قرجة وتحطيم الروح المعنوية، إضافة إلى اختيار أرض القتال المناسبة ونجاح تنفيذ الكمين والهجوم مااستمرت معركة شيكان إلا 15 دقيقة وكان الجيش المنفوخ أبيد كله.

صاح الدروايش متهلل الأسارير: أولاد أم زقدة وضحكوا في نشوة غريبة.

عبد الواحد وجماعتو شالو الرغيف وفي رأس الشارع ظهرت ومرتو العازة وقال للجماعة الليلة توووت تتووت البروجي ما بتمرقني وأخدوها ضحكة وبادر مرتو.

والله الرغيف يا دووب مرق شوفي ساخن كيف ودخل بيتو.

الزول دا ظنيتو يسأل الآن قال تاريخ قال، وضحكوا أصحابو على كلام أصحابو عبد البين وحاج الماحي.



ليتوز باشا

بجارتائه في بحر الغزال

بحار تائه في بحر الغزال

(1)

قال عبد الواحد الليلة قصتنا فيها من المنسي عارف في ناس كتار سمعوا
بيها إلا في كلام ما اتقالبالتفاصيل الدقاق وبحكيهو ليكم الصبر خلوا جنبكم
وخليكم من المحكي والمعروف.

حاج الماحي قال: أحكي ورانا شنو؟ كلنا أرباب معاشات.

واصل عبد الواحد وقال: حاكم عام السودان في الخرطوم غردون باشا
عين عدداً من الأجانب من كل الجنسيات بدور أحكي عن واحد منهم، ودا
كان بحارة الإنجليزي الضابط فرانك لبيتون، وكان وليد لسع عمرو زي ستة
وعشرين سنة عينو مدير على بحر الغزال في العام 1881م وورطو في مجاهل
جنوب السودان.

حاج الماحي: المصيبة شنو شواطين لمن جانا حاكم عندو 23 سنة وليبتون
دا عندو 26 سنة القصة شنو ديل الشفع ديل مالمقو غيرهم ناس أصلو؟

عبد البين: عرفنا خلاص خلي يتم شمارو.

استمر لبيتون في بحر الغزال وكان متواصل مع سلاطين باشا في دارفور
والدكتور أمين في الاستوائية لأنو كانوا قراب منو، ومع الحكمدار غردون في
الخرطوم والأمور ماشة معاهو باسطة لحدي ما قامت المهديّة سنة 1881م،
ودي كانت القندول الفنقل الريكة.

عبد الواحد قال: ودا كان نفس العام الذي شبت فيه الثورة المهدية وتحصن قائدها محمد أحمد المهدي إلى جبال قدير منطقة اسمها بطن أمك في جبال النوبة كانت منيعة، وما ممكن للعدو يصل إليها كلو كلو.

وكان لبيتون باشا بسمع بي أخبارها من بعيد بعيد وقايل النار ما بتصلو في بحر الغزال أصلو وإنو الجنوبيين من النوير والدينكا والفراتيت ولا الاستوائيين ما ممكن يخشو مع الأنصار ضمة عشان حاجز الدين، لكن حصل العكس الدينكا والنوير والاستوائيين والفراتيت حاربوا مع المهدية بقوة.

واصل عبد الواحد: ودا كان من أصعب الأمور اللي واجهها إضافة لي ترمد الجلابة ضدو وهوشة قبائل الجنوب، والجلابة من الجعليين والداقله كان عندهم تار مع الترك.

صالح الدنقلاويدا واحد من العساكر في جيش لبيتون كان بيحكى ومعا هو عدد من الرجال وبتذكر في الأيام السوداء وحربهم في بحر الغزال.

واصل صالح وقال: كانت أيام صعبة واضطرينا نحارب في كل الاتجاهات ونقوم بقمع الثورة في بدايتها، لكن الموضوع كان كل مرة بكبر لحدي ما بقى كارثة علينا وأنا أخذوني أسير في واحدة من حروب لبيتون المهيبة.

واصل صالح وقال: لبيتون دا قاد معارك ناجحة ضد أنصار المهدية اللي كانوا بشكوا خطر على الحاميات الحكومية، وعمت أخبار انتصارات المهدي في السودان كله.

وقام جزء كبير لحق بالمهدي من عدد زعماء القبائل الدينكا والفراتيت مشوا شافوا محمد أحمد المهدي وسمعوا ليهو وبايعوه، والطريف إنو بعض البايعو المهدي من قبائل جنوب السودان في الوكت دا كاعتبروه إله أو نيكانج، وفي ناسزهجانين من الحكومة، وفي ناس كانت أهدافهم مختلفة، المهم كلهم بقوا مع المهدية.

واحد من الحضور سأل العم صالح، وقال ليهو: ياعم صالح ماف ناس من الجنوبيينوقفوا مع الحكومة ضد المهديّة أصلو؟

رد عليه صالح، وقال: في ناس حاربوا مع الحكومة منهم الرث كيو كيوان مك الشلك في حملة راشد بيك الليانطلقت من فشودة، وكان معاهو ألف مقاتل من قبيلة الشلك وكتلوا الرث في واقعة قدير المعروفة.

(2)

قال عبد الواحد: عندما بقى الإنجليزي فرانك لبيتون باشا مديراً على بحر الغزال كان صغير السن عمره 26 عاماً ودا جاء في كتابالمؤرخ ب. م. هولت المعنون بي المهديّة في السودان.

عبد البين: وبحر الغزال دي يها بي حدودها الي بنعرفها الليلة ولا كانت كيف؟

رد عليه عبد الواحد: كانت حدود بحر الغزال تمتد لي مشرع الرق شرقاً ومحطة روميك جنوباً ويشرف على حفرة النحاس في جنوب دارفور شمالاً.

واصل وقال: كان بيعاون لبيتونالمدير ساتي بيك ودا كبير الإداريين في بحر الغزاللي مقسمليثمانية أقسام يدار كل قسم منها بواسطة ناظر، وكان سبعة من النظار من الدناقلة والتامن من قبيلة الجعليين.

بحر الغزال بتحوي عدد من القبائل أكبرها الدينكا اللييتمددوا ما بين بحر العرب ونهر الغزال والفراتيت. وكان الطريق النهري يمر عبر مشرع الرق في منطقة السدود على النيل الأبيض والطريق الثاني عن طريق دارفورالي بشقها من جنوبها لي شرقها ومنها إلى الأبيض الي كانت أكبر مراكز الحكومة في الوكت داك.

(3)

بقى فرانك لبيتون يقاوم الثورة المهديه وأتباعها اللياشتد عودهم نتيجة لتحالف البقارة والدينكا والنوبر والفراتيتو الدناقلة الي كانوا منتشرين بكثافة في جنوب السودان في الوكت داك وزعلانين من الحكومة الي ضربت تجارتهم.

قال عبد الواحد: اشتبكت قوات فرانك لبيتون باشامع السكان المحليين السود والبقارة والجلابة الي بايعوا المهدي واستطاع تحقيق انتصارات إلا أنو الثورة استطاعت تحرير كردفان ودارفور وإسقاط حاميات الحكومة وكمأن تقطع الطرق المؤدية إلى الخرطوم، وبعد هزيمة هكس باشا في غابة شيكان في العام 1883م انقطعت آمال فرانك لبيتون باشا في تحقيق استقرار في مديرية بحر الغزال بالقوة.

(4)

قال صالح الدنقلاوي: بعد سقوط الأبيض الدواي واستسلام حاكم دارفور النمساوي سلاطين باشا وإعلانه إسلامه دخوله في سلك المهديه، وتغير اسمه لي عبد القادر، انتبه قائد الثورة محمد أحمد المهدي ليقاليم جنوب السودان.

وجاتو وفود عدد من أعيان الدينكا والفراتيت وغيرهم من القبائل، وأعلنوا التمرد على حكومة الخديوي التركية.

سأله واحد: يا حاج صالح لبيتون ما عندو جيش بيحارب ليهو؟

رد صالح، وقال: كيف، كان جيش كبير، لكن التمرد كل يوم بيزيد لصالح المهديه وبحر الغزال دي فيها مراكز ومحطات ملانة بي جيش الخديوي وعليها حكام أوروبيين مسيحيين مثل الألماني دكتور أمين في الاستوائية والإنجليزيفرانك لبيتونفي بحر الغزال لكن الشغلة غلبتهم.

قال عبد الواحد بيحكي: محمد النصري كان واحد الدناقلة الذين قادوا قوة رسلها فرانك لبيتون لدحر الثوار اللبأعلنوا الثورة من قبيلة دينكا لفي ودي ديارها جنب بحر العرب، ولكن رجال القبيلة هزموا حملة القومندان محمد النصري، ودا كانا ولتمرد في بحر العرب.

المعنى الحكومة في بحر الغزال ضاقت المر من كل القبائل من السودانين قالها حاج الماحي.

عبد البين: هوي الجنوبيين عندهم مشكلة مع الحكومة، لا أنصار ولا دراويش، لأنو المهديّة فكرة دينية أكثر من سياسية ما تخمونا ساي.

عبد الواحد: المهم أنو الدينكا كانوا نواة الثورة في بحر الغزال صحيح أنهم ما مسلمين ولا أنصار لكن دا الواقع.

(5)

واصل عبد الواحد: في مطلع عام 1882م قاد القومندان محمد النصري حملة تانية ونجح في تفريق الثوار الجدد، إلا إنو الثورة في جنوب دارفور مع بحر العرب اشتدت لمن قام عندما قام الشيخ يانكو شيخ مركز تل قونة بالهجوم على المركز وقطع دابر الحامية المصرية وهرب لي مادبو زعيم الرزيقات الي كان صاحبو.

عبد البين: وين بيقع مركز تل قونة ولا تلقونا دا كمان؟

عبد الواحد ضحك وقال: مركز تل قونة تقع فيمقرن نهري بورو وسوبو وديأناهار صغيرة موسمية وفيها أهلنا الفراتيت، وكانت مركز حكومي، والشيخ يانكو هو شيخ مركز تل قونة.

حاج الماحي: والله صحي قصة منسية بالجد قصة الثورة في بحر الغزال.

عبد الواحد: في 17 أغسطس سنة 1882م تعاون كل من الشيخ يانكو والشيخ مادبو زعيم الرزيقات في إزعاج كل من سلاطين باشا في دارفور وفرانك لبيتون في بحر الغزال بقصد تهيج السكان عليهم.

واصل صالح وقال: في أكتوبر من نفس العام قام الشيخ مادبو في منطقة أم وريقات بشن غارة على قوات سلاطين باشا عاونو الشيخ يانكو الي رجع لي مديرية بحر الغزال لإثارة الاضطرابات فيها من تاني.

واصل صالح وقال: فحرك فرانك لبيتون باشا القائد محمد عبد الله المحلاوي مفتش مكافحة الرق في بحر الغزال في الوكت داك، ولكنه وقع عيان، فخلفه رفاة أغا الدنقلاوي، وهو ناظر قسم في بحر الغزال واستطاع تحقيق نصر باهر ضد الشيخ يانكو، ودا كان في فبراير العام 1883م.

سأله واحد من القاعدين: أها يا شيخ صالح والحصل شنو بعد داك؟

رد عليه صالح وقال: نتيجة لعمليات رفاة أغا الدنقلاوي النشطة اضطر الشيخ يانكو للهرب ليا الشيخ مادبو زعيم عرب الرزيقات في جنوب دارفور.

قال صالح الدنقلاوي: في العام 1883م تمرد الدينكا القرين من مشرع الرق واتمکنوا من هزيمة قوة حكومية صغيرة كانت تنتظر باخرة جاية لي مشرع الرق، وحرك لبيتون باشا قوة بقيادة ساتي بيك واستطاع تأمين الطرق المؤدية لي مشرع الرق، لكن النصر دام نفعو مستقبلاً وانقفل الطريق لي مشرع الرق، وأنا شالوني أسير في مشرع الرق وانقفل المشرع دا قدام عساكر الحكومة.

(6)

المهم بعد محاولات للتنسيق مع سلاطين في دارفور وفشلت باستسلام سلاطين ودا زاد الطين بله.. قالها صالح وهو بيحكى.

وواصل وقال: والمصيبة أنو انقطعت أخبار الخرطوم لأنو الشوارع قفلت واستولى عليها الأنصار وبقت ما في إمدادات وأهلنا الدناقلة جاهم واحد كان تاجر معاهم في الجهات ديك وبقى الأمير بتاع المهديّة والمهدي ذاتو من عندنا، ضحكوا كلهم لظرافة العم صالح.

سألو واحد من الحضور: والأمير الجادا منو؟

صالح: اسمو محمد كرم الله الكركساوي وكان تاجر معروف بحر الغزال ومشهور بأنو زول كويس وكان اختياروا قاتل أصاب لبيتون في مقتل.

كيف أشرح يا عمنا سألو واحد من الحضور المعاهو؟

صالح: بقى الجلابة والسود والجهادية ما عايزين يقاتلوا الكركساوي الي كانت معاهو قبائل البقارة والفراتيت والجلابة في الجهات ديك.

عبد الواحد قال لي جماعتو: الطامة الكبرى في هزيمة هكس، الزول كان متخيل هكس يمسح المهديّة، ويحصل لحدي عندو، وينتهي التمرد بدون زينة وزمبليطة.

حاج الماحي: وجيش هكس هزم طيب ما يفز راجي شنو؟

عبد الواحد: حاول يخادع الأمير كرم الله الكركساوي، لكن لقي أنو مضغوط، وما بقدر يهرب من جيشو والإداريين والقضاة وعشان كذا استسلم للمهديّة، وسلم حاميات بحر الغزال كلها، ويا دار ما دخلك شر.

عبد البين: والله خواجة عاقل وحقن الدم.

حاج الماحي: إن ما انعصر بسلم والله كان بيكاتل لي يوم الليلة، واستغرقوا في الضحك اللذيذ.

عبد الواحد: لبيتون مشى للمهدي وبقى قاعد معاهو وبعد فترة قبضو جواب منولي غردون باشا، بيوضح فيهو أسباب تسليمو للمهدية، أنولو لقي طريقة ييهرب ليهو.

حاج الماحي: شوفو المسخوت.

عبد الواحد طوالي الأنصار ختو في المكية وقيدو بي الحديد ما فكوهو إلا بعد تحرير الخرطوم بي الضمان بتاعت سلاطين وسموهو عبد الله.

استمر عبد الواحد، وقال: وبقى شغال مرة في السجن ومرة حر طليق يعني متردد سجون المهدية عدل كدا وضحكوا.

عبد البين: الله في.

عبد الواحد: وعرس ليهو حبشية جاب منها بتين، ولكن لبيتون مات في أم درمان بعد حياة صعبة وأسر طويل وذلة مهانة شديدة، وفلس، ولبس المرقع، والله يرفع من يشاء وينذل من يشاء، وهو الحكيم العليم وساد مجلسهم صمت عمق.



الأمير أحمد فضيل في آخر أيام المهديّة

هجرة رجل لوحده

الأمير أحمد فضيل في آخر أيام المهديّة هجرة رجل لوحده

الأمير أحمد فضيل كان مع الخليفة عبد الله التعايشي في أم درمان لمن كانت الحملة الإنجليزية تزحف من الشمال وكانت أكبر مهدد للمهديّة، عشان كدا كان في اهتمام كبير بي أخبارها ومسار تقدمها.

الخليفة عبد الله قعد يتكلم مع الأمير أحمد فضيل، وهم في صالون الخليفة في بيتو الشهر في أم درمان ودار بينهم حوار.

بصوت فيه ثقة قال الخليفة عبد الله التعايشي: يا الحبيب أحمد إنت من الأحباب اللي بيعتمد عليهم والترك جاين والإمام المهدي زمان قال جردة الترك بتباد في كرري، لكن في فرقة غيرك ما في ليها زول.

أحمد فضيل: السمع والطاعة وأنا وجيشي جاهزين لإلاير قربك يا سيدي الخليفة.

الخليفة عبد الله: إنت من فرسان المهديّة، وأنا جاني كلام ما بلقى ليهو غيرك.

واصل الخليفة كلامو، وقال لي أحمد فضيل: أنا جاني كلام أزعجني من الشرق في جردة جاية بي اتجاه القصارف، وإنت يا الحبيب أحمد ماسك فرقة كبيرة عشان كدا أرجع القصارف وسد فرقتك.

الأمير أحمد فضيل: جرّ نفس وقال الصحبة يا خليفة المهدي ورسوله، لكن أمرك مطاع، وأنا بقوم الليلة دي سمعاً وطاعة سيدي.

الخليفة عبد الله: عافين ليك وفرقتك ماف زول بسدها غيرك قوم شون رجالك وأتحرك وأديني أخبارك طوالي.

الامير أحمد فضيل: خلاص أأسيدي أمرك هو الماشي وأنا بتوكل أقوم فجر وبي الأحباب وناسي ودعواتك سيدي.

(2)

أحمد فضيل في القصارف ومعاها الأمراء قاعدين في كشاشة بعد صلاة الظهر وبتكلموا في أمور الحملة اللي قالها ليهو خليفة المهدي وضرورة إنجاز المهمة على أحسن وجه.

جا أنصاري راكب حصانو وشكلوا جاي من بعيد بيكورك: سيدي سيدي سيببيدي.

الأمير أحمد فضيل: أها الحبيب شن عندك؟ أدن قريب تعال تعال.

رد الدرويش المفعوص: مكن الإنجليز قرض الأنصار في النخيلة.

الأمير أحمد فضيل: وسيدك محمود ود أحمد التعايشي، شن خبروا أحكي يا المفعوص خبر الشوم جبهه.

الدرويش: سيدي مسكو الترك ومعاهاو جماعة وفي ناس مشت في شأن الله.

الأمير أحمد فضيل: لا حول ولا قوة إلا بالله أحكي ها المفعوص.

الدرويش: والله يا سيدي نارالترك بقت فينا حريقة ولا نخبرو ولا ندرؤ إلا الموت، وجينا ومرفنا نحن جماعة وصلنا القصارف وفي ناس وراي في الدرب تعبانين خالص سيدي.

الأمير أحمد فضيل كورك لمو الحبانو الأخوان وضيفو وهم وأدوهم الأمان، لينا مع الترك تار ويوم ناكلهم النارو نمجغوهم مجع الله حي في شأن الله.

واصل أحمد فضيل وقال لي كاتبو: أكتب للخليفة بالحاصلو الجواب المساء يكون مع سيدي الله حي، قالها وهو قايم يرتب أمورو الترك بيصلوا خليككم جاهزين طلغوا الطلائع الحرابة قامت كلام سيدي الخليفة حق.

(3)

بعدا بي فترة أمكن أقل من شهر ولا تزيد مفعوص تاني بيكورك سيدي سيدي الأمير أحمد فضيل سيدي سيبسيدي سيدي سيدي.

أحمد فضيل: لاحول ولا قوة جاي من وين إنت كمان.

الدرويش قال وهو بلم في أنفاسو: سيدي وقعت حرابة في أم درمان والمكن بتاع الإنجليز كتلوا الناس في أم درمان، وسيدي الخليفة هاجر وغرب ومعاها الأحاب والمشي للجنة مشى.

أحمد فضيل: لاحول ولا قوة إلا بالله، حسبنا الله ونعم الوكيل.

واصل الأمير أحمد فضيل، وقال بي صوت جهوري: أجهزوا نلحق سيدي خليفة المهدي، ونخلي النور ود سعد في القصارف، أنا مهاجر ومعاي الأحاب، الهجرة يا أحاب.

قال الأمير النور ود سعد بيكلم الأمراء المعاهو: مرق أحمد فضيل ومعاها أربعة آلاف من الأنصار عشان يلحق سيدي الخليفة في كردفان وعلينا نجهز في جردة جاية على القصارف سدو الفرقة الله حي.

في قعدة الأمير النور ود سعد جاتو خبرية أنو وصلت فرقة من الجيش الإنجليزي البوابير لي سنجة بقيادة هنتر باشا بدأت تطارد، وتعرف أخبار

الدرأوشو الأمير أحمد فضيل الي كان زاحف لي الدندر عشان يقطع بحر أزرق ويلحقو الخليفة في كردفان.

(4)

قال عبد الواحد بيحكي: بتاريخ 5 أكتوبر 1898م، وصلت القوات الإنجليزية لي قرية سيرو الجعليين، وهي قرية صغيرة جنوب ديم سنجة وتقع في الضفة المقابلة لكركوج.

حاج الماحي: يازول والحصل شنو بعد داك؟

قال عبد الواحد: في يوم ستة أكتوبر كان جيش الإنجليز يحاولوا أنو يعبروا النيل الأزرق وكانت قوات أحمد فضيل احتلت حلة خور أم الحسنو عملوا فيها معسكر كبير في المساء، كانت هناك قوة كبيرة من الدراويش والمعسكر جاضي، وكل طرف بيحاول يعرف تحركات الطرف الثاني.

(5)

القوة الإنجليزية عبرت البحر لي حلة كركوج ومعها مية من رجال الهجانة تحت قيادة البمباشي هنري والبمباشي ريقمنت وارتكزوا في شكل دفاع.

واصل عبد الواحد وقال: في يوم سبعة من شهر أكتوبر البارجة المسلحة ناصر جات، وقطعت قوات القائمقام قاليز بيك البحر، وأمرت بقية قوات الفرسان أنو يعبروا البحر بخيو لهم. وفياليوم داك اليوم كانت كل القوات الإنجليزية قد عبرت النهر، وعند تكامل القوة وتعزيزها بالبوارج الحربية بدوا في عمليات الاستطلاع المسلح وجمع المعلومات الاستخبارية.

قال عبد الواحد: الأمير أحمد فضيل ماقام بعملية عبور النيل، وفي اعتقادي أنه كان عايز يجمع المعلومات حول القوة المعادية ليهو، وإمكانية عبوره البحر، وكان بقى الأمر صعب سينسحب جنوباً ويعبر من مكان آمن لي جيشو.

حاج الماحي: دا تدبير الحرب كدا.

واصل عبد الواحد وقال: قوات الفرسان بتاعت الإنجليز شكلوا دوريات جنوب وشمال كركوج، عشان يمنعوا تسلل وعبور أي قوة تتبع للأمير أحمد فضيل من عبور النيل الأزرق، عشان كدا تم تفتيش القرى القريبة وجمع معلومات عن أي تحركات للأتصار.

(6)

قال الجنرال هنتر، وهنتر كان قائد حملة إعادة احتلال النيل الأزرق قال لي ضباطو بيحكى ليهم: في صباح اليوم التامن من أكتوبر اتحركت قوات الفرسان والبمباشي قاليز لي اتجاه قرية خور أم الحسن.

واحد من الضباط: قاليز وقوتو كان وحا يهجموا على قرية خور أم الحسنيا سعادة؟

الجنرال هنتر: لا ولكن ما كنا مستعدين في الساعة ديك لي معركة وكنا عايزين بسالمعلومات عن طبيعة البلد ديك خصوصاً المنطقة بين النيل، وهذه القرية تلتأرباع المسافة بين النيل وقرية خور أم الحسن كلها غابات كثيفة ومستنقعات، وبتمنع الحركة للجيش.

ضابط تاني سأل الجنرال هنتر قائد حملة النيل الأزرق والقضارف، وقال ليهو: يا سعادة والحصل شنو؟

رد عليهو هنتر وقال: كان الكلام دازي الساعة 4:30 مساءً والمنطقة دي تبعد حوالي 21 ميل من كركوج، ولكن دلياللقوة راح وضهب من الطريق،

ودا خليا القوة تتحركلي الشمال، ولمنصححو التجاهملي الجنوب كانوا قاموا بي دورانية كاملة حول حلة خور أم الحسن.

واصل هنتر وقال: القوة لقت قدامها راجلين عماية في حطة ضيقة، وفيها قش طوال مقابلة للقيفة الغربية لنهر الدندر، وبالتالي لقوا أنفسهم مشوا في شارع ضيق جديد أي راحوا في اتجاه الشمال الغربي وعبروا منطقة منخفضة عشان يصلوا لي الدندر، ولقوا أنوفي قريتين محتلات بواسطة الدراويش، وكانوا كتار خالص.

واصل هنتر: من استجواب الراجلين أخذنا معلومات قيمة، وبعد داك فكوهم ناس المخبرات على أساس يجيوا معلومات جديدة.

(7)

الدرويش بيحكي وحانت منه التفاتة وكورك: يا ولد جيب موية، أه ديكا أيام صعبة خالص.

واستطرد الدرويش بيحكي وقال: يحكي الأمير سيدي أحمد فضيل طلع ناسو وبعد دالقيت مجموعة من الأنصار بفتشوا على أكلو جزء منهم طواليضرب نار في قوة الإنجليز بقيادة قاليز، لكن نيرانهم كانت ما مؤثرة لأنها كانت قصيرة المدى.

واصل وقال: الأنصار لمن رد على نيرانهم الإنجليز بي قوة هربوا من قداما لإنجليز، ورجعوا بلغوا معسكر الأمير أحمد فضيل.

بقي بيحكي قاليز عن ورطتو واكتشاف أمر قواتو، وقال: بعد داك سلطنا طريق جديد من الدندر لي كركوج عشان نتخارج لأنو الدراويش حايهجموا علينا وأنحن مهمتنا نجمع معلومات وبس، وأنحن كنا في منطقة تبعد زي 3 أميال من كركوج ووصلناها في المغرب تماما، ومنها رجعنا لي معسكرنا بي سلام، ودا كان الساعة تلاتة ونص صباحاً من اليوم التاسع من شهر أكتوبر 1898 م.

واصل قاليز وقال: الرجال الليكانوا معاي اتصرفوا بي شجاعة ورباطة جأش. وكنا شفنناحوالي مية وخمسين من الدراويش ومعاهم عدد كبير من العبيد وكلهم شايلين بنادق، ولكننا رجعنا لي معسكرنا ومعانا إثنين من الدراويش أسرى.

على الجانب الآخر كانالجنرال هنتر يتكلم مع عدد من الضباط في الخرطوم، وقال: الأمير أحمد فضيل كان مراوغ وراجل مؤمن متعصب لي مهديتو ما استسلم لحدي ما مات في أم ديكرات مع الخليفة.

وواصل الجنرال هنتر بكلم صاحبوا عن أحمد فضيل، وقال: عن الجزء من شرقي سنجة المنطقة دي بين كركوج والدندر، للأسف ما تصلح لحركة قوات الفرسان والجيشوبرضو الطريق ماممكن أنو تتحرك فيهو قوات الهجانة لأنو الأشجار في المنطقة دي عالية وكثيفة والقش طوال خالص.

واصل هنتر وقال: قواتنا رجعتبي طريق واسع نوعاً ما، ولكن في مسافة تقدر بأميال ما يصلحاستخدام الخيول والهجن للتحرك فيها، وإذا فكرنا في الهجوم على قرية خور أم الحسنبواسطة قوات المشاة أعتقد أنو الأمر فيهو خطورة، لأنو أي كمين ينصبو العدو في المنطقة دي حا يوقعوا فينا خسائر وسط القوات بتاعتنا عشان كدا أمرتهم ما يهجموا.

وواصل وقال: الدراويش ممكن يتحركوا بي حرية من أعلى لي أدنى بحر الدندر اللييوفر ليهم حماية، ودي أرضهم عارفنها كويس عشان كدا فضلت أنو قواي تناور وتستطلع وتجمع المعلومات بس لحدي ما نلقى أرض كويسة للمعركة ونقضي عليهم.

قال ليهو ضابط معاهو: برافوو يا كمندان الحرب تخطيط ومعلومات برضو.

(8)

أشار الأنصاري العجوز الي بيحكى للمجموعة الي بتنصت في هدوء: بعد مغادرة أحمد فضيل لينهر الرهد كانت الذخيرة في يد الأنصار قليلة والحال صعب ما في تموينات كافية ود سبب هلع، برضو إضافة لي أخبار أسلحة الإنجليز القوية، وكسرت الأنصار في النخيلة وكرري، وانسحاب الخليفة للغرب، كلو كان عامل زنة في كثير من ريسين الأحباب، وبعدين في ناس كتار قلبوا على الأمير أحمد فضيل وبقوا بحاربوا في جيشو.

واصل وقال: كل جيش الترك الأورطبتاعتهم مسلحة بي بنادق جديدة ومعاهم حوالي تلتمية من الفرسان.

واصل وقال: الأنصار عرفوا في جزء من عبيدهم بيفكروا يهربوا من المعركة الي حسوا أنها خسرانة خسرانة، أها قاموا هددوا الجهادية اللييفكروا في الهروب بالقتل.

قال الأنصاري العجوز: الأمير أحمد فضيل عيننا أمير فضل حسانة، ودا كان قائد ربع من أرباع الأحباب في الوكت داك، وكان مشهور أنو حاسم عشان يمنع أي هروب من جيش أحمد فضيل.

سألو واحد من الجماعة القاعدين: أها وبعدا في ناس هربوا؟

الأنصاري: أيوة هرب واحد بيقولوا ليهو شيخ أبكر، ودا كان كارثة، وساق معاهو عدد من الرجال وسلم للإنجليز وكمان بقوا بيحاربوا أخوانهم ووقفوا مع العدو، ودا أزعج الأحباب، لأنهم عارفين أي حاجة عن جيش أحمد فضيل.

سألو واحد من القاعدين: يا عبد الواحد قصة البقارة الثلاثة شنو؟

صلح قعدتو وقال: أهااا يا سيد اللمتي ليكقولوا كدا وواصل حديثو: هو وتلاتة من الرجال كبار في السن من الجهادية مشوا لي قرية خور أم الحسن

مركز قيادة سيدي الحبيب أحمد فضيل التعايشي في المساء سرّاً، ودافى محاولة منهم عشانيقنوعوا الجهادية للهروب من قوات أحمد فضيل.

حاج الماحي: الله يخيبهم مشوا بي راي الإنجليز كمان وشن سوا معاهم الحبيب أحمد فضيل؟

واصل وقال عبد الواحد: ديل بحكي ليكم عن إعدامهم قدام أصبروا.

(9)

قال قاليز: بصوت خافض في يوم ثمانية من نوفمبر سنة 1898م في الساعة تسعة صباحاً جانافي معسكرنا واحد من أهالي قرية خور أم الحسن.

واصل وقال قاليز: استجبونا المواطن وذكر معلومات مهمة وقال إنو كان ممسوك من قبل الدراويش والشالو هو سجينو قدم لينا وشفعجيب ودقيق لقوة الفرسان بتاعين الدراويش.

سألو ضابط إنجليزي: قال شنو جديد المواطن دا؟

قاليز رد عليه: وصف لينا لبسهم وتسليحهم وإنهم بيقيموا بنقل المعلومات بصورة سريعة إلى أحمد فضيل القاعد في حلة ديكري جنب الدندر وأنو قواته اتكاملت في قرية خور أم الحسن، وكان أحمد فضيل قد وصل لي القرية دي برضو، لكن طلع منها لي حلة فوق في الضهرة.

(10)

واصل قاليز بيحكي، وهو يستعرض جرح في ضراعو الشمال في يوم تسعة نوفمبر جانافي معسكرنا عربيتاني من قرية خور أم الحسن أيد المعلومات بتاعت العربي الأول.

العربي قال: إن أحمد فضيلاً أمر بتجميع العيوش من الأهالي وأنه قد أمر قواته بالاستعداد للتحرك غرباً، وإنه يعمل على جمع العيوش لقواته والحيوانات العندو.

قاليز قال: كانت حرب معلومات أنحن جندنا ثلاثه من الأهالي يدونا خبر الدراويش وكتي.

أها والحصل شنودا كان سؤال مباشر لقاليز من ناسو المعاهو.

قاليز قال: ثم في يوم عشرة نوفمبر الجهادية الثلاثة الليرسلناهملي قرية خور أم الحسن جو راجعين في المساء وطوالي عزلناهم من بعض وبدينا في استجوابهم بواسطة ضباط المخابرات.

الjasوس الأول اسمو عبد الباري وأفادنا بالآتي: وصلت لي بيت عجب سيدو ناسي جنب محل الأمير فضل حسنفي مساء يوم تسعة نوفمبر، وسألت عجب سيدو ناسي لي ما سلم هو ورجاله لي قوات الحكومة؟

عجب سيدو قال لي عبد الباري: إنو الأمير أحمد فضيل أجبرهم على أنو يخلفوا المصحف بأنهم ما يبسلمو أنفسهم.

عبد الباري قال: عجب سيدو قال لي أنو حايلاقي رأس المية كوكو وبنسق معاهو على التسليم للحكومة نفسه ومعاهو كل بلوكة المكون من 50 راجل.

عبد الباري واصل كلامو عن كوكو، وقال: كوكو قاليهو إنو أربعين من الجهادية هربوا من المية بتاعتو والبقية ذاتهم فتروا من الحربوا هربوا الآن راجعين للقفصار أو في الحلالو الكلام دا قبال خمسة أيام قبل من يوم أربعة نوفمبر.

(11)

قال هنتر وهو بتذكر: ناس المخابرات جابوا لي إشارة مستعجلة قالوا إنهم مسكوا درويش من دراويش أحمد فضيل وحصيلة الاستجواب كانت بتشير ليأنو في حالات هروبكتيرة في جيش أحمد فضيل بالأخص من الجهادية.

واصل هنتر وقال: أتذكر أنو اسم الدرويش عليمحمد الحسن وأدانا معلومات عن ربعفضل الحسن، ودا أقوى ربع في جيش العدو.

قال هنتر: عليمحمد الحسن الدرويش الأسيرقالينا إنو مجموع الجهادية في ربع الأمير فضل الحسن أربعماية راجل وعدد الفرسان ثلاثين فارس، وقالإنوالعرب أكثر من الجهادية من قبائل البديرية، الرزيقات، الهبانية، التعايشة، الحوازمة.

الأسير الدرويش قال لي ناس المخابرات: التعايشة عددهم حبة وبرضو الجوامعة من كردفان عددهم أقل في جيش الأمير أحمد فضيلوأنوبرضو في عدد قليل من الحريم والأسر مع الجهادية ماشين معاهم.

قال عجب سيدو للإنجليز: إنو لمن كان في بيتصاحبو كوكوفجأة ضربت الأمباية بتاعت الأنصارومرق وشاف أحمد فضيل، وسأل من الزيتة قالوا ليهو إنه تم قبض ثلاثة من الجهادية يتجسسوا لصالح قوات الحكومة الترك،وقد أعلنوا إعدامهم في الحال.

واصل عجب سيدو، وقال: اتكلمت مع كوكو صاحبي وحددنا مكان وزمان نتلاقى فيهوعشان نسلماأنفسنا في قوات الحكومة. كوكو حايمشي في مهمتودي بكرة الصباح قال.

(12)

وقال الدرويش المشارك في جيش أحمد فضيل: نفذنا من الترك بعد كتال في الدندر وانسحبنا جنوباً بعيداً من القيفة لحدي الروصيرص الواطة بقت لنا أمان.

وصل الدرويش وقال: الكتلة حصلت لنا قدام في جزيرة اسمها الداخلة جنوب الروصيرص المكن صبّ فينا رصاص كثير استشهد منا رجال وأحمد فضيل طلع منها سليم.

وبعد الحراية ديكتبضوني وشالوني للسجن، وبعد فترة من سين وجيم فكونا الكفار أولاد أم زقدة، لكن بيحي اليوم البنكاتل فيهو تاني.

قالها بصوت عالي وكورك وقام يا ناس الصلاة يا ولد املاً الإبريق.

وعلى البعد خلف البحار أحس قاليز بنعاس، وقال لمن حوله نواصل مرة تانية، وبحكي ليكم أنا فترت يا جماعة الخير.



معركة الروصيصر

مزيوميات مفكرة المخابرات البريطانية عن
السودان 26 / 12 / 1898 م

معرفة الروصيصر

من يوميات مفكرة المخابرات البريطانية عن السودان 26/12/1898م

(1)

قال عبد الواحد ييضجك دي من التاريخ غير المنشور والمنسي ذاتو، وأحكي
بعد طول غياب، وها قد عدت يا سادتي للحكاوي من جديد.

ضحك عبد البين: خلاص يا الطيب صالح وضحكوا كلهم.

حاج الماحي: أي والله تشبه بداية قصة موسم الهجرة للشمال، الله يرحم
الأديب الطيب صالح، وكل مبدعي بلادنا دي.

عبد الواحد: بتعرفوا للنظريات أقوليكم تاريخ منسي تعملوها قصص
وروايات والله جنس محن.

عبد البين: أحكي والله قصصك مش ولا بد ياخ مقضين بيها زما وضحكوا.

عبد الواحد: كنت حكيت ليكم عن الأمير أحمد فضيل وهجرتو من
القضارف والأحداث في الدندر وأم الحسن وكر كوج وسيرو الجعليين وسنجة
صاح.

حاج الماحي: صاح مش ديل كلهم بيقولو عليهو خط الفونج.
عبد الواحد: أيوة كلهم واحد ومعركة الروصيرص أو الداخلة امتداد للقصة
السابقة اتذكروها واربطوها يربطكم في الزربية وضحكوا كلهم.
عبد الواحد واصل وقال: وقصة جبل كلقو برضو في نفس الخط قريبة من
الروصيرص.

أما معركة الروصيرص دي وقعت في النيل الأزرق في القيفة الشرقية وفي
جزيرة تقع جنوبي مدينة الروصيرص اسمها جزيرة الداخلة، وأسع الجزيرة دي
اختفت بعد تعليه خزان الروصيرص، المناطق الأثرية عندنا دائماً مهملة.

(2)

واصل عبد الواحد، وقال: كانت قوات الحملة الإنجليزية الليانفعت من
أم درمان وتستغل البوارج الحربية يقودها الجنرال هنتر وزي ما بيقولوا في الغنية
القديمة: سايق ليهو هنتر وعامل فيها عنتر، وعنتر دا أقصد هنتر باشا أتحرك
عشان يحتل أبو حراز ومدني وسنار وسنجة وكركوج والروصيرص وفازو علي،
والحملة دي سموها حملة النيل الأزرق.

حاج الماحي: الكترابة، دا كلو يحتلاهو سايق معاهو مليون عسكري أصلو،
والله صحي عامل فيها عنتر.

عبد الواحد: أصلو الخواجات بحبوا المجازفات عشان الشهرة ما ياهها
جتتهم في الدنيا وضحكوا.

وصل عبد الواحد، وقال: كنت حكيت ليكم عن قوات المهدي الي جاية
من القصارف ماشة تلحق الخليفة عبد الله التعايشي في كردفان وبيقودها الأمير
أحمد فضيل.

عبد البين: بالحيل كمل كمل دي ما سمعت بيها والكاشف أخوي دا أطرش وأعمى كمان واستغرقوا في حالة من الضحك.

قال عبد الواحد: كان على الأنصار أن يقطعوا من القصارف إلى نهر الرهد ويعبروا حظيرة الدندر ويجوا لحدي ما يقطعوا نهر الدندر، ومنها يصلوا النيل الأزرق ويقطعوا البحر ويعبروا بي جنوب الجزيرة الخضراء، ومنها لي النيل الأبيض ويقطعوا بحر أبيض، ومنها توووف لي سهول شرق كردفان يلاقوا الخليفة دي كانت خطتهم.

(3)

قال هنتر باشا قائد حملة النيل الأزرق في الوكت داك: كانتمشت على معركة أم درمان أربعة وعشرين يوماً، فيها احتل الإنجليز الجزيرة والقصارف، ووصلت قوات مطاردة الخليفة بقيادة سلاطين باشا لي قرية الشقيق شمال الدويم، وتراجعت وكان مع سلاطين باشا جزء مقدر من قوات العرب الشرقية الأصدقاء.

وصل وقال هنتر: تحركت قوة بالبوارج الحربية تمشط النيل الأبيض بقيادة الكابتن كتشنر الصغير، ووصلت إلى الدويم، لكن آثار الخليفة تبخرت في فيافي كردفان، وما فضل في السودان النيلي غير قوات الأمير أحمد فضيل في القصارف، وقوة صغيرة للغاية غير ذات أثر مع عثمان دقنة، وكانوا متخفين ذاتهم في رفاة ومنها مشوالي جبال البحر الأحمر.

سألو ضابط: يا كمدان يعني لسع في مقاومة؟

هنتر: لا هي جيوب صغيرة هنا وهناك في ود مدني وفداسي والمسلمية كل الجيوب دياستسلمت بعد ما عرفوا هزيمة الخليفة وتأثير الأسلحة الحديثة وقوة نيران البوارج الحربية الهائلة كانت تسبق زحف القوات الإنجليزية وتفت من عضد المقاومة.

السردار كلفني بتأمين وقيادة حملة النيل الأزرق بعد أن خلف كتشنر إبان مأموريته المشاهلي فشودة للنظر في التوسع الفرنسي، ودحرهم من وادي النيل، وبعد عودته أصدر أمرًا لي بأن يتحرك لإجلاء، وهزم الأمير أحمد فضيل في القصارف والنيل الأزرق.

(4)

أها قولوا إنو معركة الروصيرص أنهت وجود أكبر قوة معادية مسلحة في السودان النيلي وقوة الأنصار كانت زي أربعة آلاف راجل مقاتل من قبائل كثيرة، وانضموا ليها جزء فلول الأنصار اللي جو جارين من معركة النخيلة اللي وقعت جنب نهر عطبرة وانهمزوا فيها.

قال عبد الواحد: جزء كبير من الدراويش سلم أنفسهم في الرحلة الطويلة لأنو البوارج الحربية كانت بتسد في النيل الليل مع النهار مع الهجانة والفرسان، إضافة لإنعدام الأكل وفصل الخريف في نهايتو الدنيا شهر تسعة، وما أدراك بي مطر شهر تسعة وعشرة في الجزء دا من بلدنا.

عبد البين: أمس في القصة الفاتت ما قلت الجهادية سلموا وحاربوا ضد أحمد فضيل، ولّا نسيت يا حاج.

عبد الواحد: ما نسيت صبرا يبل الأبري وينقع القرض ما معاك، والله إنتو عليكم شفقة ما بعدها شفقة أصلو، وضحكوا كلهم على تعليق عبد الواحد.

عبد الواحد واصل، وقال: لكن كان في عدد كبير من الجهادية اللي شافوا المكن ونارا في النخيلة، وما كان عندهم حماس يجاربوا تاني من جديد، وبقي الجيش بتاع أحمد فضيل كل يوم ماشي ناقص، لكن برضو هو كان عازم ومتقدم عشان يلحق بي الخليفة عبد الله التعايشي في كردفان ويجاربوا مع بعض من جديد.

واصل عبد الواحد، وقال: أما الناس بقوا مختلفين في المهديّة واحدين يقولوا مهديّة وانتهت، وتانيين ماسكين في كلام المهديّة وعازمين على المقاومة، وواحدين شردوا دقشوا الخلا والصي.

عبد الواحد: لكن في النهاية طلع أحمد فضيل ومعاهاو سبعة من أخلص أعوانو اللي مات، واستشهد في المعارك الجانيّة والي سلم وخلاص، والي انضم للإنجليز زي شيخ أبكر لما رجال كتار من جيش أحمد فضيل وحارب بيهم، غايتو في جنس قصص منسية في بلدنا دي.

(5)

قال عبد الواحد: وكانت المعلومات الاستخبارية التي تحصل عليها قلم المخبرات المتقدم مع قوات كتشنر باشا بقيادة ونجت باشا، كانت تفيد أنو الخليفة كان يتوقع أن الهجوم حا يكون من محورين محور شرقي جاي بي اتجاه كسلا، عشان كدا خلّى قوات الأمير أحمد فضيل وماشركهم في معركة كرري. حاج الماحي: كلامو وتقديرو صاح لأنو قوة بارسونيز هاجمت القصارف. وبرضو مرة حكيت لينا عن تقدم نص الكتيبة الخامسة المصرية بقيادة عبد الجواد برهان من سواكن لي بربر.

عبد الواحد: برافو بقيت بروف عديل والله يا حاج الماحي.

وكم ان جيش نيلي جاي من الشمال في طابورين محور على النيل البوارج الحربية ومحور على البر القوة الرئيسية مشاة وخيالة، عشان كدا كانت قوات أحمد فضيل تتمركز لتغطي المحور الشرقي، وتحمي ظهر الخليفة في حال وجود تهديد شرقي.

(6)

قال عبد الواحد: الواقع أن نصف الكتيبة المصرية الخامسة بقيادة البكباشي برهان جواد قد تقدمت من سواكن في عشر وثبات من سواكن إلى بربر، ودي أول قوة تشقالطريق دا بعد انسحاباً بالأمير عثمان دقنة لي أم درمانعشان يشارك في المعركة الرئيسية كرري.

حاج الماحي: عليالطلاق الناس ديل ماشين وقلبهم في يدهم بيكونوا ميتين من الخوف.. يا زول عثمان دقنة ما بتقابل، والمثل بيقول ما تجرب المجرب، والشيخ فرح قال القدر ما تهاظرو، وضحكوا كلهم من كلامو.

عبد البين: خبر نص الكتيبة الخامسة دا مذكور وين يا شيخ عبد الواحد.

عبد الواحد: كتبوا الإنجليز في التقرير رقم 60 ملحق تقدم نصف الكتيبة الخامسة المصرية من سواكن لي بربر.

واصل عبد الواحد، وقال: القوة الثانية تحركت من كسلا بقيادة الكابتن بارسونيز عشان تحتل القصارف واشتبتت مع قوات الأمير سعد الله اللي خلفه الأمير أحمد فضيل حاكم للقصارف، وبعد انسحاب أحمد فضيل لي كركوج ومنها إلى قرية حور أم الحسنجنب مدينة الدندر الحالية زي ما قلنا قبال كدا.

(7)

عبد البين قال: الإنجليز قالوا كل ما مرت قواتهم بعد كرري في مدينة أو قرية الناس تصفق ليهم عشان خلصوهم من المهديّة، وتجمهر، وتبارك ليهم نصرهم دا.

قال عبد الواحد: الواقع كانوا في ناس فرحانين وناس خايفين، وناس لابدين عايزين العاصفة تمر، واعتبروها استراحة محارب، المهم كلو ناس فوق رأيهم، وضحكوا من تعليق عبد الواحد.

واصل وقال: الوكت داك أحمد فضيل خلى في القصارف النور ود عنقرة ومعا هو الأمير سعد الله الأنصاري، جيش الكابتن بارسونيز قربو يهزموهو التفوا ليهو من الخلف، لكن المعركة قلبت وانهمزوا واضطروا يستسلموا لأنو المهديّة هزمت في كرري، وكان قصة يواصلوا بلا إمداد صعبة للغاية خالص.

حاج الماحي: ما قصروا سووا عليهم وماتوا رجال مش زي ناس قريعتي راحت ديل.

عبد البين: إنتو قصة مثل ناس قريعتي راحت دا قصتو شنو؟

حاج الماحي: ها زول خلينا في قصتنا يحكوها ليك المرة الجاية وضحكوا.

عبد الواحد: أما أحمد فضيل طلع عشان يحصل الخليفة بي جيشو، لكن الحركة الثقيلة والناس الكتار والشفع والنسوان والبحار القدامو، ومكن الإنجليز خلوهو وصل بي سبعة من رجالو من أصل أربعة آلاف أنصاري.

حاج الماحي: كان الله يرحمو مكشوف في تحركاتو كلها، وفي ناس يبلغوا عنو محل ما قبل، لكنو اصل هجرتو، ومات جنب الخليفة في أم دبيكرات وما رضا بالاستسلام.

(8)

عبد البين: أحكي عن دخول الإنجليز للروصيرص.

عبد الواحد: الإنجليز لمن وصلوا الروصيرص لمت فيهم حمى ولا وردة غربية خلاص كانت قوة الإنجليز متين وخمسين عسكري منهم متين رقدوا سلطة بالحمى منهم، وعشرة لحقوا أمات طه، ماتوا زت ودفنوهم في العوالي بتاعت الليلة جنب المستشفى قريب لحي القرشي ومبنى الحكومة المركز بتعالبوليس في الروصيرص يا الخ.

حاج الماحي: ديل ما انقرضو قرضة غنم رحمة.

عبد البين: والله أمثالك دي عجيبه وغريبة يا حاج الماحي شغل دراويش جد.

عبد الواحد ما اشتغل بي مناقرتهم، وقال: عشان كدا الجيش الإنجليزي قرر يمشي جبال فازوغلي وتكون الحامية هناك لأنو الهواء والجو حلو. أنا شفت جبل فازوغلي بس جبل لمن تقرب منو تقول براهو بملأ السماء من حجمو الكبير خانق البحر، وعاصر الضهرة، وكانت فيهو مملكة قديمة عندها قصص بحكيها إن ربنا مدّ في الآجال.

واصل وقال عبد الواحد: لكن الحامية الإنجليزية في الروصيرص يوم 10/10/1898م قامت وعملت مقاس لي بحر أزرق، واعتبروا أول مقاس وأي زيادة ولا نقصان بتتسبب من اليوم داك عليها.

عبد البين: يعني استاندرد عدليل كدا.

حاج الماحي: محن الكفار بحسبوا في مويتنا وعرقنا ويكتلوا رجالنا، غايتهو الله غالب بس.

(9)

عبد البين سأل عبد الواحد: يا حاج عبد الواحد إنت قبال دا قلت قصة شيخ أبكر وانقلابو على سيدو الأمير أحمد فضيل، أها تم لينا قستو ياخ.

عبد الواحد قال: شيخ بكر قالوا من الهمج وناس قالوا من دارفور، والراجح إنو من دارفور، والمهم هو جاء من الأبيض وعليهو سمو ديم بكر في القصارف، دا كان من أمراء جيش أحمد فضيل وانسلخ منو، وبقي الأخطر عليهو، لأنو عارف أي حاجة وبأثر في الأنصار، وكان يقول مهدية وانتتهت الميتين ليهو

شنو؟ وكمان حارب مع الإنجليز في معركة الروصيرص، وكان خبير بالشوارع وعارف ممكن جيشاً أحمد فضيل يرتكز وين ويعمل شنو..

حاج الماحي: لا حولاً ديل أعوان الاستعمار والدمار.

عبد البين: الراجل عاقل حسباً صاح ووقف مع القوي والصاح بلاش مرقع وجيب معاك.

قال عبد الواحد: كانت معلومات شيخ أبكر ذهبية عرت قوات أحمد فضيل، وكشفت عن أعدادها وتسليحها، وما عندهم من خيول وحمير وموقف المؤن والذخائر.

عبد البين: خلاهم في السهلة المعنى يعني.

حاج الماحي: خيانة غير مشروعة وضحكوا.

عبد الواحد: كما إنانو رجال شيخ بكرنجحوا في استقطاب ناس كتار من جيش الأмир أحمد فضيل، وقاموا بعمليات الاستطلاع، ومراقبة تقدم أحمد فضيل، وكمان هاجموا مؤخرة قوات أحمد فضيل التعايشي.

حاج الماحي: المعنى عذبوهم عذاب الفيلة.

عبد البين: والله إنت حبوبة بتاعت أمثال، قلت لي عذاب الفيلة كان.

الكتلة في معركة الداخلة أو الروصيرص لمن وقعت استمرت من الصباح لي ثلاثة ظهر نار في نار والإنجليز ورجال الشيخ بكر ما خلوا حتة ما ملوها نار كثيفة، كانت البورج بتضرب من البحر من مواقع ضرب نار جيدة والأنصار بقاوموا بي حماس، لكن الله غالب في النهاية مرق أحمد فضيل ومعا هو 22 من رجاله، مرقوا عوم، المثل بيقول الراجل يا كراعوا يا ضراعوا، وديل ذاتهم بقوا سبعة في النهاية..

(10)

عبد الواحد: قولوا كذا الأنصار بعد معركة جزيرة الداخلة أو الروصيرص الإنجليز حسبوا الشهداء الأنصار لقوهم 500 شهيد وقبضوا 2127 أسير، ديل سلموا أنفسهم، و 576 بندقية هلكانة ومهلهلة والإنجليز كتلنا فيهم 41 وفي 145 انجرحوا، وكان قائد المعركة كولنيل لويس ومعاهاو ميجور فيرغسون، ومعاهاو الميجور بارسونيز.

حاج الماحي: الله حي، ربنا يتقبلهم جميعاً.

ضحك عبد الواحد وقال: الميجور فيرغسون مصيبة نقلوهو بلاد النوير اغتصب بت من بنات النوير.

عبد البين: يا زول دي عند الإنجليز جريمة.

عبد الواحد: وكتلوهو أهلها بالخراب طعن.

حاج الماحي: أهاااهاها القصة الزمان اللي قلتها ذاتها، أنا أخوك إنت، وبى سببو قامت ثورة النوير.

عبد الواحد: أصلو كل ضباط حملة السودان ماتوا بي طرق غريبة حتى كتشنر غرق في البحر، وما تلقى جثمانو، وقول عيبك.

هوي تلقى هسع البوليس الحربي بتفتش لي وعامل لي أمر قبض وضحك.

حاج الماحي: والله مثقف وحكاي إلا عيبك خوفك من الولية.

عبد الواحد: الما بخاف من مرتو الضحك شرطو، وضحكوا كلهم.

وبقى عبد الواحد مارق وظهرت العازة في نهاية الشارع وصاحبنا سرع من خطوتو والجماعة تموها قرقراب.



عثمان ذقنة أمير الشرق
مسما ر مربع في خرم مستدير

عثمان دقنة أمير الشرق مسمار مربع في خرم مستدير

(1)

عن الأمير عثمان دقنة أمير الشرق جلست أحكي لي أصحابي، وأنا مستشعر ذكراه العطرة وفضايلو الجميلة، والله أحس بالفخر إنو الأسد دا بشيل بي يدو ريسين العدو، وهو مفخرة لي كل سوداني اختلف معاهو ولا اتفق.

وهو العمل العمائل وكسر المربع الإنجليزي عنوة واقتدار والمربع، غلب نابليون لمن حارب الإنجليزي في معركة واترلو الشهيرة على الرغم من أنو عثمان دقنة ما دخل كلية حربية من أصلو.. قالها عبد الواحد زي التكنو بيرمي في دوبيت، ولا بيغني براهو، وهو بيحكي في قصة عثمان دقنة أمير الشرق.

بيحكي عبد الواحد عن عمليات الأمير عثمان دقنة، وقال: كان الجنرال جراهام باشا يقود جيشه في البحر الأحمر ومعاهو أعظم الضباط البريطانيين في الوكت داك ومعاهم أحدث أنواع التسليح كانت معاهو.

حاج الماحي: الرجل الله يرحمو كان فارس.

عبد البين: الفارس دا لكن باعو راعي.

عبد الواحد: ياخ تشي جيفارا برضو باعو راعي المشكلة وين دائماً عاين للجانب المشرق في القصة اختلفت معها ولا اتفقت يا عبد البين.

عبد البين سمينها رضينا أحكي ياهو قصص من اتلمينا.

عبد الواحد: نحن بنحكي في المنسي في تاريخنا ودي عشان ننور الأجيال الجاية التاريخ ما للحكي، التاريخ بكرر نفسو، ومنو ممكن نطلع بي منهج علمي لترتيب المستقبل.

واصل عبد الواحد وقال: الأمير عثمان دقنة عندو تاريخ طويل من الانتصارات العسكرية، وكان ماكر ومخادع برضو، أما الإنجليز لمن عجزوا عن عمل حاجة مفيدة مع الثعلب العجوز أمير الشرقلقوا ما في حل غير جراهام.

حاج الماحي: وجراهام دا منو كمان؟

عبد البين: ياخ ما بتعرفودا من أعظم جنرلات الجيش البريطاني وكتها.

عبد الواحد: أيوة هو جنرال إنجليزي كان من عصبة بسموها المنتصرين دوماً، ديل ضباط قادوا جيوش وقهروا العالم، أصلو ما جو منهزمين كلو، وكانوا زي ما يقولون نجوم في جيش فيكتوريا بودوهم للحتات اللي فيها أزمات والي بتغلب الرجال عشان يحققوا أهداف بريطانيا التوسعية في الوكت داك.

(2)

واصل عبد البين ورفع كتابو القديم وبقى يقرأ بي صوت عالي، وهو بيشرح لي أصحابو وقال: في بريطانيا طلعت الحكومة قرارها بأنو يمش الرجل القوي إلى السودان الشرقي استدعى جراهام باشا عجل، وهو جنرال مرموق من عصبة الضباط المنتصرين دوماً، وهم مجموعة من الضباط قادوا جيوش بريطانيا ورفعوا اسمها واستعمروا شعوب العالم.

سكت عبد الواحد شوية، وقال وهو بيضع الكتاب بي جنبو وقال: وهم في نظري ليسوا إلا قتلة وسفلة محترفين من ناس الخمور اللندنية العتيقة ومرتادي الرذيلة وعشاق النساء، شردوا شعوب كثيرة واستعمروا دول كثيرة تفوق بريطانيا في مساحتها وشعبها. أهأا الجنرال دا بي انتصاراتو رسلو عشان يؤدب الأمير عثمان دقنة، ولمن وصل نزل في جزيرة سواكن في شرق السودان معاهو قواتو، ولقيانو حدود سواكن حصونها بس، وكان عثمان دقنة يحاصر سواكن وماف رجل ودمرا بيطلع برة سواكن، والبيطلع بيلقى حراب البجة في صدورو.

(3)

قال عبد الواحد في فخر عن بطل الشرق الي حير الإنجليز: إنو قبال ما يصل جراهام لي سواكن حاول العقيد كتشنر باشا الي كان حاكم لسواكن والي سموهو فيما ما بعد (لورد أوف خرطوم)، وهو الي هزم الأنصار في معركة كرري، كان حاول قبال كدا أنو يخرج لي البر ليطرد قوات الأنصار ويوسع محيطها الأمني ويطرد البجة المحاصرين لي سواكن.

حاج الماحي: أهأا وحصل ليهو شنو معاهو الكافر ود الكلب دا؟

قال عبد الواحد: كتشنر باشا أول ما من جزيرة طاردتو قوات عثمان دقنة وهزمت جيشو واضطروا يهربوا من قدامو وانضرب كتشنر باشا رصاصة في حلقو، الدكاترة بتاعين سواكن ما لقوا ليها حل طبي غير ييلعها. وبعداك ما حاول الإنجليز على الخروج من سواكن كلو كلو.

حاج الماحي: حسبها لعب وضحك.

عبد البين: أنا عندي قناعة لو كان عثمان دقنة قائد كرري ماكانت تكون ستة صفر، لكن أمر الله نافذ يا جماعة.

عبد الواحد: ماقلت إلا الحق يا عبد البين.

حاج الماحي: سبحان الله أول مرة تقول كلام يعجب يا عبد البين الظاهر عليك عاجباك سيرة وأعمال الأمير عثمان دقنة.

عبد البين: الحق حق الراجل دا أنا معجب بيهو.. واصل يا عبد الواحد خليك من الدرويش دا، وأشار بي صباعولي حاج الماحي وانخرطوا في ضحك عجيب.

(4)

قال عبد الواحد: الجنرال جراهام زول جاهز كان، المهمانو قرر يستخدم تكتيك قوي قبال ما يمرق من سواكن، وهو إنو يفعل شغل المعلومات، ويهتم بي عمل المخبرات، وقعد يراجع في أي معلومات عن شرق السودان من الأرض والمناخ والقبائل الموالية والمعادية ونقاط قوة الأنصار ونقاط ضعفهم المهم عمل تقرير نظري ما يخر موية، وكم ان راجع أسلوب عثمان دقنة الحربي والمعارك اللي خشاها.

حاج الماحي: كلو ما بحلو ياخ.

واصل عبد الواحد في كلامو بعدها قرر أن يطلع بي جيشو في هيئة مربع عسكري عشان يضمن تماسك قواتو وكثافة نيرانها، ويخت القيادة والسلاح الطبي والإمدادات في الوسط وكم ان، ويؤمن بر سواكن وخرج في مربع عتيد هي تشكيل عسكري إنجليزي رهيب عجز نابليون بونابرت أن يكسروا في معركة واترلو المشهورة في التاريخ الإنجليزي قالها عبد الواحد، وهو بتبسم بي خبث ظاهر في عيونو.

عبد البين: الزول دا وكت قرأ أسلوب دقنة وأخذ وكتو ما عرف إنو الزول دا مكار.. ياخ دا الوحيد اللي بحترموا العدو وكل الناس لأنو مميز في أساليبو الحربية وضحك عبد البين وباقي المجموعة.

الجنرال جراهام مرق من سواكن وهو يقول للضباط المعاوي فخر عجيب
إنو قصة دقنة بنتهي منها، والمسألة وكت بالنسبة لي، وأنا البأدبو، وكت ما لقي
البأدبو، ويعرف جيشي وأكيد بريطانيا جرائدها بتكتب، وناس ونساتها بيلقوا
موضوع يحكو بيهو.

واصل عبد الواحد بيحكي، وقال: إنو جنود الملكة فيكتوريا الي نزلوا في
سواكن كانوا منظمين ولبسهم زاهي، كان الكاكي بتاعهم موحد وشالين بنادق
القرايين القصيرة وسيوف السنج الإنجليزية الي بتلمع ومدفعية ثقيلة يركب
فرسانهم خيول مدربة متعودة على الحرب، وما عردت قدامعدو الجيش دا
منتصر طوالي.

قرأ عبد الواحد من كتابو، وقال: وقف جراهام وقال (إن الزرارة واحدة
نحاسية في جيب أقل عسكري عنده تساوي تجهيزات قوات دقنة كلها)،
وواصل، وقال وهو يقرأ بلغ بيهو الحماس جراهام قال: إنو قواتو لن تؤمن
بر سواكن، ولكن ستفتح إلى مدينة بربر وتؤمن مساحة كبيرة فهم أيقونة جيش
الملكة من الرويال سكس والبلاك ووتش وقوات البحرية الإنجليزية، ويعاونهم
فرسان شجعان والقوة لا تضم مصريين بؤساء ولا سودانيين أشقياء، أقلهم
قوات هندية ومن البنغال، وهم ساسة الخيول والنصر مضمون فهم في نزهة
قصيرة في أرض الشرق، وأن من يسمونه أسد الشرق سيفر أمام زحفهم المطرد،
وأن غبارهم كفيل برفع راياتهم المنتصرة دوماً.

(5)

ماكانعارف الجنرال المافون أنو أرض البطولاتما انتصر فيها شقي أو عدو، وأنو
ثعلب الجبال الأمير عثمان دقنة ينتظر برجاله الحفاة ذوي الشعر المجعد، والذين
هم من طوع الجبابرة وكسروا غرور الإنجليز والمصريين ببراعة، وفي خفة غير
معهودة خالص.

حاج الماحي: الفوشار بتاع الإنجليز لمن يحكوا عن عظمتهم دا ما بخلوه أصلو، هو بعد ما قلته قرأ وسمع الباقي يشوف الماشافو في حياتو، والله قصص.

عبد الواحد قال: البجة كانوا أصحاب الأرض والجمهور، وإنو خطط دقنة عجز كل من وقف قدامها، فقد كان دقنة محارب غيور ومخطط لا يشق له غبار ومعا هو رجال فرسان الشرق اللي عندهم سيوف ماضية وحراب جربت دماء العدو، وكمان خفاف ونشاط، ياخ ديل أسرع من خيول الإنجليز ويعرفو للمناورات والهجوم المتواصل في شكل موجات زي موج البحر الأحمر من اتجاهات مختلفة، وبي طريقة المفاجأة والهجوم من الخلف.

وقال عبد الواحد: البجة متعودين على الحر والعطش والجوع، وعندهم صبر يجير، وإنهم صدوا كل غازي حاول في أرضهم يهزموا من محاولات الفراغنة، وكل من جا بعدهم من القادة ما قدروا عليهم.

(6)

في نفس الوكت كان عبد المحمود من أعيان سواكن اللي رحلوهم الإنجليز سنة 1910 بعد عملوا ميناء بورتسودان بيحكى عن تاريخ سواكن وعظمتها والأحداث في شرق السودان في أيام المهديّة وسيرة عثمان دقنة لي مجموعة من شباب البجة عن حملة جراهام والأيام ديك.

أوشيك اتكلم، وقال: لكن يا اعم عبد المحمود سواكن كانت مهمة عشان كد جابو ليهو قائد وجيش كبير.

عبد المحمود: أيوة سواكن كانت فيها تجارة وبعدين لو مسكها عثمان دقنة بيهدد مصالح إنجلترا ومصر والملاحة للهند، أسكت ساي على وجع سواكن خربوها الإنجليز، عشان يمحوها من التاريخ، ودا حقد منهم ساي على خيبتهم العسكرية في شرق السودان كلو.

عبد المحمود قال: طلع جراهام وجيشو في تشكيل المربع الإنجليزي القوي في زهو عجيب والقوات الحارسة أبواب سواكن فتحت الأبواب لأول مرة من زمن طويل.

سواكن ابتمت ليهم وهي بتودعهم واطمأنت القاهرة ولندن، وقالو إن ظاهرة عثمان دقنة وجيشو مسألة وقت فقط، خرج الفرسان وخلفهم المربع وفي وسطه القيادة والمحمولات وساسة الخيول وعلب اللحم المقلب من البلاك بييف وخمور البراندي والشري، وفرقة موسيقية تعزف في ألحان أعياد الميلاد والمقطوعات الإنجليزية العريقة للجبال اللي كانت قدامهم، وكانو متأكدين من النصر وشغالة الفرقة تعزف موسيقى القرب عاملة زبليطة كان حفل كبير.

قال عبد المحمود: إضافة لي جمال نقل الموية والذخاير والخيام وفرقة طبية والشرطة العسكرية لاعتقال الأسرى من أبناء الشرق طلغوا على المارشات العسكرية والغبار يفتح أمامهم نفاج في مغامرة صغيرة مضمونة.

واصل وقال: الكل يترقب اشتباك تطبَّق فيه نظريات كلية سانت هيرست العسكرية ويرجعوا بقصص يضيفوها في سيرتهم وأعينهم على أوسمة الملكة فيكتوريا اللي حايفوها إلى صدورهم المثقلة بمداليات عديدة من حرب البوير والماساي والهند وجنوب إفريقيا ويوغندا، وغيرها من المعارك السهلة اللي خلوا جثث عدوهم للصقور والهوام.

وكلهم يتخيلوا القصص اللي ممكن تكتبها الصحافة الإنجليزية زي صحف التايمز وذي استاندرد وصحف أمريكا كلها ومعها الجرائد المصرية تتطلع لصور عثمان دقنة مقتولاً ببنادق القرايين أو سيوف السنج الإنجليزية أو مربوط بي الحديد وماشين بيهو على السجن.

أوشيك ضحك وقال: والله إنتوصاف وصف تقول كنت معاهم.
عبد المحمود: ضحك وقال سيرة عثمان دقنة كلها عجائب ومقالب يا ولدي.

(7)

عبد الواحد استعدل في جلستو، وقال: في الوكت داك في كتاب اسمو سودان هاند بوك دا كتاب فيهو مقالات وتوثيق للحياة السودانية، وبلقى الضباط فيها إرشادات عن البلد، ويمكن تكون فيهو ملاحظات قيمة.

عبد البين: الإنجليز ناس توثيق مميز بكتبوا أي حاجة ما عندهم حاجة منسية، فعلا سودان هاند بوك فيهو كلام مميز، أنا شفت نسخة منو إنت قرئتو يا حاج عبد الواحد.

عبد الواحد: الشي ما بتقري كم جزء والكتاب الواحد أكثر من ستماية صفحة المهم أنا قزقرته فيهو، ودا ما المهم، المهم إنو دقنة كيف استفاد من ملاحظات الإنجليز عن السودان، وكيف وظف الكلام دا في حروبو ضدهم، ودي عبقرية عثمان دقنة، ودي الحطة اللي عايز أركز عليها.

(8)

عبد المحمود استطرد وقال: في يوم الثلاثاء 14 / 3 / 1884 م طلعت القوات الإنجليزية بي قيادة الجنرال جراهام عايزة تحرق وتدمر معسكر الأمير عثمان دقنة وتنتهي من إزعاجو.

كان القرار مهاجمة الأسد في عرينو في قرية تاماي وكانت معلومات المخابرات بتقول إنو عثمان دقنة معاهو قوة صغيرة وسلاحها السيوف والخراب ومعنوياتهم ضعيفة وأمورهم بايظة وأي ضربة بتكون قاضية.

أوشيك: يعني دي نظرية الضربة القاضية في الحقة الفاضية، وضحكوا كلهم من كلام أوشيك.

عبد المحمود: أيوة، لكن وصفك عجيب ياهو ذاتوو.

واصل عبد المحمود، وقال: الإنجليز كانوا عايزين أنو يجيب وتارهم ويرفعوا كرامة بريطانيا في معاركها السابقة ضد البجة اللي فقدوا فيها أعداد كبيرة من رجالهم وسلاحهم وعايزين يرجعو سمعتهم وخبرتم بأي تمن اللي فقدوها في معارك شرق السودان.

أوشيك: دا درب حار وملان نار ما بقدرنا على عثمان دقنة والبجة.

عبد المحمود قال: عسكرت قوات الجنرال جراهامجنب حلة التاماي وعملوا زريبة كبيرة محمية بالسلاح والمدفعية.

كان أي قرار من عثمان دقنة بي الهجوم المباشر على الإنجليز بيعني الموت، وهم زي حق كرري عشان كذا خت خطتو بي مهارة وسرعة كبيرة، ودا الجنن عبد القادر ذاتووو.

وقام عثمان دقنة بالشغل بسياسة عدوك سهرو ولا نومو، فكان بضرب بي البنادق في معسكر الإنجليز بكميات نيران ثقيلة في الليل من كل الاتجاهات واللي بيضرب بيخنتفي زي البعاتي في الظلام، ودا نفس تكتيك الأمير محمد عثمان أبوقرجة اللي اشتغل بيهو في وقت سابق مع قوات الجنرال هكس الذي ما اتنهأ بليلة ينوم فيها مطمئن.

أوشيك: ياخ الكلام دا اتعلموا من وين البجة هم ناس مواجهات بشيلو الرأس برة عينك يا تاجر دا كلام يحير الله يرحمك يا دقنة كان عسكري بي الفطرة.

عبد المحمود: بقى الجيش الإنجليزي يرد على رصاص رجال عثمان دقنة بإطلاق أعيرة ظلامية وهوائية في اتجاه العدو والشجر والقمر والجبال، وما

وقفت الرصاص الناري إلا يسمعوها في جهة جديدة من المعسكر بتاعهم في اتجاه آخر من المعسكر، وفجأة تدور النار في اتجاه ثاني.

عبد الواحد قال وهو يتبسم بي خبث: كان للحركة دي فعل السحر، فقد خوفت الإنجليز وساهرت بيهم سهر جد وعرفوا إنهم يبحاربوا في أشباحا بشر زيهم.

عبد المحمود واصل، وقال: كانت أطول ليلة والإنجليز زعلانين عايزين الواطة تصبح عشان يتقدموا من معسكرهم اللي طفو فيهو أي نار، والكان صعب لمن ينضرب جمل من جمال الشيل أو حصان يهيج ويجري ويعفص الإنجليز اللي ما لقو حل غير ينطحوا في الواطة، راجين الشمس تطلع عليهم، وينتقموا من الأنصار ويقطعوا دابرههم لكن ليل الشرق بقى ليهم طويل خالص.

(9)

عبد الواحد بقى يضحك ويحكي كانو في نص اليوم داك يتكلم بي يدينو ويرفع صوتو ويخفضو، وهو يقول: الإنجليز في فهمهم إنو المقابر بتعني رايات على قنا وأكوام تراب وشدرات وإنو السودانيين ما بكاتلو فيها، كانت برضو فيهو معلومات عن الجغرافيا والانثروبولوجيا والعادات اللي بتقول إنو مقابر بتعني وضع استراحة للجيش وإنو عبورها آمن وإنو أرض المعركة فيها عبارة عن نزهة قصيرة.

في الصباح أمر الجنرال جراهام تشكيل مربعين عشان يتقدموا الأول بقيادة جون ديفز والثاني بقيادة الضابط المشهور بحبو للقتال بالسيف، وهو ريدفرز. كانت الأوامر تقضي بأن يقاتل كل مربع منفرداً عشان يقللوا الخسائر وعشان يكون خط ضرب نار طويل، ودا بيمكن من تطويق وحصار قرية التاماي واللي تقع على وادي تحيط به الأشجار والصخور وعزيمة رجال عشان دقنة.

واصل وقال: تقدمت قوة الاستطلاع المكونة من الفرسان في نص المقابر، وهم في حالة نشوة يستطلعوا الأرض، فمرق ليهم من المقابر والشدرات فجأة ناس عثمان دقنة، وكانت المسافة بينهم صغيرة للغاية وكانوا متلبدين كويس وعاملين كونفلاش مع الواطة والشدر.

وبي سرعة هجموا وجربوا فيهم الحراب والسيوف في الفرسان ومن هول الصدمة عرد فرسان الإنجليز في جوة المربع القدام، وبي ذات السرعة جرى معاهم رجال عثمان دقنة بنفس سرعة الخيول كلهم دخلوا سوا مع الفرسان، المربع كل من فيهو بقو مندهشين واتسمروا من المنظر العدو والصيدق جاين عليهم بي سرعة واحدة يضربوا لا لا ما يضربوا لا لا. يضربوا لا لا ما يضربوا لا لا، لحدي ما كتمت فيهم.

(10)

قال عبد المحمود في شباب البجة اللي بقوا بيسمعوا ما عايزنو يوقف أصلو: من هول الصدمة اتحير جيش الإنجليز في المربع إن فتحوا النار بضربوا الفرسان ورجال دقنة مرت دقائق عصيبة ثمينة من الدهشه، كان وقتها عثمان دقنة ورجاله كسر و الضلع الأمامي للمربع وبقى العدو والصيدق في التحام سيوف البجة السريعة شغالة بتر وكسر وطعن في الإنجليز اللي ما هزمو كلو كلو.

أوشيك: وين القيادة ووين سيوف السنج والشجعان و فراسة الإنجليز.

عبد المحمود: عثمان دقنة استغل معارف الإنجليز وكسر المربع بي سهولة ويسر.

واصل عبد المحمود وهو ييحكي بعد ما خت فنجان القهوة وقال: وبعدها
حسم الإنجليز الموقف إن وقفو كدا ناسهم بموتوا، وإن ضربوا نار بموتوا لكن
أمر الجنرال جراهام بضرب النار على العدو والصديق، وبدأت البنادق تحصد
الإنجليز والفرسان ورجال عثمان دقنة.
أوشسك: آوووو وشايب اشتغل.

(11)

تقدمت قوات البلاك ووتش في المربع الأول وهي تطلق نيرانها مسرعة ودا فتح
ثغرة ثمينة من بين القوات اللي خلفهم. الثغرة قبال ما يغلقوها كانت قوات
الأمير عثمان دقنة مرقت من تحت الواطة من الشقوق والحجارة وجري وملت
الثغرة، فبقى يكورك الضباط وقائدهم جراهام، لكن وين يا كانت الأسود
طلعت خلاص ودا اللي خلى قوات المربع الثاني، تطلق نيران على العدو أم الصديق
ولآ تعين ساي ودا الزمن اللي كانوا محتاجنو أسود الشرق قالها وهو بيضحك.

واصل عبد الواحد قال: قوات دقنة الخفيفة والسريعة اندفعت في الثغرة
ضربت قوات البلاك ووتشفي اليمينه وقوات اليوركشير وقوات الانكستر في الميسرة،
وشتت المربع الأول المتقدم وقاموا بالهجوم على المؤخرة اللي تحميها قوات
البحرية الملكية، وبقى كل عسكري إنجليز يقاتل لوحده وعمت الفوضى.

وتزامن دا مع هجومين من الجانبين اليمنى واليسرى، وكأن القصف الذي
حرق الوادي كان قصفاً عشوائياً وتحللاً للمربع الأول في كيميااء الشرق وسحره ولم
وما قدر المربع الثاني إلا إنويتفرج مذهول في المعركة الخاطفة، ولم يطلق سلاحه
لدقائق مهمة في عمر المعركة كان أنجز رجال عثمان دقنة فيها المهمة، وفقدت
كرامة إنجلترا وسمعة الجنرال جراهام أصبحت تحت أرجل أدروب السودان.

اضطر الجنرال غراهام للجري بأقصى سرعة، كما تعلمني كلية سانت هيرست الحربية (المرعبة) احتفى في المربع الثاني، وبقي عبد الواحد والمعاهو يضحكوا بي قرقراب شديد.

واصل وقال عبد الواحد: جراهام اضطر يجري ويحتفى بي المربع الثاني، ومن ما وصل المربع الثاني سالم أمر بإطلاق النار على العدو والصديق، وهو قرار جبان لكنو اتخوف من تكرار التجربة القاسية مع المربع الثاني. وكذا حصد الإنجليز رفقاء السلاح في المربع الأول المكسور.

لكن المدهش أن قوات الأمير عثمان دقنة فور فتح بندق ومدافع المربع الثاني النار تبخرت وانسحبت سريعاً لتترك الأخيرة الإنجليزية تنال من الدماء الزرقاء الإنجليزية، وينتهي الشرف العسكري وكل نظريات الحرب والزمالة ومفهوم الدفعة العسكري.

على الفور كانت توجيهات الجنرال غراهام الانسحاب للخلف وضم ما تبقى من قوات المربع (المكسور) والمربع (السليم) مع المحافظة على مستوى تغطية نارية ورفع من يمكن رفعه من الجثث والجرحى.

(12)

عبد المحمود قال: وفي نص الفوضى انسحب رجال عثمان دقنة بي تكتيك عجيب وخلو الإنجليز المواصلين في ضرب النار بي خوف وكثافة يضربوا ناسهم، الموت كان أكثر من الإنجليز بي سلاح الإنجليز نفسهم في أول سابقة في تاريخ جيش الملكة، وضحك عبد المحمود والمعاهو.

واصل وقال: لمن وعي الجنرال جراهام وأمر بوقف الضرب كان المربع جزء منه قام جري صوف في اتجاه سواكن وبدون نظام، وفي فوضى عجيبة وجماعة

عثمان دقنة اختفت زي البعاعيت، ولّا الأشباح، وخلو الإنجليز ضباطهم
بكوركو أوقف الضرب أوقف الضرب.

أوشيك: كلام والله تاني بيجو.

أهااا الناس البكتبو قالوا: سواكن التي كانت تنتظر أخبار النصر لتشاهد
قوات الإنجليز الهاربين للاحتفاء بسواكن نفسها التي كانت تتوقع رأس عثمان
دقنة نفسه محمولاً في كيس، أعد مخصوص عشان يختو فيهو رأس عثمان دقنة.

أعاد جراهام تنظيم قواته وحاول أن يتوجه نحو العدو اللي تبخر، ومالقي
نفسه بيحارب في المقابر والشجيرات ويلعق جراحه في أسوار سواكن.

تم سحب جراهام من شرق السودان الملطخ بعار الهزيمة التي لم يتذوق
طعمها منذ أن تخرج في كلية سانت هيرست الحربية ولا كانوا أعظم جنرال في
تاريخ جيش الملكة.

(13)

حاج الماحي: الله حي الله أكبر والله الحمد أولاد أم زقدة حسبوها لعب.

عبد البين: لكن والله قصة عجيبة هو الإنجليز قالوا قروا عن دقنة ما عارفنو
مكار للدرجة دي بتخيل فيهم منظرهم جبان ياخ.

مصطفى: يا عبد الواحد وأثر الكلام دا شنو على الجنرال والإنجليز؟

عبد الواحد: رجع الجنرال جراهام حزين لي بريطانيا وأول مرة يضوق طعم
الهزيمة المر في حلقو هو وجيشو المنصور طوالي، وهناك الشمات بشعو بيهو
جنس بشاعة، ما فضلت جريدة ما كتبت عن هزيمتو دي.

وفي مجلس العموم اتكلم وكترو النضمي النواب من ناس الياقات البيضاء بقوا يسبوا ويهترشوا زعلانين من تخاذل جيش الملكة اللي اتهموا من رعا ما عندهم أدنى تجهيزات جيشهم لا سلاح ولا لبس ولا تموين ولا تخطيط زيهم كيف يهزمهم.

وقال جزء من النواب إن شيطان الشرق مرمغ كرامة الملكة، والسبب غرور جراهام وتهوره الأعمى، كيف يحصل كلام زي دا؟ لازم يحاسب.

أهاا كان جراهام قاعد يستمع وهو زهجان ولمن أدوهو فرصة قال كلمات بسيطة وفي غضب (إن عثمان دقنة عصي صعب ماكر وهزيمته تعني محاولة تثبيت مسمار مربع من الصلب في خرم مستدير من الصلب)، وشال نفسو وقعد في أقرب كرسي القاعة صنت في صمت شديد.

رفعت جلسة مجلس العموم البريطاني دونما أن يضرب رئيس المجلس مطرقة الخشبية، وغادر النواب في صمت، وحسوا إن جراهام ما قصر، لكن أسد الشرق شالا حمرة عين.

(14)

قال عبد الواحد بي فخر واضح: لله درك جدنا الشهيد عثمان دقنة إنت مفخرة السودان وجمرتو الحية في كرعين الغزاة أصحاب الدماء السكسونية الزرقاء، عشت بطل واتحبسته أسد ومت شهيد.

وواصل، وقال: كمان وقف شاعر الإمبراطورية كبلنج الإنجليزي العتيق اللي ولدوهو في الهند وطالما تغنى بنصر جنود الملكة، وقعد يصور جيشها بيلعق جراحه ويطهر الدماء الزرقاء بملح البحر الأحمر عشان يواسي القلوب المرعوبة، ويعالج النظرات الحزينة في قصيدته المشهورة (الفضي وطي)، وهو بيمدح الأسود أم لبد في الخشش وحارسه عرينها، وهي بتهجم على المربع

وتخليه فوضى والعالم كلو من قرأ وسمع قصيدة (الفظي وطي) الي عمت الآفاق، وكلنا قريناها بفخر واعتزاز ما في حاجة اقولها ليكم لأنها معلومة بالضرورة لكل من يعرف تاريخ بلدنا.

قال عبد المحمود لأصحابو: خسائر الأمير عثمان دقنة كانت متواضعة قدام خسائر الإنجليز، إذ قدرها إسماعيل الكردفاني صاحب كتابسعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي بنحو 2000 وخسائر الإنجليز قدرها نفس المصدر بنحو 8000 قتيل وهالك، وقد ذهب أستاذ الأجيال البروفيسور عبد المحمود أبوشامة في كتابو حروب حياة الإمام المهدي من أبا إلى تلسهاي مقدرأ الخسائر بنفس الأعداد تقريباً.



المصيبة المعلقة بالسببية . .

إِذَا انْقَطَعَت السَّبْبِيَّةُ وَقَعَتِ الْمَصِيبَةُ

المصيبة المعلقة بالسببية . إن انقطعت السببية وقعت المصيبة

هكذا كان الشاب الذي لم يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين سنة ولدوهو لأسرة يهودية، ولكن بعد مارحلت لي بريطانيا سرعان ما اعتنقت المسيحية وقدامبعر فأنوردولف فون كارل سلاطين أو عبد القادر أو شواطين كلها أسماء تشير لماكر واحد الي اعتنق الإسلام لمن اتزرائم عاد للمسيحية.

إنه المجرب والمغامر والمفكر والانتهازي الباحث عن الثراء ولا غرو، وقد وفد إلى السودان، وصار ذا شأن عظيم بعد كان ضابطاً بلا شأن ونصف عاطل، يبحث عن وظيفة يستجديها من غردون باشا ليحقق طموحه ويرضي مغامراته.

فإفريقيا هي بلاد السود والنمور والتماسيح والمتخلفين، وكل من يريد أن يلمع عليه أن يذهب إليها، وتدرج في الوظائف في السودان إلى أن أسر وصار من المترجمين الشخصيين للخليفة عبد الله التعايشي في فترة حكمه، ومن الذين تعرفوا على كل الأجناب الذين قتلوا أو أسروا بواسطة الثورة المهدية في السودان.

قال عبد الواحد: لازم سلاطينا اسم الذي سماه الأنصار ليهو شواطين باشا، وبقى من ملازمي الخليفة عبد الله التعايشي في أم درمان، وحكوا عنو قصص كثيرة وعجيبية لمن كان حاكم دارفور أو لمن كان سجين الخليفة أو لمن جاء مع جيش كتشنر باشا.

قال عبد الواحد: كان شواطين باشا يقول عن نفسه (أنا المصيبة المعلقة بي السببية إن انقطعت السببية وقعت المصيبة)، ونجح سلاطين في الهرب وكتب كتابو الشهير السيف والنار في السودان، ما يخلو كتابو من مبالغات ومغامرات وتمجيد الذات وجلد المجتمع السوداني والتبشيع بيهو.

حاج الماحي: المصيبة دي إن قطع الخليفة راسو كان ارتاح منو.

يقول سلاطين عن نفسه: إن أول زيارة ليهو للسودان كانت سنة 1878م، ووقتها كان ضابط صغير في السن وكان ملازم في الجيش النمساوي مع كتبتو في حدود البوسنة.

واصل وقال: كان شالإجازة وزار مصر ومنها دخل سائح في بلاد السودان، وزار الخرطوم وزار جنوب كردفان، وقعد في مباني البعثة التبشيرية النمساوية في الدلنج، ومنها حاول إنو يزور دارفور.

لكن كانت هناك تعليقات تمنع دخول الأجانب لي إقليم دارفور وكتها، وكان حكمدار عام السودان إسماعيل باشا أيوب كان ما بيرغب في الأجانب والجلابة في تلك في الجهات ديك.

قال عبد الواحد: وفي ذلك الوقت كان غردون باشا مدير المديرية الاستوائية، وكان مقيماً في اللادو، وحاول رودلف سلاطين ومعه الدكتور أمين الألمانيانو يزور الاستوائية بأي طريقة.

لكن الأخبار الجاتو من أوروبا أجبرتو على أنو يرجع لي بلدو النمسا، وسافر الدكتور أمين الألمانيانو لي الاستوائية، وطلب منو سلاطين أنو يذكر بخير قدام غردون باشا اللي بقى مشهور في الوكت داك.

قال عبد الواحد: وبعد ثلاث سنوات من الكلام دااتسلم سلاطين جواب من غردون باشا بيدعوه للعودة للسودان للعمل معاهو وداي كانت بداية شقاوتو.

قال عبد الواحد: ولما وصل مصر لقي علاء الدين باشا الليكتلو في معركة شيكان مع هكس باشا جاي للسودان، فزاملو في السفر للسودان.

واصل وقال: فركبوا سفينة لي سواكنوعلى القوافل لي بربر، وفي بربر ركب في ذهبية غردون باشا لي الخرطوم. وأول وظيفة عينو فيها في السودان كانت وظيفة مفتش ماليودي وطفيفة ما كان يحلم بيها.

الخرطوم التي كانت واحة الأجنب في قلب إفريقيا وقتها تمتع بشرب الويسكي والبرادي وارتياذ الكنيسة يقول سلاطينمرقت منهاعشان أعد تقرير عن شكاوى الأهالي من نظام الضرائب في السودان، ودا أول تكليف رسمي لي.

قال سلاطين بيحكى: ومع مرافقيني أعدتلي رحلتيعشان أسافر إلى المسلمية وسنار وفازوغلي وجبال كشنكرو ودي بتقع بين قيسان والكرمك على الحدود مع الحبشة، شايل معاي منظارمقرب وبنديتي ومعاي عدد من الرجال كحرس اجتزت البوادي والقرى وصعدته لي ديار الفونج عشان أعرفشكاوي الأهالي.

قال عبد الواحد: ولما جاء كتب تقرير عن وجود فساد في نظام الضرائب وتهرب بعض المحسويين على الحكام من الضرائب، والضرائببتقع على عاتق الفقراء وصغار الملاك وتثقل كاهلهم.

واصل: ولقى إنوإصلاح نظام الضرائب أمر معقد طوالي قدم استقالته من وظيفة مفتش مالي لعجزه عن تصور نظام مالي وضرائبي أفضل للحكومة والأهالي ولقى إنو العلة في دولاب الدولة الخديوية في السودان كان العساكر والإداريون أكثر سرقة لدماء الشعب في الوكت داك.

قال عبد الواحد: وعينوا غردون بعد داك مدير لمديرية دارة في جنوب دارفور، وطلب منه مقابلتوني شمال الدويم في منطقة الترعة الخضراء طوالي ركب الباخرة وفارقها قبالة الترعة الخضراء.

حاج الماحي: المعنى لقوا ليهو شغل ود الهرمة وضحكوا كلهم.

عبد الواحد قال: مع أمر التكليف بتاع المدير برضولقى تكليف أنو يقود حملة لحرب السلطان هارون الفوراوي اللي بيحاول أنو يستقل بإقليم دارفور وإرجاع ملك أهلوا الي شالو منهم الزبير ود رحمة قبال كم سنة.

قال سلاطين بيحكي: وكان السلطان هارون مستعصم بالقمم العالية في جبل مرة وجنن الحكومة، إضافة لي مشاكل الصراع القبلي وتهريب السلاح والذخائر لقوات سليمان ود الزبير باشا.

واصل سلاطين وقال: وبالإجمال كانت الرحلة لدارفور خطر كبير في الوكت داك. عبد الواحد قال: غردون باشا كان أصدر أمر بطرد التجار الجلابة من مناطق المسيرية والرزيقات والهبانية والحمير ودارفور كلها واتهمهم بأنهم بيدسوا المهربين من الجلابة في الوكت داك، وكان دأول عزل ممنهج لبعض المناطق والقبائل، ودا زاد من نشاط النهابة كتلو التجار الجلابة وقبضوا منهم كتار وسلموهم لي مراكز الحكومة بعد نهبهم في الطويشة وأم شنقة ودارة.

يقول سلاطين: وصلت دارفور في سنة 1879م، وفي الطريق شاهدته فطاع نهب التجار الجلابة على أيدي النهابة وقطاع الطرق. ولمن وصلت لي الفاشر لقيتها بأنها بتتكون من جزأين شرقي وغربي وفي النص وادي تندلتي، وفي الجزء الغربي مباني الحكومة وفيها القلعة وبحيط بيها خندق وفي وسطها مباني المديرية وسكن موظفيا الحكومة وبعد وصولي لي مكان عملي الجديد قدت حملات حربية ضد السلطان هارون انتهت بي قتل السلطان هارون وانتهى التمرد على الحكومة.

عبد الواحد قال: وكان سلاطين مكار ومسيحي متمسك بدينو لكن كان زي الحروبوية، من خلال خبرتو الطويلة في العمل في السودان فهم أنواعا وحبو القائد الراجل الشجاع والمسلم اللي بتواضع معاهم.

عشان كداما كان الدين هاجس في حياتو خالص، لكنو سمح بهجرة واحد من أولاد الفراتيت لي أوروبا وتنصر هناك، وكان الصبي دا اسمو كبسون، إضافة لياهتامه الشخصي بالبعثة التبشيرية الكالولكية النمساوية في الدلنج قبلقيام حوادث الثورة المهديية، وبعد وقوعهم أسرى في يد الأنصار في أم درمان.

قال عبد الواحد: وسلاطين يميل في كتاباتو لي إبراز شخصيتو اللييحاول إنو يصفها بأنو رحيم ومناصر للحق وعادل وقادر على بذل كل نفيس عشان خاطر الغلابة.

وهو بهذه الصفات يعيش في مجتمع تغلب عليه الأنانية والجهل والصراعات ولا يعرف سبيلاً للمدنية وتعمه الفوضى، أي كأنه (المسيح وسط اليهود)، ويدعى أنه سلاطين ناضل مع عسكره لمنع الحروب الأهلية، وفي عام 1881م وبعد زيارة صغيرة للخرطوم وبعد وصوله إلى مقر عمله في مديرية دارة، وصلته برقية تحذره من نشوب تمرد صغير بقيادة درويش اسمه محمد أحمد، وأنو عليه أن يمنع الأهالي من الانضمام اليه بأي تمن.

ويقول سلاطين: في كتابه السيف والنار عن أبرز أسباب قيام الثورة المهديية: هي السياسات الخاطئة في جمع الضرائب والفساد الإداري، إضافة إلى محاولات منع الرق وهو أمر كفله الدين ولم يمنعه، والأرقاء هم الشغيلة في نظام الإنتاج، فيزرعون الأرض.

قال عبد الواحد وهو يقرأ مقتطفات من كتاب شواطين باشا: ويقول سلاطين عن الرق في السودان الدين يأذن بالرقيق، وقد كانت الأرض منذ عهد

بعيد تفلح بالعبيد، وكان العبيد يوكلون بالماشية، ولست أشك في أن النخاسة كانت تتطلب ارتكاب فظاعات، ولكن لم يبال بها أو يفكر فيها مشترو العبيد، وكانوا على وجه العموم يعاملون عبيدهم معاملة غير سيئة، وكنا نسمع شكاوى العبيد ونحرر العبد الذي يشتكي من مولاه، ولكن العبيد يعودون لسادتهم أيضاً.

عبد البين: لكن كيف الكلام دا وبريطانيا واحدة من مزاعمها تحرير الرقيق ويجي يقول خلو الرق في السودان.

حاج الماحي: كل وثائق المهديّة حاربت الرق ومنعت النخاسة.

عبد الواحد: صاح كلامك لكن سلاطين كانت عندو نظرة براهو وطبقها رغم المعارضة لي سياستو دي.

قال عبد الواحد مواصل كلامو: وكانت نظرة سلاطين باشا تجاه الرق قد وثقها في تقرير حكومة السودان بعد عودته مفتشاً عاماً للحكومة الاستعمارية بعد مجاعة 1902م المنسية، التي اضطر الإنجليز يجيبو ذرة من الهند لإغاثة الأهالي اللي هجر العبيد مزارعهم، وقل منسوب النيل والأمطار، فسمح تقرير سلاطين بنوع من الرق على الرغم معارضة المجتمع المعادي للرق في بريطانيا وقتها.

وبعد انتشار المهديّة وبقت قوية اضطر أنو يسلم ليها، ويعلن إسلامو وشال الأنصار سلاطين أسير، ورافق كل حملات المهديّة بعد سقوط كردفان ودارفور، واستسلم كارهاً وغير دينه وادعى الإسلام.

قال عبد الواحد: وبعد فتح الخرطوم تناوب عليه الدهر بين التقرب للخليفة عبد الله ومجالسته وبين حبسه في السجن وإهمالو، لكن الحدث الأهم بعد

السوداني، وظل هو الأكثر حنكة ودراية، لمن وضعت استراتيجية تحويل المهديّة لى طائفية بنلقي أنو أوراق سلاطين بتتكلّم عن المجتمع المتدين المتصوف السني الوسطي ومداخل اختراقه عن طريق تبني استراتيجية تحويل الأنصار إلى طائفة ومنحها الأراضي، وخلق حالة من التنافس مع الحتمية للسيطرة على المشاعر الدينية ومن ثم السيطرة على السيدين، وبالتالي يضمن الإنجليز إنو ما تقوم ثورة جديدة زي المهديّة، مع التركيز على تثبيت نظام الإدارة الأهلية ادورجالاتها سلطات واحتراماً كبير.



المهدية والحبشة
حجوة أم ضبيينة

المهدية والحبشة حجوة أم ضبيينة

(1)

ياجدو الليلة مزاجك حلو وبعمل ليك شاي مطبوط، قالتها زينب حفيدة
عبد الواحد الي كان مهموم بمشاغله الخاصة في البيت، وبفكر يمرق لي أصحابو
الي متأكد أنهم منتظرنو في دكان صاحبو حاج الماحي.

عبد الواحد: أكيد عندك رأي يا زنوبة دا ما كلام شاي مجاني.

زينب: أي ياجدو أحكي لي عن المهدية والحبشة قدر ما حاولت أفهم الدرس
دا ما وقع لي.

قعد عبد الواحد وقال: أمري لله جيبني الشاي واستطرد، وهو بينفخفي
الهواء والتفت يمين وشمال، وقال: العلاقة بين الثورة المهدية والحبشة بدأت
بعد انتصار المهدية وتحجيرها الخرطوم، وبقت المهدية دولة تحكم رقعة كبيرة من
أراضي السودان، بما فيها تخوم الحبشة.

واصل وقال: في الوكت داك بدأت الحبشة الإمبراطورية في فهم الثورة الجديده
الليبتجاورها حدوداً ووجوداً، واستعانت بي بعينها وحلفائها القدامعشان تعمل
تقدير موقفلاً ووضاع في السودان الليانتفض على حكومة سموها كضب ساي بي
التركية السابقة، وهي ما تركية شوفو ليها اسم غايتو أنا بسميها الاستعمار الأول.

زينب: ماعلينا بي الغلاط في اسمها واصل يا جدو.

والتركية اشتبكت مع الأحباش في عدة حثات واحتلت مصوع وثبتت أقدامها في شواطئ البحر الأحمر الغربية والقضارف وكسلا، يعني يا زنوبة بقوا في تماس مع خلاف في العقيدة والفكرة بين الترك والحبش ونفس العقدة تاني وقعت مع المهديّة نفسها.

(2)

رشف عبد الواحد من الشاي المننع عين لي زينب، وقال ليها: يابت يا مكاراة أنتي عايضة إيه بالتاريخ، بيقولو (يصبح التاريخ مجرد هراء إذا قام الأموات) وضحكوا زينب وجدها عبد الواحد.

قالتلهو زينب: خلي مقدمات المثقفاتية دي وخش في الموضوع تووش يا جدو.

ضحك وختّ كبايتو وقال وهو يحدق في الأفق: أمري لله، وعليا اعتبار المهديّة ثورة بتاعتالأهالي ضد الترك كان على الحبوش التفكير في إقامة حلف إفريقي يضم القويالوطنية في إفريقيا المناهضة الاستعمار الأوروبي الليبلعأراضياالقارة الإفريقية ودمر السلطنات والمالكودكّ حصونها واستعبد سكانها.

واصل عبد الواحد وقال: فكان الملك يوهانس عايز التواصل مع المهدي واتراسلوبي عدد من الجواباتمن قبل وفاة المهدي في الخرطوم، لكن النبرة بينهم كانت حادة شوية، وتمسك كل طرف برؤيته، ودا أظهر مدى الخلاف بين السودان والحبشة أو بين الرجلينفي الوكت داك.

(3)

زينب: والحصل شنو وليه يختلفوا؟

عبد الواحد: المهدي دعا امبراطور الحبشة والنقوسلي الدخول للإسلام والانقياد فيسلك المهدي وقال لهم (وإلا فإن عليهم إثمهم وإثم من تبعهم) وحا تنتهي علاقة السودان بالحبشة بحرب مروعة ووعدهم بالهزيمة. بذات قوة الراسكان رد إمبراطور الحبشة وبادر بدعوة المهدي للدخول في المسيحية وإلا أنه سيغزو السودان ويقتحم عرش المهدي الي بدأت في توطيد أركان دعوتها ودولتها، الدبلوماسية وعلاقة الجوار دقشو بحاجز الدين الي بدا يعبئ كل طرف السودان والحبشة قواتو لمعركة تفصل بين الحق والباطل كلو طرف حسب رؤيته.

(4)

اعتدل عبد الواحد وقال لي زينوبة: مسرح الأحداث كان حافل بوقائع كثيرة أبرزها إنو المهدي المنتشية بتحقيق حلم الدولة الإسلامية رغبتها في التوسع وفتح مكة ومصر والشام وضم ليبيا لأراضي الثورة.

زينب: يعني يا جدو المهدي ما محصورة في السودان بس.

عبد الواحد: طبعاً لا المهدي كانت أحلامو كبيرة والسودان جزء منها إن كانت صاح ولا غلط أفكارو.

واصل وقال: المهدي في فكرها هي الحق وبس وما سواها الباطل وعلى الجانب الثاني كمان كانت للأحباش أطماع توسعية في أرض السودان من زمعرفناتاريخياً عن حملة الملك عيزانا الي دمر مملكة مروى شمال الخرطوم، الحبششايفينأنو عندهم حق السبق على المصريين والإنجليز اللي احتلوا السودان.

زينب: والله دا كلام جديد كمان عشان كدا ماعايزين يمرقو من الفسقة
ومناطق الزراعة شرق القصارف.

واصل وقال: وكمان الحبش شايفين نفسهم أنهم قلعة مسيحية في وسط محيط
إسلامي هائج عشان كدا قيام دولة إسلامية غربها أو جنوبها أو شمالها أمر خطير
ومعادي ليهم، وتاريخيا ممالك الطراز الإسلامي في الحبشة قربت أن تسقط مملكة
أكسوم الرمز الديني والسياسي للحبش عشان بدأ كدا نذر المواجهة في غرب
الحبشة وشرق السودان.

واصل عبد الواحد، وقال: أهاقولي يا ستي الامنتي ليك كان واضحأنو
الرؤيتين المتناقضين، وكل طرف عندو أطماع مع الصراع الديني وشايف كل
طرف إنوبكاتل من أجل عقيدته، ودا سرع بي الصدام بعد الجوابات اللي تتحمل
نبرة التحدي والرغبة في احتواء الثاني، عشان كدا ما كان هناك مجال لحلف
إفريقي عماده الحبشة والسودان، لكن نذر الحرب لا محالة ودي عادة الأفارقة
زي الدجاج يتصارعوا داخل الفقص عشان يهزم طرف ويجوا الخواجات
يضربوا الطرف الثاني.

(5)

في دكان حاج الماحي كان قاعد عبد البين ومصطفى منتظرين عبد الواحد
يظهر ليهم زي كل يوم.

حاج الماحي: الليلة عبد الواحد دي ما عوايدو يغيب لي الوكت دا إنشاء الله
المانع خير.

عبد البين: يكون في الحجر الصحي أصلو اليومين دي عمك مهروش يكون
بغسل في العدة وضحكوا.

من طرف الشارع ظهر عبد الواحد جاي على الدكان، وهو ماشي سريع على جماعتو، ومرة مرة يتلفت وهو ماش.

مصطفى: خير يا مولانا الليلة مالك كمان؟

عبد الواحد: خير ماف عوجة تب ياها مشاغل الدنيا وبس.

عبد البين: مشاكل الدنيا تجبرني أخالف وعدي وأتلوم وضحك.

عبد البين: والله البنية سألتني سؤال وقلت أرد لها والزمن جرّ معاي.

حاج الماحي: خير.

قعد عبد الواحد وحكى ليهم عن قصتو الي سألو هو منهاهي قصة الحبشة والمهدية والحرابة بينهم.

قال عبد الواحد مواصل في القصة: في بلاط الأحباش كان فيه الطامعين فيهو كتار، وكان للأمرء نوع من الاستقلال، خصوصاً بعد مقتل الملك يوهانس في القلابات.

بذات القدر ماكان ملك الخليفة عبد الله التعايشي بارد، فكان عليهو إنو يواجه ثورة الأشراف، وإنو يقمع كل من هو غير راض عن حكمه، وإنو يخطط لمنع الثورات، وكمنا يخلينا لأنصار الفرحانيين انتصارهم في حالة خمول قدامو فتوحات كبيرة، وكمنا ورث من فكر المهدي الي كان بيطمح أنويتمدبره السودان.

في الوكت داك قسمت إفريقيا لمناطق نفوذ وبدأ الزحف الأوروبي الي كان ييمثل القوى العظمى في وقتها، فالمسرح الداخلي بدأ في الفوران والتجهز للصراع وحتى الأوروبيين كانت أطماعهم فيما بينهم شديدة ودا خلى التسابق الأوروبي نحو إفريقيا خطر كبير يهدد ممالكها، وفي الزمن دا كأوروبا طور تأسلحة حديثة واستراتيجيات خبيثة على رأسها استراتيجية فرق تسد.

عبد البين: صحي وأنحن بتتعارك وما جايين خبر للحاصل.

(6)

عبد الواحد: قولو كدا عشان تفهمو كويس أنو العالم برة فيهو شنو.

واصل وقال: كان القرن التاسع عشر عصر أوروبي بامتياز، فقد دخلت فيه ما بعد عصر النهضة والثورة الصناعية وثورة البخار، وطورت وسائل النقل والتصنيع، فظهرت السكك الحديدية والبواخر الجديدة في وقتها وصنعت أسلحة ومعدات حربية حديثة من حيث القوة التدميرية والمدي القاتل.

عبد البين: أها وناس قريعتي راحت لسع في الراحتون والحشخشان وبنادق أبو لفته والله صحي ظهر الفارق في التسليح والتخطيط والذي منو.

عبد الواحد: فعلاً كانت أسلحة الأفارقة متخلفة كثير عن ما أنتجته المعامل الأوروبية، وظهرت شبكات التلغراف وتطورت في الكثير من المنجزات العلمية، وناس اوروبا حلوا مشاكلهم في مؤتمر برلين في العام 1885م، ودا نفس العام اللي كانت بوادر الصراع بين الحبشة والسودان، تتعالى وتزداد لهجة المراسلات بين المهدي ويوهانس حدة.

(7)

قال عبد الواحد لي زينب: أها دبلي لي الشاي.

ضحكت زنوبة وقالت ليهو: ما تدبل إلا في الشاي يا جدو واستغرقوا في ضحك.

ردت حبوبتها اللي اتسلل الشيب من رأسها: يا مجنونة جدك مالو ما عرس مرأ، برا النضمي بتاع الجن البحكي ليك فيهو الضيعوا شنو.

ضحك الجد وقال: أسكتي أنا لسع في السووق وسوقي حار. وضحكو كلهم.

وكبت زنوبة من الشاي واعتدل عبد الواحد، وقال: المهدي في سنة 1885م كانت شعبانة بالانتصارات على الحاميات المصرية المتهاكلة اللي كان فيها المرتزقة من

كل مكان وما عندهم إلا جمع المال أو من الي نفاهم حكام مصر وتخلصو منهم في فيافي السودان.

واصل وقال: بعد وفاة المهدي مك الخليفة وكان حكمو ما فهو هوادة، وفتحت جبهات في نص القبائل والحدود كلها حسمها بالسيف، وكان أخطر تهديد من الحبش عندهم جيوش ماليها حد، عشان كدا كان لازم يحسمهم وإلا بضيعوا ملكو ويغزوا السودان.

(8)

قال عبد الواحد: كانت آراء الأوروبيين متفقة على إنهاء حكم الخليفة، فزحف البلجيك من الكنغو مستعمرتهم في حملة كبيرة بقيادة الكابتن قورتمنادي، ووصلوا لي اللادو في جنوب السودان، واشتبكوا مع المهدي التي كان يقود قواتها الأمير عربي دفع الله وزحف الفرنسيين بقيادة المارشال مارشند، وأسسوا حداش رنقطة، واشتبكوا مع المهدي في مشرع الرق ومشرع الشول، لكن الفرنسيين والبلجيك ما اتقدموا أكثر من دا.

حاج الماحي: يعني الخليفة عبد الله التعايشي كان بيحارب في العالم كلو ما فضلت دولة ما حاربها زيادة على دا الجبهة الداخلية بقت شبه معادية ليهو كتل القبائل الكبيرة وأعدم قيادات وغيرها.

عبد البين: لأنو حكم الخليفة كان صعب ومعادي الكل ماف زول بهديهو كلو كلو.

عبد الواحد: أعتقد أنو الخليفة كان مبسوط من الحروب دي، خصوصا وأنها كلها كانت في الأطراف وما هددتو ووصلت لي أم درمان إلا في سنة 1898 م في كرري، كان عايز جيشو في حالة حرب والناس مشغولة، لكن دا كان عندو تمن برضو.

حاج الماحي: والتمن شنو كمان.

عبد البين: مجاعة سنة ستة وفي النهاية الإنجليز هزموهو في كرري لأنو كانت حروب في الفارغة والمقدودة.

حاج الماحي: لو خلاهم ما بيخلوهو وأحسن يبادر ليهم بدل ينتظرهم أي حاجة عندها حد.

(9)

قال عبد الواحد لي زينب: عارفة إنو الصراع كان على أوجه بين المهديّة والحبشة، وفي أطماع كثيرة من الطرفين والخواجات طمعانين فيهم الاتنين ولازم أحكي عن ميدان التنافس.

ضحكت زينبو قالت: جدو لازم تديها شمار وكسبرة، أمري لله، احكي يلا.

واصل وقال بي صوت جهوري: والقلابات مدينة صغيرة تقع على ضفة خور أبونخرة من جهة الغرب وعلى الضفة الثانية في قرية المتمة التي هي جزء من أراضي السودان الي وهبها الإنجليز للأحباش تخليداً لذكرى مقتل الملك يوهانس، ولأن فيها قلة من المسيحيين خافوا عليهم إنو يتحولوا للإسلام.

والقلابات برضو سوق يتبادل فيها التجار من النقادة والتكاير وأهلنا العرب الساكنين في ضواحي القصارف مع الحبوش، وكانتبتمثل نقطة جمرك في زمنالترك، وبعد انتصارات المهديّة عينو على القلابات الأمير محمد ود الأرباب، ودا من التكاير بتاعين القلابات.

واصل وقال كانت القلابات معبر للدبلوماسية الي كانت في شكل الرسائل ومعبر للجيشوش وموقع للحرب بين النظامين في الوكت داك ودا على الرغم من أهميتها التجارية.

(10)

زينب: طيب المهديّة عندها معارضين ومؤيدين وكل واحد عندو رأي فيها؟

عبد الواحد رد عليها: طبعي أنو يكون في معارضين ومؤيدين لكل شكل من أشكال التفاعل لكن المعارضة والتأييد، لازم تخضع لي مقاييس واقعية وعلمية ودينية، والمشكلة الكبيرة أننا بنحاكم التاريخ بواقع اليوم، ودا أكبر غلط لكل زمان ظروفو.

واصل عبد الواحد: ويا بتي المهديّة العاقلين من المهتمين بي تاريخها بقسموها لي مرحلتين الثورة، وشارك فيها كل الناس، والترك ما خلوزولما زعلوهو كلالقبائلحاربت الترك، وإن كان في ناس كانوا واقفين مع الترك، وديل كانت مصالحهم مربوطة بي الترك في الوكت داك ومرحلة الدولة، ودي كان حاكمها الخليفة عبد الله التعايشي، ودي فيها خلاف كثير ما في داعي نجيب سيرتو.

واصل وقال: المهم بعد وفاة المهدي وتم الأمر للخليفة ظهر للسطح الخلاف الحبشي السوداني، لكنكانت التجارة كانت بتجيدخلكبير ومهم للدولتين عشان كدا التجارة ما تأثرتبي الخصومة بين الدولتين كثير.

زينب: وطيب الجاب الحرب والخصومة شنو؟

عبد الواحد: قام الملك يوهانس بأمر جيشة بالهجوم وطرده الأنصار من القلابات وحرقها، دا حصل سنة 1887م، واستطاع جيش الحبوش الدخول للقلابات وتدميرها، واستشهد الأمير محمد ود الأرباب عامل المهديّة.

واصل وقال: بعد داك انسحبت جيوش الحبوش من القلابات لي داخل العمق بتاعهم، وكان الملك يوهانس عايز يوصل رسالة للخليفة عبد الله التعايشي الي كانت لهجة خطاباتهاشد ومتحدية، وكانت رودود الأحباش أكعب منها، ودا سبباندفاع جيش الأحباش لتدمير القلابات وهزم قوات الأنصار.

أها والخليفة عمل شنو بعد ما كتلو ناسو والأمير ود الأرباب؟ دا كان سؤال زينب لي جدها.

عبد الواحد: الخليفة طوالي قام بادر الخليفة بإرسال عامل الجزيرة الشجاع الأمير يونس ود الدكيمعشان يسد الفرقة في ثغر القلابات، ويوقف أي محاولة للاندفاع للعمق السوداني، قام يونس ود الدكيم وقاد حملات صغيرة على القرى الحدودية في الحبشة ودمر كنائس وغنمها، في الوكت داكما اهتم الملك يوهانسبي غزوات مناوشات ود الدكيم لأنو طلائع الجيوش الإيطالية كانت بتهدد الحبشة نفسها.

(11)

حمدان أبو عنجة دا قصة براهو من قبيلة اسمها المناضلة وحارب بقوة، وكان بخطط صاح، ودي في ناس جبهو هوا، وناس اتضرروا منو، وديل ما حبة.

واصل وقال: هو القائد المنتصر كان في جبال النوبة استدعى على عجل ووصل أم درمان في نهاية 1887 م وتحرك عبر الجزيرة والقضارف ليصل لي القلابات ودعم حصنها.

وعلى الفور وفي يناير 1888 م غزا الحبشة ووصل لي قندر وغنم منها على الرغم من رداءة الجو ووعورة الطرق وقلّة المؤونة، إلا أن رجاله عبروا المانتق والجبال ونزلوا الأودية، وأظهروا شجاعة انهزم أمامها الأحباش.

وعاد حمدان أب عنجة للقلابات إلا أنه توفي متأثراً بالمرض واستلم بعدها القيادة الأمير الزاكي طمل، في الوكت دا كحرك الملك جون جيوش كبيرة وكثيرة لمن قالو أنو الأسود والنمور كانت تجري قدامها من كترتها وغبار يكون ماسك في الهواء اليوم كلو.

قال عبد الواحد: ما خلى الملك يوهانس راجل وراهو جابي كل جيوشو
واندفع نحو القلابات في ذلك الوقت استعد الزاكي طمل وبنى دفاعاتو في
حصن القلابات الشهير وبقى منتظر في حالة دفاع.

(12)

قال عبد الواحد. الحبش زمان زمن الملك عيزانا ملك أكسوم في التاريخ
القديمدرو مروى وغزو السودان، لكن ما قعدوا محتلين كلو كلو.

وفي القلابات هزموهم الأنصار، بالتالي أي تغيير سياسي ولّا عسكري في
البلدين بأثر في الثاني، ودي سببها لعنة الجوار والعلاقة بين الهضبة والسهل.

قالت زينب: جدو خلى التحليل وتم القصة.

ضحك وقال: في القلابات دارت أكبر وأعظم معركة بين القوتين اللي خسرو
رجال وقوات كانت بتمكنهم من صد العدوان الخارجي الاستعمار الأوروبي.

وبطلقة طائشة بعد اشتباك لعدة أيام قتل الملك جون، وانهمز الحبوش، وما
طاردهمقواتالأمير الزاكي طمل، لكن معركة خور أبونخرة أو القلابات علامة
فاصلة في تاريخ الدولتين السياسي.

يابتي قصص الحبش مع السودان كتيرة وشاهيك كمل وكملت الحدودة
بإذن الله.



مشاهدات ونستون تشرشل لكمين عثمان ذقنة

في معركة كرري 1898 / 9 / 2 م

مشاهدات ونستون تشرشل لكمين عثمان دقنة في معركة كرري 2/9/1898م

(1)

عبد الواحد بقى يقرأ من الكتاب القدامو والكتاب دا اسمو حرب النهر كتبو شرشل اللي قال فيهو بكل وضوح (هأنت كنت كحب الأرز الذي يليه شخص غاضب في زيت ساخن)، كتب الملازم أنذاكونستون تشرشل في كلامو مع دفعته الذي قاد قوة الفرسان لاقتحام أم درمان في معركة كرري.

حاج الماحي: أهأااا دا زولك بتاع الشهارات داك؟ واستغرقو في الضحك كلهم.

عبد الواحد قال: السير ونستون شرشل لمن كان ضابط جديد، وبقى عاوز إنو يشتركي في حملة إعادة احتلال السودان لأنو كان الاشتراك في الحروب الفيكتورية بيعدوهو نوعالفخر للضباط، ويجو ملقطينلأوسمة والنياشين، إضافة لي إنو بيرفع من سيرة الضابط في الوكت داك.

عبد الواحد واصل وقال: ماكانت أهداف الملازم ونستون تشرشلتختلف كثير عنضباط الجيش الإنجليزي وقتها عشان كدا كان التنافس في الانضمام للحملات يحتاج لي علاقات مع كبار ضباط الجيش البريطاني وكثير من كسير التلج.

حاج الماحي: يعني حراة وموت وعاززة واسطاط وكسير تلج.

وفوق دا كلو كانت سمعة تشرشل سابقاهو إنو كان بيكتب في الجرايد ورفض كتشنر مشاركتة، لأنه كان يكتب في جريدة الصباح اليومية الي اسمها ذا مورننق الشهيرة، ويحب الشمارات، وفي الحملة دي كان معاهو عدد من دفعته وأصدقائه وأصحابو وكانو شايفنو أنو صحفي ميداني أكثر من ضابط في حرب حديثة.

السير ميچور جنرال هيربرت كتشنر أوف خرطوم قال: إنو الضابط ونستون تشرشل بيفتش على الأماجدبس والفوشار، وهو ذاتو كان بديل لي ضابط تاني كما ان يعني ماهو ضابطاًصيل في الحملة.

قال عبد الواحد: في الواقع تم تعيين دفعته ود الملكة فيكتوريا في الحملة لأنها أقدم من تشرشل بي نمرة عسكرية واحدة، الضابط دا كان ترتيبو في الدور الداير بتاع العمليات عليهو، فهو ود الملكة فيكتوريا وأبوها أمير ويلز، يعني ولد عزة ورضاعة بزة، يفكوهو عشان يكاتل الدراويش، لا لا ما أظن دا بيحصل.

ضحك عبد البين وقال: أوعى قالو يجي الخرطوم يحارب في السودان خواجات وجنو والله يلمو فيهو ناس قريعتي راحت يلحقوهو أمات طه.

حاج الماحي: عليا لجزيمة دا ياهو البمجموهو ذاتو الوليد قايل المهديدة لعب.

عبد الواحد: هوي ارتاحو ساي الإنجليز ذاتهم دقو جرس وكوركو قبالكم إنتو، الجرائد هاجت، والرأي العام أعلن رفضه لحماقة إشراكود الملكة.

وبقوا يبسالوا ماذا لو قتل الدراويش هذا الأمير؟

أو تمأسره؟

سمعة بريطانيا تروح وين ياناس؟

بتم مرمطة بريطانيا في التراب.

(2)

عبد الواحد: رئيس الوزراء في الوكت داك منع ود الملكة من التحرك مع الحملة وعين الضابط الأحدث منو، والبعثو في الأقدمية طوالي، وكان هو الملازم ونستون تشرشل، وكان هو ذاتو ومنتظر الفرصة دي من زمن، وعين في الحملة كما يقول العساكر بالبدل يعني ما أصلي.

حاج الماحي: والله قصتو سمحة عديل.. واصل واصل يا الحاج.

عبد الواحد قال: السردار كتشنر عرف إنو الضابط المعين بي البدل لي ود الملكة ويراسل صحف وجرائد بي اسم مستعار، وبيحث عن شهرة وإنو متعجرف يدعي إنو مفكر وفيلسوف. ودا يناقض الضبط والربط اللي اشتهر بيهو الجيش الفيكتوري في الوكت داك، فالضابط مفروض ما يعرف إلا قتل العدو والنساء والخمور، فهو كائن خلق للحرب والقتل وإدارة الجنود ونيران الأسلحة وليس معاقره الورق والفلسفة والكتابة على الجرائد، دا كان نمط تفكير الضباط خريجي كلية سانت هيرست الحربية الشهيرة في بريطانيا.

(3)

قال عدد من عساكر الإنجليز عن الملازم ونستون: اعتبر السردار كتشنر باشا أن الملازم ونستون تشرشل عالية على الجيش وحمولة زائدة، تم التخلص منها بأن يجر من شرف الاشتباك مع العدو ومنعه تحقيق رغباته.

وفي حوارهم قالوا: إن الأوامر الصارمة كانت من الميجور كتشنر إلى الكابتن أر. أن. كييل بأن يشدد عليه الرقابة، فهو مجرد ملازم متعجرف.

وقالو: ونستون تشرشل استوعبته بوارج حملة النيل ضيفاً ثقيلاً، أجبته النقيب كييل على أن يكون ضمن قوة البوارج الحربية عشان يجرموا من الشارات.

وقالو: بعد كل هذا كان يحارب بخياله وسمعه وبصره على الرغم من أنه لم يدس على تراب المعارك كتب سفره الموسوم حرب النهر، بعد أن بقي من المتفرجين في البارجة ملك أو أجبر على ذلك.

وقال عساكر كتشنر في همساتهم في أمسيات السودان الساخنة: كانت شل منظار مقرب أو نضارة ميدان يشاهد المعركة ويدون ملاحظاته ويكتب، وكان الضباط والعساكر في وهج الحرب والغبار في كرري، كانت بدلة ونستون نضيفه وطاقيتو العسكرية بتلمع، والبوت بتاعو بيلمع زي نخرة الكلب.

قال العساكر برضو: كان يراقب إبادة قوات الخليفة عبد الله التعايشي من منظاره برضو ويكتب في مفكرته ويوزع قواته والنيران في الهواء، ويفترض أنه يدير نيران المعركة يكورك ويجري ويوزع التعليمات ويعلق ويحاسب، وهو على كرسية في سطح ملكالتي كانت تقصف وتدمر دون أن تعتبره موجوداً على سطحها من أساسه، وإن كان يعامل معاملة ضابط، لكنه منسي أيضاً.

ونستون تشرشل كان بيدون في أوراقه المبعثرة ملاحظات، وكل البسمعو بكتبو طوالي، ودا كان ذكاء منو كتب في مذكراتو بعد كرري (لم نتصر عليهم بل أبدناهم، إنهم أشجع من مشى على سطح الأرض، إنهم همجيون ومتوحشون وستنتصر عليهم الحضارة).

عبد الواحد قال: ونستون تشرشلما ضرب طلقة واحدة، ولم يوجه جنوده لأنه كان بدون مهام، مجرد حمولة زائدة على البارجة ملكالتي كانت تمطر سهل كرري نيران مدفعية الهاوزر والمكسيم وبنادق لي متفورد، ودي كانت أحدث صيحة في عالم السلاح وقتها.

لكن كان ونستون تشرشل يولع سجائره الإنجليزية الفاخرة، ويكتب عن محارق المكسيم وقتل الجرحى واستخدام الذخائر المحرمة النابالم، ويشاهد بي عدسات منظارو الخوازيق وعلى الرغم من أنو كان في دكة الاحتياط إلا أنو بقى مشهور بما كتبو عن كرري وحملة النيل.

(4)

وصار بطل المعركة عندما نشر كتابه (حرب النهر) ومقالاته في الصحافة الإنجليزية عن الأحداث بتفاصيل، لم يشترك فيها بل سمعها من خاضوها، لأنه مغضوب عليه من قبل قائده الماسوني ميجور جنرال كتشنر الذي كان يناديه باسم الضابط الذي استبدله نكاية بيهو.

عشان كدا نشأ غل خفي بين الضابط الصغير وقائده الميجور جنرال هيربرت كتشنر باشاللي حرمه متعة رحلة الصيد البشري باسم الحضارة، واللاتين مستعمريناهم فائدة.

(5)

قال عبد الواحد: الملازم وقتها ورئيس وزراء بريطانيا في الحرب العالمية الثانية السير ونستون تشرشل كان يدون، شاهد فجأة 70 فارساً من قوات الأمير عثمان دقنة ما عندهم شغلة غير حراسة طريق أم درمان بس سبعين فارس، يرقصوا بأحستهم ومعهم رايات لا يهمهم الموت المدور في سهل كرري.

وكتب في مفكرته بخط أنيق رقصة موت الفرسان هؤلاء كأنهم في حفل راقص، كانوا شمال خور شمبات استغرب لرقصة الموت عند السودانيين المتوحشين المتخلفين.

عبد البين: يرقصوا في نص الحرابة والموت واقع في الدراويش ديل ما لهم كمان.

واصل عبد البين، وقال: فجأة حرك منظاره تجاه قيادة الجيش الإنجليزي شاهد دفعته الملازم بيتيمن قوات البحرية الملكية، يتحدث مع القائد كتشنر، ومعه رئيس قلم المخبرات الجنرال ريجنالد ونجت باشا تابعهم بي منظارو وشكلو كلامهم مهم وجادي خالص.

كان كتشنريقول لليتوانت بيتي اندفع بكتيبة الفرسان الرماحة واحتل مدينة أم درمان أثناء المعركة، فمعلومات الاستخبارات وقتها تقول إن قوة حماية الشارع المؤدي والي بيمر عابر خور شمبات لي أم درمانفيهو 70 فارس بس.

حاج الماحي: الكلام دا كيف؟ معقولة الأنصار مخلين الشارع لي لعدد بسيط من الفرسان؟ طبعي يندفع الإنجليز ويخشو يحتلوها.

عبد الواحد قال: مهمة سهلة للغاية فيها أمجاد لي الملازم الباحث عن المجد والشهرة، والسلاح يحدد الأنصار، ونتيجة المعركة شبه واضحة لتفوق القوة النارية الإنجليزية اللي صنعوا أسلحة ذات مدى يفوق بنادق قوات الخليفة عبد الله التعايشي القديمة، وتغيرت تكتيكات الحرب، وانتهت أسطورة حروب المجاميع لصالح التسليح والتخطيط الإسناد.

عبد البين: يعني لو نجح حا يكون مشهور بأنوقوتو أول قوة تخش أم درمان وعيبك وضحكوا كلهم.

واصل عبد الواحد وقال: قوات كتشنرتمدها السكة حديد والبواخر والبوارج ومستشفى ميداني متحرك ومعلومات قلم المخابرات التفصيلية عن أم درمان ياخ النتيجة للتحضيرات المميزة كانت شبه واضحة ستة صفر لي صالح الإنجليزي.

عبد البين: لايخ فر جمع الطاغية والنهر يطفح بالضحايا وبالدماء الغانية وضحك.

(6)

عبد الواحد قال: اندفع الملازم بيتي بقوة الرماحة بعنف عشان يزيح القوة الراقصة من فرسان الأنصار واللي غير مهتمين بالمعركة، وكان الرماحة في وضعية هجوم طائر طيران على فرسان الأنصار.

حول ونستون تشرشل نظارته المقربة تجاه فرسان الأنصار عشان يلقي آخر نظرة عليهم، ويدون ما يراه فجأة شاف في منحدرات الخور 700 من البجة جالسين ورماحهم إلى الأعلى في هدوء وترقب.

واصل وقال عبد الواحد: حاول تشرشل أنويرسل إشارات يحذري دفعتمو الملازم بيتي من الكمين الذي شاهده، والملازم وقوته مندفعين، والفرسان يرقصون في مرح.

صرخ ونستون تشرشل ولكن من يسمع تحذيره؟ من يهتم به؟ في لعلعة السلاح، ولا يهتم به أحد لا العساكر ولا الضباط، فهو مجرد حمولة زائدة في البارجة المسلحة ملك.

حاج الماحي: الله حي والحصل شنو؟

وعند اقتراب الرماحة المندفعين انسحب فرساناً أمير عثمان دقنة واختفوا في الخور لمدة دقيقة، وعبروا الخور جنوباً ووقفوا يرقصوا مرة ثانية كانت سياسة جر السنارة وتأکید الطعم.

ابتلع فرسان كتيبة الرماحة الإنجليزية الطعم بشهية، ونستون تشرشل بيكورك وينطط ويلوح بي يدينو الاتين وصوتو انقرش وبقى بيرجف، وماف زول شغال بيهو أصلاً، كأنو ما موجود في سهل كرري يوم 2 سبتمبر 1898 م.

ونستون تشرشلييكورك وبيقول: لا وقفوا لا، قدامكم كمين، هوي هاااا مازول شغال بيهو الكل ملخوم في مهمته والأنصار تتساقط جثامينهم في صفوف وأصوات الانفجارات والرصاص والدخان والموت والعرق ولهب الشمس ما مخلي زول شغال بيهو وهو بيكورك.

وواصلت قوة فرسان الرماحة الإنجليزية ذات الدماء الزرقاء اندفاعها، ووجدت الخور العميقاً مامها ولم تكن هناك فرصة للتوقف سوى الاندفاع والدخول بحوافر خيولهم في كمين أمير الشرق، وقائد الفظي وطي.

(7)

قال عبد الواحد: استقبلتهم قوات كمين الأمير عثمان دقنة بالرماح والسيوف وأعملوا فيهم الأنصال وقتل من قتل وجرى من جريو حصين الإنجليز ما بها فرامل رمت الرماحة في حراب البجة والنجا هرب سريعاً عشان يلحق جراحه، وشرشل بيكورك زي المجنون.

واصل عبد الواحد وقال: كان كمين عثمان دقنة الله يرحمو هو الوحيد اللي انتصر، ولكن باقي القوات هُزمت، انسحب البجة بسلام لا خسائر وسطهم. حاج الماحي: لاحول ولا قوة إلا بالله والله يرحم الأمير دقنة كرري كانت صحي نكبة في تاريخنا والله غالب.

كتب الضابط ونستون تشرشل اللي كان في كرري مجرد رحالة وصحفي وبلا مهام (كان عثمان دقنة يستمتع بقتل عناصر الرماحة، ومن هرب من كمين خور شمبات كان هروبه مخزياً).

وقال ونستون تشرشل لي دفعتمو الملازم بيتيعد المعركة حينما سألهيبيتي: كيف كان منظرنا ونحن نقع في كمين خور شمبات؟

قال تشرشل: أه منعشان دقنة كأنكم في يده حبات أرز ويلقي بها في صاج فيه زيت ساخن.

وواصل تشرشل وقال: لقد استمتع دقنة بقتل رجالك وانسحب في هدوء وبشجاعة.

(8)

الغريب أنو السير ونستون تشرشل قاد بريطانيا للنصر في الحرب العالمية الثانية، واشتهر بمساخته وسرعة ردوده، وكان حاضر البديهة وعندو نكات وأخذ جائزة نوبل، لكن مانسي يوم معركة أم درمان اللي كان قاعد فيهو كنب، ضحك الجميع، وقالوا عايزين تاني قصة.

ولد النجومى
جبة متروزة وحرية مركوزة

وهاجر معا ولي كردفان واشترك في كل حوادث المهديّة، وبعداك اشترك في تحرير الخرطوم، وكان عندو دور كبير فيها.

حاج مصطفى قال لي عبد الواحد: المعينانو ولدو في موسى جعلي ولا ما صاح.

رد عليو عبد الواحد وقال: أأاي جعلي نافعا بي وهم أولاد عم النفيعاب.

عبد البين قال: استشهد في كرري ولا مات ساي.

عبد الواحد: أصبر خلاص بحكي ليكم عن ود النجومى في توشكي، بسم الله عليه، توكلنا.. وبدأ يحكي.

عبد الواحد رد وقال: استشهد في معركة توشكي شمال السودان في يوم 3 أغسطس 1889م يعني قبل 10 سنوات بالضبط من معركة كرري، وخلوني أحكي ليكم قصتو..

(2)

قال عبد الواحد: كان من خطة المهديّة فتح مصر، وقد زاد اهتمام الخليفة عبد الله التعايشي بهذا الفتح بعد أن صار السودان كله تحت حكمو، فرسللي رؤساء القبائل والعشائر في صعيد مصر وناس شمال، واستنفرهم للاشتراك في فتح مصر. الجيش الإنجليزي المصري كان قائدو الإنجليزي غرانفيل الي كان يقود قوة مشتركة بتعمل في حماية الحدود الجنوبية لمصر مع السودان.

عبد البين: عليا الحرام الخليفة ما كان عارف إنو الدنيا اتغيرت وبقت ساهلة، والعلم أضاف معارف وعلوم جديدة في التسليح والنقل، وحتى تصنيع الشراب ذاتو وضحكو.

حاج الماحي: عليا الجزيمة ياهو البهمك من قصصنا موضوع الكبة واستغرقوا في ضحك عجيب.

قال عبد الواحد: كان عبد الرحمن النجومي عاملاً على دنقلا، وكان الأمير مساعد قيدوم من أهل التعايشي وكيلاً له، وكان المستر شرمسيد باشا قومندان حلفا في ٢٨ أبريل سنة ١٨٨٧ انتصر على الأنصار الي أميرهم النور الكنزي في واقعة صرص، ولكن النجومي أرسل الأمير عبد الحليم مساعد مع جيش احتل صرص.

في أم درمان اعتدل الخليفة عبد الله التعايشي في جلسته والمجلس بتاعو تام بعضويته وجه حديثه للأمير عبد الرحمن النجومي ومعه الأمير مساعد قيدوم بحضور يونس ود الدكيم: إت يا ولد النجومي لمتين قاعد ما تموت زي الرجال الماتو قدامك، لمتين بتحب الحياة، عزلناك من الأمانة وعينا ود الدكيم أمير على دنقلا، وأنت تقوم بي جيشك تفتح مصر.

ود النجومي: الموت والحياة بيد الله والشهادة نعمة كبيرة، وبأسيدي السمع والطاعة أنا بتحرك بي جيشي لي مصر ومنصور الدين بإذن الله.

الخليفة عبد الله التعايشي: منصور بإذن الله وأمر المهدي بالغب، ودا وعد المهدي لينا قوم جهز ناسك.

قال عبد الواحد وهو بيحكى: غادر أم درمان ولد النجومي ومعا هو الأمير يونس ود الدكيم والأمير مساعد قيدوم في جيش كبير، فهو أربعة آلاف مقاتل ومعا هم نسوانهم وأولادهم من الجعليين والذناقلة والرباطاب والمناصير وقبائل شمال السودان الثانية، وديل كانوا متهمينهم بأنهم ثورة مضادة ومناصرين للأشراف الي ثاروا على حكم الخليفة عبد الله التعايشي.

عبد البين: العارفو أنو جيش ولد النجومي مرق من أم درمان بي تموين ضعيف ولأ أقول بدون تموين أصلاً، عايز الخليفة يتخلص منهم، وإن وفتحوا مصر مكسب وإن انضربوا هم واستراح منو، ولأ مش كدا يا عبد الواحد.

عيد الواحد: أصلاً كان فهم الخليفة إنو الجيش دا تشونو قبائل الشمال بي الأكل والرجال على اعتبار أنو المناطق اللي بيمرو بيها هي مناطقهم، عشان كدا ما أدهم تموين كافي، ودا خلى القوة دي جعيانة وبتعاني في الأكل والموية لأنو كانت القوات الإنجليزية والمصرية منعتهم من ورود البحر، واللي بيجي القيفة بيموت، ودي من أسباب هزيمة ود النجومي في توشكي.

بعد وصولهم دنقلا وبعد صلاة الضهر تلى أمر الخليفة عبد الله التعايشي في الجامع بتولية الأمير يونس ود الدكيم عاملاً على دنقلا.

فقام ولد النجومي ختعمتو وشالو وسيفو وسكين ضراعو وحربتو، وأعلن موافقته أمر الخليفة عبد الله التعايشي.

وقال عبد الرحمن النجومي لود الدكيم: أنا بين يديك كاليت بين يدي غاسله، أمرك يا الحبيب ويا مولانا.

يونس ود الدكيم قال: أنت شجاع ومن أباكار المهدي وماعايز ليك إلا الخير، فتقدم لي مصر بجيشك حسب أوامر سيدنا الخليفة عبد الله، خليفة المهدي عليه السلام.

واصل يونس ود الدكيم وقال: أما الأمير مساعد قيدوما أنتقوم أدخلك طلقة، أي جرية، فحملنا الأمير مساعد قيدوم حربته وجرى مسافة وهو يلوح بحربته وعاد كاراً على مجلس ود الدكيم.

يونس ود الدكيم بغرور: كرر الطلقة تاني.

فكررها الأمير مساعد قيدوم ثلاث مرات وهو بيجري ويكر بي حربتو وبيكورك في شأن الله.. الله أكبر.. والله الحمد.

فقالا الأمير يونس ود الدكيم للحاضرين من الأنصار: ما خليتو زي العبد.

حاج الماحي: هوي كلامك دا ما سمعنا بيهو كلو كلو جبتو من وين يا عبد الواحد.

قال عبد الواحد: الكلام دا كتبو شاهد عيان وهو بابكر بدري في كتابو تاريخ حياتي في الجزء الأول اللي بيتكلم فيهو عن المهديّة ومشاركتو في جيش ولد النجومي اللي مفترض إنو ماشي يفتح مصر في فترة حكم الخليفة عبد الله التعايشي.

(3)

أهاا ود النجوميا تحرك بالجيش بتاع الأنصار ليمدينة صرص وفركة ومفركة دي قرى في مناطق المحس الفوق ومعه العائلات والأطفال بجيش قوامه ٤٠٠٠ راجل ما شايلين إلا أكل بسيط.

عبد البين: والله الجيش ما يفتح مصر غايته كانت حماقة وبس.

عبد الواحد: الأعب من دا كان نقص الموية على الرغم من أنو النيل قريب ليهم ليهم، لكن بواخر العدو بتضرب أي زول بينزل البحر وعطشتهم خالص.

واصل عبد الواحد وقال: وتتعبهم البوارج الحربية تمنعهم الأكل برضو اللي كان هو التمر الأخضر، فمات منهم عدد كبير، وهم في ضفاف النهر عطشى أو على رؤوس النخيل، فتصيبهم نيران العدو، حالتهم صعبة كانت.

عبد الواحد كلامو وقال: كان جيشاً من البؤساء لكنهم مؤمنين بالمهدية أغلبهم من من عاهد المهدي اتفقنا معهم أو اختلفنا معاهم في فهمهم للمهدية والمهمة الماشين ليها.

حاج الماحي: صحي والله، متوكلين على الله، وما خايفين خالص.

كانت القوات المصرية بقيادة الجنرال الإنجليزي وود هاوس الذي عرف أحوال جيش ولد النجومي وأسباب تحركه الذي عزته مخبرات الإنجليز بأنه تخلص من هذه القوة عشان كدا عمل على فتح حلقة اتصال مع ود النجومي عن طريق المراسلات والجوابات عشان ينهي أي تهديد محتمل ويخت حد لتقدمه ليمصر.

فكتب الجنرال وود هاوس إلى الأمير عبد الرحمن ود النجومي يدعوه للتسليم
وقدم ليهو عروض له أن يجيا كريماً في مصر وإنو مصر هي أحسن حالاً من
السودان ليهو ولرجاله وأن مصر جنة فيها الجميلات والأكل الطيب، وكان
عايزو يسلم ليهو، وينهي الفي مدا.

فرد عليه ولد النجومي قائلاً قولته المشهورة

(إن كتلناكم لقينا ما قتلوا لينا ودا من فضل الله علينا، وإن هزمتونا ما بتلقوا
عندنا غير جبة متروزة وحرية مركوزة). ودارت عدة معارك واشتباكات آخرها في
توشكي استشهد فيها ود النجوميو عدد من الأمراء، وتم أسر عدد كبير منهم
وتم ترحيل الأسرى إلى مصر.

(4)

كان ود النجومي من القادة الأفاذا ما هاب الموت اللي كان ماشي عليهو،
وظل وفي لي بيعتو للمهدي، على الرغم من أن الخليفة ظلمه ظلم حار، قالها عبد
الواحد.

وواصل بفخر: ناس ود النجومي كانوا ما ناس دنيا ولا سلطان، حاربوا بي
شرف، وماتوا وهم رجال عشان البلد.

رد عليه عبد البين: ياخ أسكت كان مشى مصر ما كان أحسن ليهو من
حراة بلا بيعة ولا غيرو.

ضحك عبد الواحد وقال: ماف أحر من تعب الأسر وذلة السجن، أقوليك
جبة متروزة وحرية مركوزة دا أبلغ رد وليهو وللكل على شجاعتو وعدم
نكوصو عن بيعتو للمهدية. استشهد ولد النجومي وهو ماسك سيفو.



بعشوم الادو

عربي دفع الله

بعشوم الادو عربي دفع الله

(1)

قال عبد الواحد وهو يحكي لمن حوله يا أصحابي البلد الطمعانين فيها كتار والحصل فيها ما هين عشان يروح ساي، لازم نتذكر كل القصص الي حدثت فيالشمال والجنوب والغرب والشرق ووسط السودان، وأي حاجة لازم ما ننساها عشان نعرف تاريخنا، ومنو الكان بلعب بي البلد دي؟ والاستعمار كلو شر وما بمجدوا عاقل تب.

لو جيت أتكلم عن جنوب السودان في فترة نهاية حكم الترك وبداية المهديّة بنلقى أنو فظائع ارتكبتها الترك منسية، ودا الوكت عشان نحكيها ونطلعها بره. عبد الين: ما سمعت المثل البيقول الترك علمونا لبس القميص وحلو الحديث.

عبد الواحد: والله الدخلوا في البلد دي ما مرق من الفتنة بين أولاد البحر والغرب من زمن غردون، ودخلوا الرشوة والمحسوبية والزار الواحد دا، وكمان لي أول مرة يدخل اللواط ومحافل الماسونية كلو في زمنهم وياريت لو كانوا ترك. عبد الين: الما بتدورو بتحدر لي في الضلمة وضحكو.

حاج الماحي: الليلة عبد الواحد زعلان خبارو لامي في الجماعة زي ما بيقولو مذمة .

(2)

اعتدل عبد الواحد وقال: كانت الأطماع لي احتلال السودان من قبل القوى الأوروبية المتنازعة فيما بينها تستهدف أرض السودان من بلجيكا وفرنسيين وإنجليز حاولوا يجو من يوغندا لي جنوب السودان، وحاول الطليان أيضاً التدخل في شرق السودان عبر كسلا، وكمان برضو قام الملك منليك إمبراطور الحبشة باحتلال الناصر والقلابات والروصيرص وإقليم بني شنقول وتوغل إلى كركوج، بل وادعى الإمبراطور منليك في إعلانو للقناصل الأوروبيين في أديس أبابا أنو حدود إمبراطوريتو مقرن النيلين في الخرطوم والنيل الأبيض، وكانت هذي المحاولات للتوسع واحتلال السودان في آخر أيام حكم الخليفة عبد الله التعايشيالي كان مشغول بالجردة التركية الجاية من الشمال.

حاج الماحي: ديل كلهم عايزين خيرات البلد دي وبرضو في ناس يبشكروا المستعمرين؟

عبد البين: هي لكن زولك ود تورشين هو الضيقا على الناس في عيشتهم عشان بقى هدف لي أي خواجة عايز يغني أو يملك واطة.

أخطر حملة كانت بتاعت الفرنسيين اللي وصلوا لحدي فشودة وعملو حداشر نقطة وحاربهم الخليفة عبد الله التعايشي، وقبل ما تتم هزيمتهم هزم الخليفة عبد الله التعايشي في كرري وحكيت ليكم القصة دي.

حاج الماحي: بالخليل عارفنها يا حاج عبد الواحد الجديد المزعلك شنو؟

عبد الواحد: وكمان جو البلجيك ووصلو لحدي الادو وحاربهم الأنصار لكن ما حقق قائد حملتهم الكابتن قورتماندي نصر ورجع بلدو. والبلجيك مسكو كل غرب الاستوائية وعملوا فيها نقاط عسكرية قوية.

عبد البين: والله مشاكل ماليها حد ياخ الله يستر التاريخ ما يتكرر بسبب فشلنا.

(3)

عبد الواحد بقى بيحكى وقال: أها وقعت الحرابة في كرري وكانت فيها زينة. الأنصار وقفوا لكن مكن الإنجليز كتلهم بالجملة، وكان العالم مشى لي قدام ولسع نحن مع الخشخشان وبنديفة أب لفته، ودقو فيل ومرمطون ومرتين وشنو معارف من البنادق القديمة.

جاء كتشنر شايل سلاح متطور بنديفة اللي متفورد الحديثة والمكسيم والهاوزر ديل أول مرة يجاربوا فيالسودان عشان جنس الفرق دا في التسليح والتخطيط، وكمان بي البوارج الحربية الكبيرة والسريعة، وكمان القطارات اللي قصرت زمن السفر والتقدم نحو كرريالي بقت مجزرة رهيبية في السودان.

عبد البين: دي حرب بين عالمين مختلفين تماماً عالم ما اتطور وتمسك بي سلاحو وتكتيكو القديم القائم على المواجهة والمبارزة والطعن والرفس وعالم دخل في ثورة صناعية وتحديث فطيع في نوع السلاح وبعد المدى وحجم التدمير عشان كدا الصناعة والتروسهزموا الحربة والسيف والجواد وناس زولي وزولك وسد الفرقة.

حاج الماحي: والله ماشاء الله شايف التحديث والتكنولوجيا وصلتك تب بقيت تتكلم زي المثقفين وكانت معاها ضحكة وضحكوا كلهم.

عبد البين: ياخ أنا ما عرست بدري وشلت الشيلة كان عالم ومفتي عديل كدا، ما زيك أنت من الكتاب طردوك بي الباب والمدرسة ما شفت، وشغلوك ياهو لحدي ما شلت المعاش.

عبد الواحد: هوي أسكتوا، عليا حرام كل ما تكبر في العمر بتتعلم كل يوم، وتكتشف أنك جاهل الإنسان، لازم يزيد من معارفو يقرأ، ويسمع ويشوف عشان إتطور.

واصل عبد الواحد وقال: بعشوم الادو عربي دفع الله واحد من أشجع قواد جيش الخليفة، وشارك في تحرير الأبيض، وحملة أبو عنجة على جبال النوبة وفي الحروب الحبشية، وكان تحت قيادة الأمير هنون النيل، ولكن هنون آمن بي نبوة آدم محمد في القلابات، وقال أنا نبي الله عيسى وبقى من أنصارو، فقتل الأمير هنون النيل وحذف إسمو من وثائق القلابات والأعدمو الأمير يونس ود الدكيم وظهر نجم عربي دفع الله بعد مقتل هنون الهباني.

واصل وقال: دا كلوهين، لكن الدور الأخطر ليهو كان في الاستوائية لمن اعتقل الأمير محمد عثمان أبو قرجة وإسماعيل الكردفاني ومحمد شجر الخيري ومحمد خالد زقل، وديل كلهم أهم وأعظم منو في المهديّة، وكمان أشرف على السجن الأفظع في العالم سجن جزيرة الرجاف المرعب بحكي ليكم عنو.
عبد البين: والله كلام صعب وفتن ياها ما ظهر منها وما بطن.

حاج الماحي: يازول إدارة الدولة عايزة حزم بعدين ما تحاكم قضايا قبل مية وخمسين سنة على فواتها بي منطق الليلة حاكمهم بي منطق تاريخهم بتفهم الحدث، ولا دا ما كلامك يا حاج عبد الواحد.
عبد الواحد: حاج الماحي كلامك سمح بالحيل.

(4)

قال عبد الواحد: من خلال عمليات استجواب أسرى الأنصار في أم درمان وفسودة بعد نهاية معركة كرري كانت الأسئلة التي تبحث عن إجابات عن أي محاولات للتدخل الغربي لاحتلال جنوب السودان؟

كانت مهمة قلم المخابرات بقيادة ونجت باشا إنو يرصد مش حركة السودانيين وبس حتى تحركات جيوش الأوروبيين الطامعين في بلدنا، ودا مش عشان الإنجليز بحبونا لكن عشان مصالحهم هم.

عبد البين: كلامك صاح هم جو عشان مصالحهم وكاتلوا فيها يخلوها بي إرادتهم المعنى.

حاج الماحي: لكن دا تراهم البيجيهم شنو هم ذاتم محتلين؟

عبد الواحد واصل وقال: لأنو الإنجليز ماكانوا عايزين أي منافسة عايزين البلد الي كان بيحكمها الخليفة ومن قبلو الخديوي، واعتبروها واحدة من حياذاتهم، وما عايزين أي خواجه يمسك منها متر واحد.

(5)

كانت الإفادات الي اتحصل عليها الإنجليز من الأسرى الأنصار أنو كان في أسير أنصاري أداهم قصة خلتهم متبهين.

قال الأنصاري الأسير: في العام 1897م دخلت قوة مسلحة خواجهات جاين من الكنفو.

واصل الأنصاري في الاستجواب، وقال: مشينا نشوف خبرا الوكت داك أنا كنت ضمن قوة الأنصار في الاستوائية هذه القوة بتاعت العدو في مديرية الاستوائية، وكنا بنقول ترك لحدي ما عرفنا إنو القوة دي تتبع لملك البلجيك ويقودها ضابط اسمو قورتماندي.

سألوا الضابط الإنجليزي: أها وبعد ماعرفتو سويتو شنو؟

الأنصاري: جانا أمر نقوم بي كتلهم لكن ما اتحركنا عليهم طوالي لأنو كان في مشاكل بين الأمراء الكبار عندنا.

الضابط الإنجليزي: اشرح كلامك كويس ما فاهم.

كان جانا الأمير عمر صالح، وكان نشيط، ودا في زمن الترك داقتهم لحدي ما انسحبو لي يوغندا، وكان قايد الترك أمين باشا.

الضابط الإنجليزي: أهال واصل.

الأنصاري: بعدو جانا أب قرجة ودا من أكابر المهديّة وقريب المهدي وراجل ماهين واصل جهادو، وكانت الناس بتحبو شديد.

الضابط الإنجليزي: وحصل معاهو شنو أنحنلقينا عربي دفع الله.

الأنصاري: لمن قامت ثورة الأشراف جاء عربي دفع الله على اعتبار أنو تحت قيادة أبو قرجة، وفي يوم في نص صلاة الظهر قاموا البقارة اللي في الدير ربطوا أبو قرجة بي الحبال وطوالي قروا للأنصار خطاب من الخليفة عن أبو قرجة واشتراكو في الجوطة والتمرد بتاع الأشراف والحكم عليه من قبل الخليفة عبد الله التعايشي بالسجن في جزيرة الرجاف.

الكلام دا عمل ببلبة وقاموا ناس منهم واحد اسمو يوسف، ودا كاتب ومعا هو أنصاري تاني نسيت اسمو، لكن هو بقولوا ليهو راس مية يعني قائد مية نفر، ديل حاولو يكتلو عربي دفع الله وبقت الحالة في ديم الأنصار ما يها وكشفوهم.

الضابط البريطاني قال للأنصاري: واصل دا كلام كويس وكورك عسكري جيب موية للراجل.

قال الأنصاري: اشتبكت قوات ملك البلجيك مع الأنصار.

كاتب في قلم المخابرات اللي حاضر الاستجواب دوّن الآتي: (لقد هزم البلجيك الدراويش وهزموهم وقواتهم من جنب جبل الرجاف في 14 فبراير 1897م، الأنصار كانوا تحت قيادة الأمير عربي دفع الله وقد تراجعوا إلى بور حيث مقر قيادتهم) إفادات الأنصاري س. ج.

كما أنالإنجليز تحصلوا على معلومات من خلال الاستجوابات التي قاموا بها بأن الخليفة لم يعمل على دعم قواته لدحر البلجيك الذين أيضاً تراجعوا بعد

اشتباكهم مع قوات الأنصار، وذلك على حسب المعلومات الاستخبارية التي توصل إليها قسم قلم المخابرات برئاسة الجنرال ونجت باشا وبقت موثقة في تقارير المخابرات البريطانية عن الثورة المهدية في السودان 1898م.

والإنكتب كثير عن الأحداث في الفترة ديك قالها عبد الواحد لكن المنسي كثير خالص.

(6)

عبد الواحد قال: في الوكت داك كان عربي دفع الله التعايشي جاء الاستوائية وقاعد في الادو وسجن أمير البرين والبحرين أبوقرحة ومؤرخ المهدية إسماعيل عبد القادر الكردفاني ومحمد خالد زقل ومحمد شدر الخيري ومعاهم زي 95 من الأشراف في سجن جزيرة الرجاف، وجو البلجليك بقيادة كابتن قورتماندي وهزموا الأنصار وحرروا المساجين اللي مات جزء كبير منهم بسبب المرافعين والحشرات والمصايب في سجن جزيرة الرجاف السيئ السمعة.

أهااا قولوا الإنجليز لمن مسكوا أم درمان والخليفة ود تورشين طلع منها لي كردفان ومعاهو عدد زي الأربعة تالاف.

سمعوا ليك الإنجليز من واحد أمير جاي من فشودة اسمو سيد صغير ولا صغيرون من ناس كلي، جعلي جايي وماعارف الخليفة إتهزم، ووقع في الأسر طوالي وسألوه جايي من وين؟ قال من فشودة في سواحين بيض احتلوها؟

الإنجليز قالوا خلاص ديل الفرنسيين ولا البلجيك وجن جنونهم وطوالي ركبوا البوابير وجري على فشودة ودا مدخل القصة، يا ولد قول لي أمك الغداء وين؟

(7)

أها قبل كرري بي شهر كدا.. قالها عبد الواحد وهو بغسل يده ولا أزيد
إمكن أأي اتذكرت.

وقال: في يوم 29 نوفمبر 1898 م رسل الأمير عربي دفع الله الي قالوا عليه
بعشوم الادو سبع رسائل لي الخليفة عبد الله، وكان عربي عبد الله اعتقل الأمير
محمد عثمان أبقرجة أمير الدراويش، ويشرح في ملابس الأوضاع وظروف
اعتقال أب قرجة وجماعتو واختار رئاستو تكون في بور.

واصل عبد الواحد وقال: لكن رسائل الأمير عربي دفع الله الي رسلها مع
رجال مؤجرين بي قروش من قبيلة الدينكا ما وصلت لي فشودة عشان يتم
إرسالها لي الخليفة عبد الله التعايشي في أم درمان.

حاج الماحي: كيف رجال مؤجرين بي قروش؟ ديل أنصار عدييل.

عبد البين: في دينكا وفرايتت أنصار كانوا وحاربوا معاها، لكن الرسلهم
عربي دفع الله ما كانوا أنصار لأنو خايف يقبضو أي أنصاري عشان كدا دفع
ليهم.

حاج الماحي: ورينا يا حاج عبد الواحد.

عبد الواحد: دي ما النقطة الأساسية المهم إنو عربي عايز يوصل للخليفة
الوضع عندو لأنو كان عايز دعم بي الذخاير والرجال عشان المشاكل من كل
اتجاه جاية عليه.

عربي دفع الله كان بعيد عشان كدا الرسائل وقعت في يد العدو، وعرفوا إنو
ناقص ذخيرة وعندو تمرد في ديشو، وحصلت أنهم كان عايزين يضبحوهو، وهو
نايم أكملها عبد الواحد، وقال ليهم نتلاقي بعد العصر بإذن الله.

(8)

وبعد صلاة العصر مرق من الجامع عبد البين وحاج الماحي وجو طوالي
على ضل الدكان، وانتظروا عبد الواحد الي وقف مع جماعة من المصلين في
حوش الجامع.

بعد المطايبة والسلام حاج الماحي قال بي استعجال: أها كنا وين وبقينا
وين؟

رد عليهو عبد الواحد: كنا تحت ضل دكانك ومشينا اتغدينا وصلينا وتاني
جينالي ضل دكانك دا وضحكوا من كلامو.

قال عبد الواحد وهو بيمسح ويبرم في شنبو: فور وصول قائد القوات
الإنجليزية كتشنر باشا الذي احتل السودان من كم يوم بس إلى فشودة عشان
يشوف شمار الرجال البيض ديل شنو.

واستطرد عبد الواحد: وكان مع كتشنر عدد من البوابر الحربية وبيرافقوا
ونجت باشا وماكسويل وبيكي الشقي، حكيت ليكم عنو، وضحكوا.

حاج الماحي: أي حكيت عنو، لكن معاهم جيش براهيم كدة؟

عبد البين: أصبرها زول.

قال عبد الواحد وبعين في حاج الماحي: مشى ومعا هو كتبية من الكتائب
السودانية، ودا كان يوم 10 ديسمبر 1898م، يعني كدا بعد كم يوم من معركة
كرري، ودا بورينا أنو الإنجليز كانوا مقلقين من أي تقدم لأي خواجة، كأنو
البلد دي ما حقت ناس أصلو، ولقوها فاضية زي القطب الجنوبي.

حاج الماحي: ما اختلافنا أهو زي كلامي.

عبد البين: كلامك صاح يا شيخ عبد الواحد البلد بي ناسا لكن دا قانون القوة في الوكت داك ما بتحمل أي تنافس.
حاج الماحي: ونحن لينا الله وعيشة السوق.

(9)

في الخرطوم كان قسم قلم المخابرات تحصل على رسائل الأمير عربي دفع الله، وحولوها لي قسم التاريخ اللي كان بيديرو نعوم شقير عشان يشوفو الجديد شنوفي الاستوائية قبال سنة من معركة كرري.

شقير قال لي الضابط المعاهو: الجوابات دي كان من المفترض أنو تصل لي أم درمان لإبلاغ الخليفة وتنويرو بالأحداث في جنوب السودان في الوكت داك، وواصل وهو بقلب في الأوراق اللي تعبت من السفر والتنقل، واتمسح جزء منها.

قال نعوم شقير: كشفت الرسائل أوضاع قوات الدراويش في الاستوائية ومعاركهم مع البلجيك وأعدادهم وتسليحهم.

رد عليه الضابط: دي قوة ما ممكن تحارب بدون إمداد من زمن طويل، وما اتصلت بي قيادتها ومعارفة تحارب في ياتو اتجاه.

نعوم شقير: منو القالك إنت؟ ليك كم في السودان؟

الضابط: شهرين ونص.

نعوم شقير: عندنا درويش واحد عندو طلقة واحدة بتاعت راجتون كتل بيها الجنرال إيرل في معركة الكربكان، تقول كيف ما بيقاتلوا، لازم تفهم أنو الاستسلام آخر حاجة يتمسك بيها المحارب السوداني.

نعوم شقير فتح ملف كبير قدامو، وقال: في يوم 31 يونيو وصلت الرسائل المرسلها عربي دفع الله لي قيادة القوات الإنجليزية في فشودة في إقليم السوبات الي كان قائد الحامية الميجور جاكسون وصلت الرسائل ومعها الشلكاوي المدعو كيوكوان ود الرث الي مات بيحارب مع الحكومة في معركة قدير في كردفان، وكان عايز يرجع ويكون حاكم على الشلك، وطالب إنويكون رث شلك، وهو الي شال الرسائل من الدينكا وسلمها لي جاكسون.

واصل نعوم كلامو: وكان مفترض تمش أمدرمان مع رسول دينكاوي يديها الخليفة عبد الله التعايشي، ولكن الرسائل اتأخرت كثير ووقعت في يد قوات الاحتلال الإنجليزي وسلمها الرث بتاع الشلك كيو كوان.

(10)

حوت الرسائل معلومات قديمة تعود للعام 1896م يذكر فيها حرب الأمير عربي دفع الله ضد قبائل النيام نيام في الأول من شعبان 1314هـ الموافق 5 يناير 1897م، ويصف فيها قتالو للسكان، وإحضارهم أسرى لي الرجاف مع كميات ضخمة من سن الفيل.

كما تشير أيضاً إلى أنه في صباح الأحد 13 رمضان 1314هـ الموافق 15 فبراير 1897م البلجيك هاجموا الدراويش في الرجاف وقتلوا 93 درويش، وأجبروهم على الانسحاب إلى بور، وتركوا خلفهم مدفعين في الرجاف، الأمراء الذين قتلوا الأمير عمر صالح والأمير محمد خير بادي والأمير محمد حمدنا الله والأمير محمد الطريف والأمير عليود فايد والأمير ود الرقيق... الخ. البلجيك فقدوا 10 من القتلى و16 من الجرحى. كما تشير المعلومات الي تم التحصل عليها بأن عدد الدراويش الموجودين في بور 700 درويش مقاتل. ليست لديهم ذخائر ويحملون السلاح لقمع السكان المحليين فقط. تسليحهم الفاعل عبارة عن الرماح الي غنموها من السكان المحليين في بور الي بيصطادوا بيها السمك ويفتشوا بيها عن الأكل.

(11)

عبد الواحد قال: بعد هزيمة عربي دفع الله بعشوم الادو في الادو انسحب ليور وكتب جوابات بي المعنيدا للخليفة ورسلاها مع الدينكا.

واصل وقال: بعد وصول الأنصار تحت قيادة الأمير عربي دفع الله لي بور تم إعدام كل من يوسف الكاتب وراس المية بخيتوا اعتقال إسماعيل عبد القادر الكردي، ودا على خلفية اتهامهم بقيادة مؤامرة والعزم على اغتيال الأمير عربي دفع زي ما قلت ليكم اتفقوا يضحوا، وهو نايم، وتم العفو عن البقية المشتركين في المؤامرة بعد أن حلفوا على المصحف الشريف.

نعوم شقير قال: الأمير عربي دفع الله استكشف النهر لي منطقة السدود ورسلا بابورو الوحيدة الي اسمها كاو كاو الي فيها مدفع واحد إلى أقصى الشمال فيغزارات الكلاب.

الضابط الإنجليزي سأل شقير وقال: الفأدة الي بلقاها شنو من الاستطلاع دا؟ وليه لحدي المشرع بتاع غرازات الكلاب بالذات؟

نعوم شقير ضحك وقال: عربي دفع الله انتظر حتى يتم فتح وتأمين النهر عشان يصلو الدعم العسكري من قبل الخليفة، لكن ما كان عارف إنو أم درمان كانت مشغولة بي أخبار الحملة الجاية من الشمال لأنو كان مقطوع من العالم تماماً.

يملك عربي دفع الله كميات ضخمة من سن الفيل في مخازنو مع سلع نقدية، إلا أنها غير مفيدة ليهو، لعدم قدرتو على التحرك، قالها شقير، وهو يمد الملف للضابط الإنجليزي، وقال ليهو نعوم: اقرأ الملف دا بي عناية.

قال عبد الواحد: في يوم 20 سبتمبر 1898م في السوبات أرسل السرادار رسالة إلى أمير الدراويش في بور، وكذلك أرسل رسالة إلى ماكدونالد في يوغندا يعلمه فيها باستيلائه على أم درمان.

قرأ الضابط الإنجليزي العديد من البرقيات ومنها في يوم 9 نوفمبر 1898م وصلت تقارير تقول إن ماكدونالد قد وصل إلى فاتيكو، وإنه كان يعزم أن يصل إلى مكان القوات الإنجليزية إلا أن هناك تمرداً منعه من التقدم شمالاً، وفي يوم 12 يناير 1899م وصل تلغراف من ممبسا والميجور ماكدونالد ذكر في برقية له أن الكابتن كيرباتريك وسبعة من رجاله قتلوا في مكاوي وشرق ديفيل في شمال يوغندا، في 29 نوفمبر 1898م الميجور ماكدونالد ذهب إلى هناك.

كان الليوتانت كولنيل ماتير كتب من ديفيل في 29 سبتمبر 1898م: الجهد الذي بذل لاحتلال وادي يلي وديفيل لم ينجح، أنا أبحرت في هذا الجزء إلى بور، وكنت أطمح أن ندفع عدونا إلى موقى، كيري وبدين، وأتمنى أن أجد مستوى المياه جيد، لكي أتمكن من العبور إلى الضفة الشرقية، لكي أصل إلى المقاطعة التي تحكمها إنجلترا. عند وصولي إلى المنطقة بالقرب من بدين كنت أتمنى لو أن أزور قائد البلجيك في الرجاف، ولكن علمت أنه في الادو. بتاريخ 18 أكتوبر وصلت إلى منطقة بدين بالاستوائية في 18 أكتوبر وفيها فتحت قاعدة متقدمة. الحديث عن شمال يوغندا.

قال عبد الواحد: برد السودان للإنجليز بعد انسحاب الفرنسيين، وكان قد مشت عدة سنوات على انسحاب قوات ملك البلجيك، وانسحاب الحبش برضو.

وواصل وقال: اتقدم الكابتن بيكي الشقي بالبابور الحربي أبو كيلة، وبدأ يرسم في خرائط للأنهار، ويستمتع بي سخونة الجو والمناظر الخلابه والحياة البرية، وبى البابور زار أغلب الأنهار في جنوب السودان.

وكتب مذكرات عن الأرض والسكان والموارد، وأكمل التقدم في مناطق الاستوائية، إلا أن مذكرات الإنجليز أشارت إلى أن الطقس سيئ، وأن السكان بدائيون ويصعب التحكم فيهم، لكن الأرض عبارة عن جنة بكر تستحق العناء والدماء.

حاج الماحي: خواجه ود الإيه تقول دي دار أبو هو شم التراب دي بلدك؟
عبد البين: يشم شنو؟ بيكي ما نزل من البابور، والبابور بتاع الخواجات ماف تراب يشمو، وغرقوا في حالة من الضحك الجميل.



أبورفاس فيسنيجة عبد الله

أبو رفاص في سنجة عبد الله

قالوا زمن الإنجليز في مفتش مصري مشهور بياسم أبورفاص، أها المفتش المصري دا كان طويل وعاجباهو روجو راكب حصانو شغال في الناس ذلة شديدة، وسنجة كانت دار كنانة ورفاعة وعقلين وقبائل السودان كلها، وكانوا الناس زهجانين من الإنجليز والمصريين وحركاتهم الكعبة.

(1)

قلت وأنا بحكي إنو أسماء المدن والقرى والفرقان في السودان ارتبطت بأسماء أشخاص أو البيئة، فمثلاً الطلحة والهشابة وأم روابة وشبشة الشيخ برير والشيخ الطيب أمرحي وكدا.

عايز أحكي عن مدينة جميلة وقاعدة في خصر النيل، وهي منطقة تمازج وتعايش وزراعة وعلم وكرم وشجاعة، سنجة عبد الله وكلمة سنجة نفسها فيها كلام كتير لأنو السنجة تعني الوزنة أو الحديد اللي مقدارارطل أو كيلو أو غيرها، وفي معنيتاني كمان سيوف السنج، ودي سيوف مشهورة وقوية، والإنجليز كانوا بيقولوا على سيوفهم السنج.

ودا ما القصد لكن منو هو عبد الله اللي ارتبطت بيهو سنجة، وصار من أعلام السودان والشخصيات المعروفة؟

وبالمقابل كان المأمور الحفار أبورفاس قاعد برضو في سنجة والإثنين حارين وصعبين، وهم على طرفي نقيض، عشان كذا لازم تقع مصيبة في سنجة في الوكت داك.

(2)

الحسن ود عبد الله الكناني من رجالات قبيلة كنانة، وهي قبيلة كبيرة تنتشر في السودان، وتمتهن الرعي والزراعة، وبعد نشوب المهدية حاربوا مع المهدي في كل وقائع الثورة، وقدموا أرتالاً من الشهداء والجرحى.

وبعد كرري عاد رجال كنانة لي قراهم ومدنهم، لكن جزء منهم كانوا زهجانين وزعلانين ودائرين أي فرصة للثورة، وفي رجال رضوا بي حكم الإنجليز، لكن الإنجليز بدوا في تنظيم الأراضي في السودان، في ناس شافوا حقوقهم بتضيع قدام عيونهم، وبدوها لي أغراب، استولوا على مالم يمكنهم الاستيلاء عليه، عشان كذا أبدى جزء منهم غضبهم وتجمعوا حول عبد الله ود الحسن الكناني، ودا كان ثائر برضو والكلام دا في سنجة، وفي قرية جنب سنجة بدأت اجتماعات وتجمعات الأنصار والحكومة الاستعمارية غائبة عن تلکم الأنشطة.

(3)

عبد الواحد قال: كان في مصري اسمو زكي قبطي في حكومة السودان الاستعمارية ونقلو جديد لي سنجة، عينوه في وظيفة مأمور، وكان نشاطو زائد وكثير الحركة، ويلف الشوارع، وهو راكب حصانو يتفقد ويكورك في وش الأهالي، وهو ما عندو أخلاق، وبعد داك بيصل لي مرحلة متأخرة ويقوم بيرفس بي كرعينو ذي الشور الهائج ولا بهمو الرفسو منو.

واصل وقال: الكلام دا زي ما بيقولوا ساقوا للموت بي كرعينو وساعد في قيام الثورة ضد الإنجليز، لأنو المواطنين شعروا بالمهانة، وأنو لازم يعملوا حاجة.

حاج الماحي: والزول دا عاجباهو نفسو فوق شنو؟ ما لقي البأدبو؟

في الوكت داك في سنجة كان عبد الله ود الحسن من الناس المهمين في نص الأنصار، وما عاجباهو حركات الإنجليز الكفار ولا القبطي المغرور، وكان بدعو الناس عشان يثوروا على الحكومة في شان الله.

اتفق عبد الله ود الحسن مع رجالو إنهم بيدوا بي أب رفاص في يوم مرورو في سوق سنجة ويهجموا عليه ويلحقوه أومات طه.

عبد الواحد: أنا ماشي عليك أصبر شوية.

أها في يوم من الصباح أبورفاص ولآ زكي راكب حصانو ومعاهو العمدة والشيوخ وعاملين مرور لاقاهم عبد الله ود الحسن.

وقبال ما يتكلموا هجم عبد الله ود الحسن وبى سيفو كف قطع كتف المفتش، وخلا دمويشر، ووقع في الواطة.

أهاا العمدة سووا الجري هم والعساكر وخلو زكي أبورفاص يشخر في الواطة.

العساكر والعمدة وصلوا مركز سنجة واتلقاهم عمدة سنجة وقالهم بي إذني تضربوا جماعة عبد الله ود الحسن.

أها العساكر شالوا سلاحهم ومشوا حطة كتلوا أبورفاص ولا زكي القبطي، كلو واحد.

ولقوا عبد الله ود الحسن وناسو متلمين وهم يعرضوا منتشين بي فرحة النصر طوالي فتحوا فيهم نار كتيرة من مواقع ضربنار قريبة ومؤثرة.

استشهد عبد الله ود الحسن وعدد من ناسو لأنوا ما عندهم بنادق إلا سيوفهم
وحرابهم.

وانجرح عدد منهم والباقي قبضوهم أسرى وختوهم في سجن المركز.

المأمور زكي أبورفاس دفنوه في مقبرة وعملو فيها بنيان عرفت بمقابر أب
رفاس. أما عبد الله ود الحسن اندفن في كل قلوب أهل سنجة والسودان، ومن
ديك وعيك بقت اسمها سنجة عبد الله، وغارت سيرة أب رفاس وارتاح
الناس.



نبي القلابات
البرقاوي

نبي القلابات البرقاوي

(1)

زي ماقلتليكم إنو القلابات كانت المنطقة الحصل فيها الصراع الدامي بين الحبشة والمهدية، ودا كلام طبيعي نتيجة لتعننت الدولة المهديية والدولة الحبشية، عشان كدا بقت المسرح الخلاف الديني واتمस्क كل طرف بدعوة الآخر لي دينوا ووقعت فيها معارك كتيرة انتهت بمقتل إمبراطور الحبشة، وعرفوها بي كتلة القلابات اللي انتصر فيها الأنصار على الحبوش.

عبد الواحد كان قاعد في ديوانو الكبير ومعاها أصحابو اللي جو معاها من الجامع وحلف عليهم إنو يشربو معاه القهوة في ضل ديوانو وقعدو في ونستهم.

قال عبد الواحد بيحكى: ولأنو القلابات كانت سوق تجاري كل طرف برضو سعي عشان يجمع منها الضرائب والعشور، وكان في القلابات التكاير من السودان والخبرة من الحبش، وفي نفس الوكت كانت الملاذ الآمن للمعارضين لي نظام الحكم في الحبشة وبيجوا وبقعدوا لأنو نفس معارضين الخليفة وحتى الحاميات في نهاية التركية بقت تلجأ للحبشة، ودي كمان مصيبة قديمة ومتجددة في علاقات الحبش والسودان عشان كدا أنحن بنقول علاقتنا مع الحبش لازم تكون حلوة.

عبد البين: حلوة دي أهم حاجة كان في الفرحة المعبي في القزاز ودا عارفنو ولا
الما بقدر أقولو. وضحكوا على تعليق عبد البين.

حاج الماحي: والله ياهو البتعر ف ليهو عمك قصدو علاقاتنا السياسية ما
المزاجية. وواصلو ضحكتم.

واصل عبد الواحد وقال: إضافة لي إنو المنطقة بتاعت إنتاج وقامت فيها
مشيخة تكارير القلابات في التركيبة السابقة، وكان أشهرهم إدريس صالح شنقة،
دا كان شيخ المشيخة وقرأ في الأزهر وخلف الشيخ جمعة الي اعتقلو الترك
وختوهو في السجن، وود شنقة هو البقى شيخ مشيخة القلابات.

عبد البين: إدريس شنقة من الناس المعروفين بي عداوتهم للخليفة والشيخ
جمعي للترك لمن سجنوهو.

عبد الواحد: كان إدريس صالح شنقة وكيل الشيخ جمعة وبقى الشيخ الأبرز
في تاريخ القلابات، وكان وود شنقة قرأ في الأزهر وراجل عالم وعارض المهديّة،
ووقف ضدها، عكس تكارير السودان التانيين لحدي ما هرب لي الحبشة وبقى
مصدر إزعاج في القلابات ومناطق الحدود بالنسبة للأنصار.

عبد البين: والله الراجل عاقل مالو ومال الجب والدقو وقلعو قروشو.

حاج الماحي: الراجل ضيع مشيختو وأهلو وخت نفسو بين الأنصار والحبش
زي ما بقولو بين مطرقة وسندان كلهم داسو.

واصل عبد الواحد وقال: أها بعد المهديّة عينوا أمير من الحتة دي اسمو صالح
ود الأرباب وخش في دوشمان مع الحبش وكتلوهو وخربوا القلابات، وجاء بعدو
يونس ود الدكيم، وجاء جيش حمدان وكانت المهديّة بغيرو جوة أراضي الحبش
برسلوا سرايا.

عبد الواحد واصل وقال: قبل معركة القلابات اللي كتل فيها الأنصار الملك جون أو يوهانس مات القائد حمدان أبو عنجة ومسك الرئاسة الزاكي طمل، وهزم الحبش هزيمة كادت تعصف بي إمبراطوريتهم لحدي ماجاء الإمبراطور منليك ومسك الملك، وكان زول عاقل وقوي ونجح في توحيد الحبش بعد صراعات في الحكم.

(2)

أها في الزمن داك اللي كان قاعد فيهو جيش المهدي في القلابات ظهر واحد تكرر، والتكاير هم مهاجرين من غرب إفريقيا استقروا من زمن في القلابات، وفي أماكن كثيرة في السودان، وجوا حجاج ماشين بيت الله أو فيهم ناس جوا للمهدية، لأنو عندهم نبوة بتقول المهدي بظهر في الشرق، ولمن ظهر المهدي كاتبهم وفي ناس نقلوا الخبر فجوا البلد عشان دا المهدي حسب اعتقادهم.. ودا كان كلام الحاج عبد الواحد.

عبد البين: وطيب وينا قصة نبي القلابات ما يها حكوه الحبشة والمهدية؟

عبد الواحد ياخي ما تصبر في حكوه من غير فرشة؟ الشفقة ليك شنو؟

واصل وقال عبد الواحد: ولأنو السودان، ات الليلة الحاجة مالا أخرت القهوة كدا قها بي صوت عالي عبد الواحد عايز الحاجة تسمعوا.

كان عبد الواحد وأصحابو قاعدين في الديوان والونسة جرّت.

ردت الحاجة: القهوة جاهزة ودي القلوة.

عبد الواحد قال: أها قولوا كدا في فهم الناس إيمانهم إنو المهدي بملأ الأرض عدالة بعد جور، والناس ضاقت جور الترك وظلمهم، وكانوا الترك ملقطين شيء أرمن وشركس وجركس ويهود وإنجليز وفرنسيين وأمريكان وناس البلقان، والمهم ما خلوا جنس ماجاء البلدي، وبقوا حكام وسادة، وكان مهمهم جمع المال ولقيط رزق الناس بي اسم الترك، ودا ما المهم هسي.

(3)

أهااا المهدي مات وانتقل لي رحمة مولاه بعد ما حرر الخرطوم بي كم شهر، وكانت صدمة كبيرة وحصل خلاف لحدي ما حسمووا شيخ من المهاجرين من غرب إفريقيا اسمو محمد ود الدااري، ومعا هو أحمد شرفي خال المهدي، ودا كبير الأشراف لي صالح الخليفة عبد الله التعايشي، وحلوا الخلاف مؤقتاً، لحدي ما قامت ثورة الأشراف في أم درمان وقدر الخليفة ينتهي منها وسجن فيهم عدد كبير في سجن السايير وسجن جزيرة الرجاف الأسوأ في تاريخ السودان.

عبد البين: أي سمعنا حصل خلاف والأشراف قالوا هم أحق بي الخلافة من غيرهم التانين، وقربت تقع الطامة الكبرى في أم درمان هههه.

عبد الواحد: اسكتالقصه دي براها نحكيها يوم تاني.

الحاجة جابت القهوة وجك الموية وختمت قدام الضيوف، وقالت قهوة مضبوطة اتفضلوا يا ناس الحكاوي الطاعمة.

حاج الماحي: أزيد فضلك يا العازة أصلك بت حلال.

(4)

بعد ما شرب عبد الواحد من فنجان القهوة قال: أهااااا في فهم الناس بعد المهدي بييجي سيدنا عيسى وينتصر المسلمون وتقوم القيامة خلاص.

عبد البين: أها دا كلام ليك؟ وليه ما قامت قيامتنا وضجك.

عبد الواحد واصل: وظهر كم واحد وقال أنا عيسى، لكن الخليفة عبد الله ود تورشين قرضم جت كان في سنجة ولّا دارفور ولّا أم درمان، لأهم بمثلوا تهديد حسب فكر المهديّة، وبيعني أنو ملك الخليفة مو صاح.

ومن الناس الي قالواإنهم سيدنا عيسى عليعبد الكريم من الأنصار المتشددين ومن الأشراف، بعد ما الإنجليز احتلوا البلد بي مدة صغيرة وبعد كتلة أولاد المهدي في الشكابة جنوب مدينة ودمدني، واستقرار الأمر للإنجليز في السودان ظهر عليعبد الكريم في مدينة أم درمان وتجمع حولوزي عشرين نفر آمنو بحركتو ودعوتو وكلام النبوة بتاعو.

أها قول ياسيد الامتتي ليك الخبر مرق ووصل لي الإنجليز وما خلوا خافين من الفتنة واعتقلوهو بي سراع سراع خوفاً من توسع حركتو في أم درمان، شكل الإنجليز مجلس من كبار العلماء أدانو حركة عليعبد الكريم وادعائو أنو نبيالله عيسى، أها ود المهدي البقي مسؤول من الأنصار عبد الرحمن المهدي صرح، وقال دي حركة ملحدة، حاكموهو بعد لمولي الشيوخ والناس البفتوا، ومسكوا النبي دا وختوهو في السجن، قالها ومعها ضحكة.

عليعبد الكريم ختوه في سجن في وادي حلفا حتى توفي في سنة 1941م في سجن حلفا، أها وبرضو في زمن الخليفة أب جميزة في دارفور عمل قلاقل جد، لكن الخليفة رسل ليهو الأمير عثمان المعروف بي الجان وبقولوها عثمان جانو كان محارب جد ومات أب جميزة ومسك بدلوا أسامة أخوهو وكتلوا الأنصار، وانتهت زيتطو.

عبد البين: إت يا عبد الواحد دي مكة عشان يظهر ونا أنبياء ورسول؟ وتماها ضحكة وضحك معاهو عمك.

واصل عبد الواحد في الحكاية وقال: بالتالي في أزمة وكتين المهدي مات وفي حياتو قال بعدو عيسى عليه السلام، أها وينو عيسى الناس كانوا بيتكلموا ويسألوا، لكن بي السر بدون ما يدخلوا نفسهم في ورطة ولا مشاكل كبيرة وكتيرة.

بعدين بتكلم بمش السائر، والله لا وراكم السائر دي كمان قصة برالها.

(5)

أهاااا نرجع لي القلابات قالها عبد الواحد وهو ماسك فنجان القهوة وشال منو جغمة بي تلذذ وختاهو، وقال بي صوتجهوري مواصل في النضمي بتاعو: في القلابات في جيش تقيل عشان تهديد الحبش كان خطير في الوكت داك، وكل مرة في غارة من طرف على الآخر والنهب والسلب والتجارة المهم الوضع كان خطير للغاية.

ظهر واحد من التكاير اسمو آدم محمد البرقاويوقال أنا نبي الله عيسى، برضو بي نفس القصة المكررة.

أها وأهلك التكاير ديل هوسا وبرقو وفلاتة ويقصدو بيها كل زول جايي من غرب إفريقيا وكتها، برضو كانوا بيقولوا عليهم الفلاتة بدون معرفة أنو الناس ديل قبايل وخشوم بيوت كثيرة وكبيرة.

ضحك عبد البينو قاليهو: أهاااا دا نبي القلابات ذاتو القاصدو يا حاج؟

رد عبد الواحد: أي ياهو بي ذاتو. آدم محمد البرقاويدا كان أنصاري على السكين، وحارب وشارك في كل وقعات المهديّة، وكان عندو مقام كبير في وسط الناس المعاهوا لأنو كان نضام وحافظ الكتاب، وفي نفس الوكت متعصب للمهديّة شديد، وزول بعرف في الدين، واعتبر أنو لازم يظهر عيسى، وبراهو شاف نفسو عيسى، والله البلد فيها محن وزاد عليها أصبروا عشان اتها ليكم..

وبما أنو قصة نبي الله عيسى موجودة في كلام المهدي ومنشوراتو والناس عارفنو ماكان من الصعب أنو يدعو ليها ويتابعو ناس من المتعصبين، ولأنو الخليفة ماقالا، وقال هو خليفة المهدي ورسولو بقت عقدة نبي الله عيسى قاعدة وحاضرة في أذهان الناس

(6)

أهااا الحبشة طلبتمن الأنصار في القلابات يسلموها متمردين عليها وناس شفتة، منهم واحد من الجبرته اسمو علي الحاج، عليقالوامن النهابة ولا المعارضين للحبش ماعارف غايتو كان قاعد في القلابات، أهااا لمن الحبش قنعوا من خير في الأنصار لمو جيش عليهو الرأس عدار ودا من انجض قواد الحبش، وهجموا القلابات وكتلوا الأمير محمد أرباب وجيشو، وحرقوا الديقم بتاعها وشالوا غنايم وسبايا ومال كثير، وساقواالحاج عليالجبرتي لي الحبشة فييناير من سنة ١٨٨٧ م.

وعين الخليفة عبد الله التعايشي الأمير يونس ود الديقم عاملاً على القلابات، ودعا التعايشي الملك يوحنا ملك الحبشة للإذعان للمهدية ولا الحرابة وجون رد بنفس أسلوب الخليفة، وقال ليهو تبقى مسيحي ودي الطامة كانت برضو، ورسل الأمير يونس ود الديقم مع جيش كبير وبقوا بشنوا حملات والسرايا في الحبشة بي شجاعة ماليها نظير.

أهااا في القلابات في شهر ديسمبر سنة ١٨٨٧ م الراجل التكروري الاسمو آدم محمد البرقاوي، قال هونبي الله عيسى، وطلق دعايتو بي السر.

حاجالماحي: نيبالقلاباتدافينا صدقوهو؟ عليالحراماسمعنا ليناينبي زيدا.

عبد الواحد: والغريبة صدقوهو ناس كتار منهم عشرة من الأمراء، أشهرهم واحد أمير اسمو هنون النيل الهباني، ودا من أهلك البقارة ومن الناس المتعصبين للمهدية، وكان يقود الأنصار، ويخش بلاد الحبش، ويجي راجع منتصر، ومحبوب في جيش الأنصار ومشهور انو شجاع وقوي ومحارب خطير.

(7)

وآدم ود محمد البرقاوي تبعوهو ناس كتار، لكن أبرزهم كان خمسة أمراء من جيش يونس ود الدكيم منهم الأمير هنون النيل الهباني، ودا كان من القواد الكبار في الجيش بتاع الخليفة في القلابات، وفي الوكت داك قام التعايشي بي تعييننا لأمير حمدان أبو عنجة ومعا هو جيش ووداهم القلابات، وحاول غزو الحبشة في ٩ يناير سنة ١٨٨٨م، ودخل بلاد قديميا الحبشية، وجاء راجع القلابات ومعا هو الغنائم، ورجعتاني لغزو الحبشة في يونيو سنة ١٨٨٨م.

وكتب الأمير الزاكي طمل للخليفة: غزينا الحبشة ودخلنا المدن ولقينا كنائس كثيرة وطلعنا صليبا، و(طلعنا صليبا) بقت مثل سوداني وأداها ضحكة قوية.

عبد البين: ولسع أنحن صليبا طالع وضحك.

واصل عبد الواحد القصة وقال: وفي سنة 1889م وقعت حراة القلابات اللي مات فيها الملك جون، وتم إعدام نبي القلابات البرقاوي وأكثر من عشرة من الأمراء وانتهت قصة نبي القلابات البرقاوي،

المغرب خشأ ديني طاقيتي نلحق الفريضة في الجامع، يلا قوماك معاي أصلو حاج محمود شفقان بيصلي سريع التقول هو نبي القلابات البرقاوي.



تمرد الجهادية السود

تمرد الجهادية السود

(1)

حاج الماحي سأل عبد الواحد: إت يا حاج أنا سمعت لي كلام في تأريخنا حيرني عن الجهادية وقصص تمردهم، أنت الجهادية ديل شنو ومالم اتمردو؟
عبد الواحد: منو الحكى ليك عنهم؟ وضحك.

حاج الماحي: سمعتو طراطيش كلام ناس بيحكو وعاوزك تحكي لي عنهم الليلة.
عبد الواحد: الجهادية هم السود اللي خطفوهم من قراهم في فترات متفرقة في تاريخ السودان وكانوا قادرين على شيل السلاح، وتم تجنيدهم عساكر في الجيوش المختلفة من جيش محمد عليباشا لمن رسل ولدو إسماعيل باشا عشان يفتح سنار، ورسل نسيو الملعون الدفتردار لي كردفان، كانا لخدوي الكبير محمد عليبوصيهم على جمع الرجال والذهب.

واصل وقال: جاء بعدو الزبير باشا برضو عمل جيش منهم سماهم البازنقر، وبرضو كانوا من السود، لكن الزبير بيعاملهم معاملة كويسة، وحتيانو جزء منهم بقوزي أولادو وشالو اسمو منهم رابح الزبير، وفائق الزبير وغيرهم، والفرقة هنا الزبير ما خطف السود ولا اشتغل بي الرقيق، لكن اللقاهو حرروا واشتريوا فتدى اللي مفروض يكتل عشان كدا كان ولاؤهم ليهو غريب خالص.

عبد البين: يعني البازنقر ممكن نقول عليهم جهادية برضو؟

عبد الواحد: أيوة ممكن تقول كدا لأنو عساكر الزبير ود رحمة وقياداتو بقو قيادات في الخديوية المصرية والمهدية.

حاج الماحي: واصل واصل الليلة أنت ما جايها لي بر أصلو.

واصل عبد الواحد وقال: في سلطنة الفور برضو كان بجندو الجهادية بس ما شايلين نفس الاسم، لكن قوام جيوش سلاطين الفور كانوا من السود واشتهروا بالشجاعة الشديدة وضرهم للحديدة، وبعدها جات المهدية وبرضو عملت منهم جيش قوي من الجهادية اللي حاربوا في كل معارك المهدية.

وكان جو الإنجليز وعملوا منهم كتائب من الكتيبة العاشرة لي الكتيبة تسعناشر، وكان عددهم تسع كتائب حاربوا مع الجنرال كتشنر في كرري وبعدها عملوا قوة اسمها باندا، وسموها باندا خرطوم وباندا الفونج وباندا كردفان، ودي برضو قوامها من الجهادية، والكلام كتير ياخ عندهم قصص عجيبة ياخ.

(2)

قال عبد الواحد وهو بيحاول يكون دقيق في كلامو: اشتهر الأفارقة بأنهم مقاتلون بي الطبيعة والفطرة، عشان كدا كان أي قوة لازم تأخذ منهم رجال عشان جيشها يكون قوي ويحقق أهداف السياسة، وكل المكونات السياسية عملت بي المبدأ دا.

رد عليه عبد البين، وقال: أهأاا ورينا، والله الليلة فتحت جرح كبير في تاريخنا مالنا ومال المهموم.

ضحك الحاج عبد الواحد وقالهيو: صدقت، دا جرح ما بتنسي لكن عشان ما بتنسي الكلام أمسك خشمك عليك وخليني أحكي براي زي المجنون.

رد حاج الماحي ومعا هو عبد البين: طيب يا بروف وضحكوا.

واصل عبد الواحد كلامو وقال: أول بي التبادي المصايب الي في البلد دي جابها حكم محمد عليالي عمل انقلاب في مصر سنة 1805م، وشال والي العثمانيين خورشيد باشا وكتل المماليك في كتلة القلعة في القاهرة، والنجا من المماليك جرا جانا في السودان، ولأنو محمد عليباشا كان عايز يشرب حكومة الترك، عشان كدا كان يلعب بي النار لمن ينصرف يقول إنو تابع ليهم، ولا من يلقى يدو يرجع لي جنو إنو يعمل إمبراطورية ويملك أولادو من بعدو وضحك عبد الواحد.

حاج الماحي: طيب وكت ما عندو الباشا حيل لي جنس دا مالو ومال القراية أم دق دي؟

عبد البين: الحكم حلو وما ف زول بيدور يضيع منو الحكم البتة.

حاج الماحي قال: الوكت داك كان في المماليك وديل يقولوا عليهم الرقيق الأبيض والانكشارية كانوا الأترك بيحبوهم وأولاد صغار ويدخلوهم معسكرات يدربوهم ويعلموهم أنو أبوكم وأمكم وأهلكم الجيش بس، عشان كدا كانوا بحاربوا حرب جد لصالح الترك في أي مكان.

واصل وقال: أها قول كدا محمد عليالأباني عايز جيش وحتات الرقيق الأبيض في تركمستان وأفغانستان وطاجكستان وسيستان، كلها في يد الدولة العثمانية، وما يقدر يجيبهم وأماكنهم بعيدة منو ولعبتوا وكشفت فكر في السودانيين ود الجاب سيرة الجهادية.

قال عبد الواحد: ما ف حل غير سودانستان، وفكاها ضحكة هو المعاهو.

وواصل وقال: قام الخديوي محمد عليباشا رسل ولدو إسماعيل ونسيبو الدفتردار، دا قبلو كان وصل القاهرة المك بشير ود العقيد الجعلي الي عامل مشكلة مع مك الجعليين المك نمر، وكانت عيون الباشا قالت إنو سنار والمسبعات راكوبة وواقعة عايزة البدفرها بس.

الباشا اتشجع ورسل جيشو عشان الرجال أولاً والذهب تانياً.

(3)

الباشا وصى قوادو عايزكم تجيوا لي الشباب الأقوياء القادرين على الحرب وصغار السن لي القاهرة أجندهم في الجيش، وكلو آمال إنو يكون منهم قوة فظيعة ومحاربة يقدر يحقق بيها أهدافو السياسية.

قال عبد الواحد: القبضوهم من الرجال رسلوهم للباشا ذاتهم ما نفع معاهم الجو ولا مصر.

الباشا كتب وقال: تواصلو في جمع الرجال وتخلوهم في الحاميات السودانية.

واصل عبد الواحد وقال: وجزء منهم في ما بعد حارب في المكسيك ويوغندا وغيرها من معارك الباشا الهوائية والجنونية.

بعد ماتم توزيع الجنود السود في الحاميات كان ما بدوهم المرتبات بي سهولة وزمنهم كلو حرب ومضاربة وكتال، جزء منهم كان في حامية كسلا قام اتمررد، ودي حكوتنا الليلة، قصص التمرد بتاعت الجهادية، ودي قصة ثورة الجهادية السود في سنة 1865 م.

(4)

في سنة 1865 م كان في الحامية بتاعت كسلا 4000 عسكري من الجهادية من الدينكا والنوير والفور والمولدين وكان مدير كسلا إبراهيم بك أدهم، وكان راجل صعب عايز الجهادية طوالي في حالة شغل وحرب ومشت ستة شهور ما صرفوا ولا ريال وزمنهم كلو كتال.

واصل عبد الواحد: وما كان دا سبب التمرد براهو، لكن الباشا كان صعب معاهم وبيتعامل معاهم بي طريقة ما كويسة، وكانت معاهم برضو قوة صغيرة من الباشبوزق في حامية كسلا، والجهادية لمن لقوا ماف فائدة قالوا عايزين

قروشهم، الباشا كان بعاين ليهم بي دونية وشايفهم مجرد عبيد، وكت ما تجي القروش يديهم مرتباتهم وما عندهم حق يظاهرو.

عبد البين: والله الباشا بالغ العساكر عساكرو تاني التفرز فوق شنو؟

واصل عبد الواحد وقال: أها الجهادية اتمردوا على الباشا وشالوا سلاحهم وبقت حراية.

إبراهيم بك آدم حاكم كسلا قال: الجهادية يادبوهم الباشبوزق وقاموا الجهادية تحصنوا في جبل سبدرات المشهور جنب كسلا، وقعت بيناتم وقائع وما قدروا الباشبوزق يحسموا التمرد لأنو الجهادية أهل الأرض وشجعان وكتار.

فقام الباشا اتكلم مع السيد الحسن ود السيد الميرغني، ودا كان زعيم الختمية، وعندو كلمة في كسلا عشان يتكلم معاهم، وبرضو الحكومة اتكلمت مع قائد مشهور من الجهادية اسمو آدم بك العريفي، ودا كان محبوب بين الجهادية، ورتبتو قهائمقام في الوكت داك.

الأعيان وآدم بك العريفي مشوا للجهادية وأقنعوهم إنو يوقفوا الحراية الجهادية، وافقوا بي شرط يرجعوا خدمتهم وماف زول يتحاكم، ويدوهم قروشهم كاملة.

عبد البين: كلام كويس وشروط كويسة مع الحكومة.

قال عبد الواحد: الوفد جاء راجع كسلا والباشا وافق على الشروط وجوا راجعين للحامية ومحل معسكراتهم القديمة لكن الحكومة خانة وعدها وقبضتهم ودخلتم السجون، وأعدمت قياداتهم وعدد من العساكر، وفصلت جزء كبير منهم، ورجعت عدد منهم للخدمة بي شروط مهينة.

حاج الماحي: ياهو شغل حكومة الترك الغش والخديعة عشان كدا قاموا عليها كل الناس.

عبد الواحد: الحكومة أعدمت قيادات الجهادية وأشهرهم الصاغ محمد بك
أبا حظلك والساغ بشيربك السوداني، ودا كان بي أمر الحكمدار جعفر باشا
مظهر الي كان حكمدار عام السودان وقتها، الحادثة عرفت في تاريخنا بي اسم
ثورة الجهادية السود في كسلا.

(5)

بعدها وقعت حادثة تمرد الجهادية السود في الاستوائية على الدكتور أمين
باشا الألماني، أمين لمن الباشا اتعصر وسقطت الخرطوم في يد الأنصار، وبقى
ما عند واتصالي العالم قداموا العدو، والأنصار جابوا قوة في الاستوائية بقت
عملياتهم نشطة قرر الانسحاب من الحاميات في الاستوائية.

قامقال أمين باشا: ننسحب من جنوب السودان وكان جاهوا الرحالة
الإنجليزي إستانلي عشان عارف الشوارع يمرهم بي بحيرة فيكتوريا، ومنها لي
يوغندا ومنها لي مباسا، ومن هناك بي البواخر للسويس.

الباشا أمين مدير الاستوائية طلع أمره بانسحاب الجيش وإخلاء الاستوائية
كلها، المشكلة أنو الجيش كان من الجهادية يعني من جنوب السودان وديل
الأكثرية ودي بلدهم يمشوا مصر يسوو شنو.

عبد الواحد قال: الجهادية رفضوا الانسحاب من بلدهم وشالوا السلاح
ولمن قبضوا أمين باشا وقرروا ماف زول ينسحب، برضو كان في قائد منهم
اسمو سليم أغا مطر من قواد الجهادية خشة في النص، وبعد مجابدة فكوا
الباشا، وانسحب الدكتور أمين والعايزين يمرقوا معاهوا، وبقى الجهادية في
مناطقهم بحاربوا، لحدي ما اتفرقو وبقوا مواطنين.

حاج الماحي: يعني البشوات بيشغلوهم بي مزاجهم ويلوموهم لما يتمردوا
عليهم والله غايتو الترك ديل أولاد زقدة.

عبد الواحد قال: بعد قيام المهديّة وانتصاراتها انضم إليها عدد من الجهادية سواء أكانوا ضباط ولا قيادات، وكان كمان بقايا جيش الزبير ودرحمة ولا العساكر في حكومة الترك زي الشايقي الأمير العطا أصول وحمدان أبو عنجة والنور عنقر والأسماء كثيرة ياخ، المهم بقو جزء من جيوش المهديّة.

حاج الماحي: العسكرية والحراية كانت شغلة لي ناس كتار وما بهمهم بحاربوا مع منو المهم دي عيشتهم.

واصل عبد الواحد وقال: في المهديّة برضو اتمردوا في الأبيض وقام عامل المهديّة حاربهم، انسحبوا الجهادية لي جبال النوبة، وهناك وقعت حراية كتلو فيها عامل الأبيض، لحدي ما رسل ليهم الخليفة عبد الله التعايشي الأمير حمدان أبو عنجة وكتلهم واتفرقوا في جبال النوبة.

قال عبد البين: لكن مجموعة كبيرة منهم حاربوا في كرري في جيش الكارة والملازمين.

عبد الواحد: أيوة كانو حملة الأسلحة النارية وأكثر الجيوش اللي استشهد رجالها في سهل كرري، والله يرحم كل سوداني، هوي أنا ماش زمن حظر التجوال بتاع كورونا قرب وضحكوا كلهم.



مكوكية الشلك والمهدية

مكوكية الشلك والمهدية

(1)

قال عبد الواحد بصوت أجش بعد قحة خفيفة: السودان اللي بحكي ليك
عنو دا السودان الكان شاي لنا كلنا من حلفالي نمولي، وكان قد حنا واحد وتاريخنا
واحد وحالنا واحد.

صاحبو عبد البين قالهو: الحاج أوعى تكون دي قحة الصينيين ديكا وأدها
ضحكة.

عبد الواحد ضحك وقال: ما جبتها أنت بي نخرينك الكبار ديل وزمان أيام
شبابك كنت حوام ولواص ما خليت بلد ما عرست منو وتمّ كلامو بي ضحك
ومعاهو القاعدين.

عبد البين: تمّ كلامك أصلو ما بتنقدر أصلو يا حاج عبد الواحد ماك موحد
ولسانك طويل.

عبد الواحد واصل وقال: الليلة بدور أحكي ليك عن مكوكية الشلك ودي
مكوكية قديمة أنا ماعارف كل تفاصيل تاريخها، لكن أول التبادي كان في رث زمن
غردون لمن جاء مدير المديرية الاستوائية اسمو كيو كوان، وكان زول مسيطر على
بلادو، وعقليتو منفتحة للآخر مازي الزعماء بتاعين قبائل الجنوب اللي حولو.

قال عبد الواحد: الرث كيو كوان بقى صاحب غردون باشا اللي قام أدهو رتبة بك، فبقيا سمو كيو كوان بك، ودا أول جنوبي ياخذ رتبة بك دي لأنو الحكومة جات متأخرة للجنوب، وكان كل الزعماء معادين للحكومة، أها لمن قامت المهديّة وقف كيو بك كوان مع الحكومة، واشترك في حملة الشلاي اللي جات من فشودة لي قدير بي ألف مقاتل من الشلك.

عبد البين: يعني الشلك كانوا متحالفين مع لحكومة الترك والله ناس صحي ناس مدنية من زمان.

أها كيو بك كوان كتلو الأنصار وكتلو رجاله من الشلك في معركة قدير، وبعد سيطرة المهديّة عينو شلكاوي رث أو مك على الشلك، وأدهو الأنصار اسم عبد الفضيل وطبعاً دا ما اسمو الأصلي، وبقى موالي ليهم لحدي ما جاء بعدو الملك عمر.

حاج الماحي: المعنى سموهم الأنصار بي أسماء عربية يعني.

عبد الواحد: أيوة الملك عمر عينو المهدي وبقى أمير ورث على الشلك، وكان قابل المهدي، ولمن جاء حكم الخليفة كان هو الرث، وفي الزمن الفات كان برسل العيوش والزكاة لي بيت المال بي المراكب لي أم درمان وعلاقتو مع المهدي حلوة.

(2)

قال عبد الواحد: في مجاعة 1306 هجرية أرسل الخليفة عبد الله التعايشي باخرتين إلى بلاد الشلك عشان يجيبوا الذرة من الشلك وجباية الزكاة.

الخليفة عبد الله التعايشي رسلهدايا للمك عمر اللي رفض الهدايا اللي كانت من سكر وجواري، ورفض يدفعالعشور والجزية وكلو.

المك أو الرث عمر قال: إنو الخليفة ملك العرب، وأنا ملك الشلك، وإنه كان مع المهدي، لأنه في مقام نيكام إله الشلك والخليفة زول ساي، وضحك وفتحها الحضور من كلام المك عمر.

واصل المك عمر، وقال: إنو الخليفة عندو مجاعة برسل ليهو ألفين أردب عيش على سبيل الهدية.

قال عبد الواحد: الكلام دا قالوا إبراهيم فوزيفي كتابو السودان بين يدي غردون وكتشنر بالنص والعايزو يفتش في الكتاب دا.

عبد البين: عافي منو ملك الشلك دا.

حاج الماحي: والخليفة شن قال وسوا.

واصل عبد الواحد وقال: أها الخليفة زعل منو وقال لازم يادبو ويأدب الشلك ذاتهم، ودي الجابت الهوا للملك عمر، ولي ديار الشلك كلها.

الخليفة عبد الله التعايشي قبال ما يرسل جيشو رسل مبعوث خاص ليهو برضو كان شلكاوي عشان يعقل المك عمر، وقام المك عمر مك الشلك بقتل رسول الخليفة، وكان الشلكاوي رسول الخليفة لفترة مقيماً في أم درمان، وأسلم، وبقيمن أنصار المهدي عشان كدا الخليفة رسلو لي أهلو.

المك عمر غضب منه، وقال ليهو: إنو بقى عميل للخليفة وما مفروض يشيل جوابات العرب، وكتلوا قدام البقارة الجوا مع الشلكاوي، وفكّالبقارة ورجع البقارة الي مع الشلكاوي وكلموا الخليفة عبد الله التعايشي بي السوا المك عمر رث الشلك، فغضب الخليفة عبد الله التعايشي، وقرر إرسال جردة لتأديب الشلك، وكان بيحكى في الكلام دا إبراهيم فوزي، وهو بيتذكر في الأيام ديك.

(3)

قال عبد الواحد: في سنة 1308 هجرية أمر الخليفة عبد الله التعايشي الأمير الزاكي طمل بالتحرك من القلابات في الحدود مع الحبشة، بعد هدأت الأحوال فيها معاهو جيشو المكون من عشرين ألف راجل مسلحين بالبنادق والمدفعية عشان يقمع ويأدب الشلك اللي اتمردوا وكتلوا رسولو وشقوا عصا الطاعة على الخليفة عبد الله التعايشي.

فوزي بيحكي وهو قاعد في القهوة في حي شعبي في القاهرة بعد عودتو من الخرطوم محرراً من الأسر، وقال: قطعت قوات الأمير الزاكي طمل سهول القصارف وعبرت النيل الأزرق والجزيرة ووصلت طرف فشودة ولمن وصل لقي باخرتين تابعات للأنصار التي وصلت قبلهم ترابط على بعد مسافة من أراضي الشلك وانضموا إليهم للهجوم على فشودة.

(4)

عبد الواحد واصل، وقال: جهز المك عمر قواته من مقاتلي الشلك لمقاومة الأنصار الذين كانوا على أطراف مدينة فشودة، ودارت معركة كبيرة بين الطرفين انتصر فيها الأمير الزاكي طمل، وقتل المك عمر رث الشلك.

قعد الأمير الزاكي طمل في بلاد الشلك ثلاث سنوات ما خلى للتمرد باقيورسل من البقر والشباب من الشلك اللي جندوهم في قوات الجهادية، وغنموا ديار الشلك واتشردوا في الغابات.

قال عبد الواحد طبعاً الشلك عندهم مدينة نظام سياسي قديم وعندو تاريخ، امتصوا الصدمة بتاعت الأنصار، وكان لازم يعينو قيادة تقودهم في الوضع الحرج دا.. طوالي عينو مراكجورية رث للشلك ودي كانت أصعب أيام في حياة الشلك أصحاب الأرض.

الكجورية كانت جامدة بتقود الرجال وتقوم بي غارات شجاعة قلقت بي الأنصار شغالة بي نظرية أضرب وأهرب لاوكمان ما ينوم وتخش الغابات قدر ما يسكوها ما يلما فيها كلو كلو.

سألو واحد من أصحابو، وقال ليهو: المرادي أدبت الأنصار في غابات البلد ديك شغالة حرب عصابات.

إبراهيم فوزي قال: الكجورية كانت في فترات متباعدة بتقوم بهجوم على محطات الأمير الزاكي طمل وبقوت بعيدة من فشودة وتوغلت في الغابات البعيدة من البحر، الأمير الزاكي طمل ما قدر يقبضها لحدي ما اتحرك من فشودة لي أم درمان واستقبل كبطل وفاتح.

قال إبراهيم فوزي: لكن انتهى مصيره في سجن السايير سيئ السمعة في غرفة ضيقة ومات عطش وجوع نتيجة للقوات ومؤامرات في بلاط الخليفة اللي كان ملان بالدسائس قالمها فوزي، وهو يتابع خيط دخان سيجارتو يتسرب في هواء القاهرة.



غزو السلطان تیراب لکردفان

غزو السلطان تيراب لكرد فان

(1)

ودي من المحكي في تاريخنا وفيها جزء منسي برضو في زمن سلطنة دارفور كان في سلطان قوي وسيد عزيمة وعادل بيحكم سلطنة دارفور وكان محبوب، وفي نفس الوكت كانت مملكة المسبعات في كرد فان عليها السلطان هاشم المسبعاوي، ويجمع السلاطين الاتنين ديل صلة قرابة، فالمسبعات أولاد عم لي للفور السلاطين، وعاشت الدولتان في سلام ومحبة بينهما لزمان طويل، والسلطتان كانتا معاصرتين للسلطنة الزرقاء في السودان النيلي الأوسط.

قال عبد الواحد وهو مواصل في الحكوة: أهال ملك المسبعات لمن آل لي السلطان هاشم المسبعاوي وكان عاجبو الملك والجيش بتاعو بقى يغير ويهجم على أطراف دولة الفور وما راعي القرابة وحرمة الجوار، وكان جيشو وغارتو كترت لمن بقت مزعجة للسلطان تيراب سلطان دارفور.

عبد البين: بسم الله الناس مش أولاد عم.

حاج الماحي كان معاهو زبائن جو الدكان وراخي أضانو لي الونسة وكورك ليهم من جوة: أنا جاي عليكم تعال يا محمود مشي الناس ديل.

السلطان تيراب كتب لي السلطان هاشم المسبعاوي جواب قاليهو: انتهى عن الغارات في أطراف مملكتي وراعي القرابة والناس الي بتهاجم ديل مسلمين زي وزيك.

والكلام دا حكا هو عبد الواحد لي أصحابو القاعدين معاو في ضل العصرية
قدام بيتو الي فاتح على دكان حاج الماحي.

عبد البين سأل الحاج عبد الواحد وقال: المعينانو السلطان هاشم المسبعاوي
كان تغيان ومفكر أخش دارفور بالقوة، والله كلام.

عبد الواحد: أي كان عايز ملك دارفور وكردفان في نفس الوكت.

نطّ وقال الحاج الماحي: الكتال فوق شنو والناس أهل وبين أبواتم كانت
محنة ومادخل بينهم شيطان؟ والله الحكم صحي فتنة.

(2)

في تونس الخدرا في واحدة من قهاويها القديمة في جماعة متلمين حول
راجل كبير في سنو وبحكي عن رحلاتو والبلدان الزارا، وقال عن نفسو:
أنا شغال بكتب في كتاب عن رحلاتي وسميتو بإذن الله (تشحيد الأذهان
بسيرة بلاد العرب والسودان)، ودا فيهو قصص كتيرة منسية أنا زرت سلطنة
دارفور، ووصلت عاصمتا ولقيت فيها، وعرفت عاداتا وتقاليدا وتاريخا ودي
سلطنة عظيمة وكبيرة استمرت زمن طويل، وفي الوكت داك كان في سلطنة سنار
والمسبعات ودارفور.

محمد عمر التونسي قال: السبب الوداني دارفور كنت عايز ألحق أبوي عمر
التونسي الي كان شغال تاجر متجول، وكانت عندو مكانة عند السلاطين
والفقهاء والوزراء، ولمن جيت دارفور لقيت سيرة أبوي سمحة عند الناس
عشان كدا احترموني والكلام دا كان سنة 1801 م زمن السلطان محمد الفضل
بن السلطان عبد الرحمن الرشيد سليل سلاطين الفور.

سألو واحد من القاعدين يا شيخ محمد ود عمر التونسي كتابك دا عمل
ضجة لأنو بحكي قصص منسية كتيرة في تاريخ سلطنة الفور في السودان.

رد عليه الرحالة محمد عمر التونسي: الكلام المكتبو دا يا شاهدتو ولا
حكوهو لي كبارات الفور في الوكت داك.

القاعدين معاهو قالو ليهو أحكي لينا قصة من القصص دي.

قال ليهم: بحكي ليكم قصة غزو السلطان تيراب لمملكة المسبعات ووصولو
لحدي أمدرمان على شاطئ النيل الأبيض غرباً.

(3)

عبد الواحد قال: جا في كتاب محمد عمر التونسي السهاهو (تشحيذ الأذهان
بسيرة بلاد العرب والسودان) كلام كثير وقصص عجبية خلوني أقرأ ليكم منو
جواب السلطان تيراب للسلطان هاشم المسبعاوي ونص الجواب أقولو ليكم
(إلى ابن العم المكرم السلطان هاشم سلطان كردفان أعزه الله. أما بعد، فإني لا
أعلم السبب الذي يملك على غزو بلادي مع ما هناك من صلوات القربى
وعلاقات المودة التي تربطنا، ولم يكن مني ما يكدر صفاءها وأنت تعلم أن
هؤلاء الذين تغزوه هم مسلمون مثلك، يعبدون الله ورسوله، وما من عاقل
يفعل ما أنت فاعل، فعند وصول كتابي هذا، أرجو أن تكف عن العداء رفقاً
بالرعية، وتذكر أن الظالم ينال جزاء فعله والسلام).

حاج الماحي من جوة دكانو وهو ببائع في الزباين كورك لي عبد الواحد: ها
ناس أصبرو أنا جاي عليكم شكلو الكلام دا سمح وجديد ما لاقاني قبال دا،
قال الكلام دا وهو مارق من دكانو شايل الكرسي بتاعو، يا ولد مشي الناس
أقولها ليك ألف مرة.

عبد البين: والله إن مشاهم ولا خلاهم ياك موظف معاشات ما تاجر، إن
تاجر ما بتجي للقصص، التجار بحبو الكاش وعدم النقاش، وضحكوا على
شفقة حاج الماحي.

عبد الواحد واصل وقال: لكن برضو السلطان المسبعاوي ما بطل غاراتو على أطراف سلطنة الفور، والناس بقت تشتكي من عمایل جيش المسبعات عند السلطان تيراب الكان مطول بالو، وما عايز يجارب ود عمو.

(4)

التونسي قال لي جماعتو بي صوت عالي: الحكوهو لي وكتبتو إنو السلطان تيراب لمن قنع من ود عمو جمع جيشو وعتق مية عبد من عبيدو.

وقال السلطان تيراب: للوزراء والأعيان أنهم يعتقوا أكبر عدد من العبيد، وخلياً أكبر العبيد سنأوأقواهم في عاصمتو عشان يحكما وساق أولادو والوزراء وإمام الجامع بتاعو الاسم الحاج عبد الغني واتحرك على كردفان، ونزل في حلة ريل، والحلة دي في الحدود بين السلطتين من زمن معروفة.

واصل محمد عمر التونسي، وقال: وعمل السلطان تيراب معسكر كبير في شكل زربية لي جيشو عشان السلطان هاشم يسمع بي تحركو، ويبطل الحرب ويمسك ناسو، ويا دار ما دخلك شر.

حاج الماحي قال لي أصحابو: والله السلطان عاقل وما داير الحرابة ودا عذر كافي ومهلة كويسة، لكن شكلو الفاس وقع في الراس.

ضحك عبد الواحد وواصل كلامو: أي بقى ما في حل غير الحرب، وهجمات السلطان هاشم زادت على دولة الفور.

قال محمد عمر التونسي مكلم جماعتو في تونس الخضراء وقال: وفي يوم من الأيام والسلطان تيراب قاعد في المعسكر سمع صوت النحاس بتاع الحرب بتاعو بدق، فقال في نفسو إنو جيش السلطان هاشم كبس محلو ركب حصانو واتدرك وشال حربتو وسيفو، ووصل محل نحاسو بدق لقي ثلاثة من فرسانو هم الدقو النحاس دار بينم كلام دا.

السلطان تيراب قال ليهم: دقتو النحاس جيش المسبعات هجم علينا ولا
شنو؟

رد عليه واحد من الفرسان وقال: أبونا كبيرنا السلطان أدام الله عزك إنحن
قاعدين هنا ونحاس السلطان هاشم أزعجنا، ونحاسنا ساكت ساي خافين
منهم.

(5)

أها التونسي استلم الموضوع وقال لي جماعتو المعاو في القهوه: السلطان تيراب
بعد سمع الكلام دا غضب غضب شديد وأديأمر بالهجوم الفوري على جيش
المسبعات وبقى هو ماشي في مقدمة جيشو، وما وقف أصلو ماش غضبان ما
بتكلم، ولا عايز يقيف من أصلو.

لحدي ما جاهو واحد من قوادو الكبار قال ليهو: أبونا السلطان الله يركك
وقف ناخذ راحة شوية مشينا كثير والرجال وراك تعبت.

لكن السلطان تيراب ما اشتغل بيهو وواصل مشيهو الليل كلو لحدي ما
طلع الصباح.

في الصباح جاهو القائد الثاني قال ليهو: السلطان المنصور أبونا عظيم دارفور
جيشك تعب وجاع ناخذ راحة.

السلطان تيراب دخل يدو في كراعو وطلعا ملانة دم وعين للقائد وما
اتكلم وواصل مشيهو لحدي ما جا وكت الضهر والشمس حرت والناس
فتروا والسلطان ماش في مشيهو والناس وراهو تعبوا، لكن ما وقفت أصلو.

(6)

الكتراية الشي شنو، دي زعلة فارس ود فراس السلطان زعلور جالو وبقوا في التحانيس .

عفيت منو، قالها عبد البين، وهو بطق يدينو ومتعجب من القصة، ومن عناد السلطان اللي كان حكيم وصابر، لكن لمن زعل ركب راسو دوت .

عبد الواحد واصل، وقال: عليا لحرام سلاطين الفور عندهم قوة تحير خيلينا نكملا ستمر، وقال السلطان تيراب لمن طلع من معسكر و اللي في قرية ريل خلى ولدو الكبير واسمو إسحق ومعا هو قوة من الجيش عشان يحرس العقاب بتاعو .

واصل وقال عبد الواحد: عمل جيشو في شكل مربع قدامو جيش الدادات وديل شايلين الفؤوس يقطعوا الشجر ويستطلعوا، وفي ميمتو مقدم الصعيد بي جيشو، وفي ميسرتو مقدم الشمال، وخلي في المؤخرة مقدم الغرب وفي النص كان قلعة السلطان بي تيرانم شايلين الموية والعيش ومعاو الأمراء وأولاد السلاطين والحريم، وديل كان بخدمن مقدم الشرق .

عبد البين قال: يعني ما خلى وراهو زول رد عليهو حاج الماحي بالزعلة دي ما ظنيتو بخلي زول وراهو .

في الوكت دا جاء عثمان جارو وكورك ليهو السلام عليكم جلسة في الحرم، ردو ليو وعليكم السلام آمين، وقعد اتصنت لي ونستم .

عبد الواحد قال: الجيش دا ماشي وأي زول في طريقو بزوغ منو، ناس الفرقان والحلال بهربو من قدامو حتى الصيد في الخلا من كترتو، وبعض الناس جروا لي السلطان هاشم المسبعاوي، وخبر السلطان تيراب جاي عليهم بقى معروف والبلد جاطت، وأي زول في حسابو إنو السلطان تيراب بفرقت حكم المسبعات عشان كدا الناس اتضايرت .

(7)

أصحاب محمد عمر بقو يسألو فيهو: أها الحصل شنو السلطان هاشم عمل شنو؟ ما كان بتفوش وبرا اهو ولع نارو إنشاء الله اتدفع بيها.

محمد عمر التونسي قال ليهم: السلطان هاشم من ما عرف جيش السلطان تيراب جاي عليو الجيش بتاعو وناسو اتفرتقو منو، وخلو معاهو عدد قليل من الرجال، بعدا السلطان هاشم هرب بي حاشيتولي سلطنة سنار، وهناك أدوهو الأمان.

عبد البين قال: يعني السلطان تيراب دخل المسبغات وشالا بدون حرابة.

عبد الواحد قال: أي وكمان السلطان تيراب قال حيلحقو محل ما مشى وناس الحلال والقبائل الجا ماري بيهم سلمو لي وأمنم في مكانم، وهو ماشي في اتجاه الشرق دار صباح لحدي ما دقش أمدرمان، ودي بتقع على بحر أبيض جنب مقرن النيلين.

واصل التونسي وقال: في أمدرمان لاقاهو جيش العبدلاب بي نحاسم وخيولم خشو معاهو في دواس ثقيل كتل فيهم سبعين وشال نحاسم الاسم المنصورة، واتقدم لحدي ما وقفوا في بحر أبيض وكان قصدو يخش سنار.

عبد الواحد واصل وقال: جيش السلطان تيراب لمن شاف النيل الأبيض ملان موية وكت الدميرة قالوا لك كبرت فولة؟ ضحك الجماعة المعاو بصوت عالي

عثمان قال لي عبد الواحد: انت قصصك دي بتجيبا من وين؟

رد عليو عبد البين وقال: يازول الحاج عبد الواحد قال الكلام دا في كتاب محمد عمر التونسي الاسم تشحيد الأذهان ولا ما كدا يا حاج عبد الواحد؟

رد عليو وقال: بالحيل تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ودا من كتب أدب الرحلات الوثقت لي تاريخنا والراجل مسلم وعربي ومثقف عشان كدا بيرص الكلام رص، سمح فتش كتابو بتلقى فيه المنسي عن سلطنة دارفور.

(8)

التونسي قال: السلطان تيراب بعد كتل العبدلاب في أمدرمان اتجهز عشان يهجم على سلطنة سنار، لكن بحر أبيض قدامو محمر ودميرة، وما عندو مراكب، فقعد في أمدرمان شهوور بحاول يدبر أمره عشان يقطع البحر.

نط واحد وقال ما يجيب المراكب ودي عايزة دبارة ولا بصارة؟

قال ليومحمد عمر التونسي: دارفور ما فيها بحر زي النيل وما عندهم مراكب، وما بعرفو ليها، والعبدلاب وجيش سنار كانوا براقبوا في البحر ما خلو مركب تمش عليهم أصلو وبحر أبيض بقى ليهم درقة.

واصل التونسي وقال: قيادات جيش تيراب لمن طول قعادم في أم درمان زهجووا وملوا وما نفع معاهم الجو وداروا بلبدم، لكن السلطان كان زعلان لسة وناوي يحددا مع سلطان المسبغات الهارب، إلا البحر بقى ليهو عارض والمثلل اتسرب لي رجالو قاموا اتكلموا معاو عشان يرجعوا لي بلبدم الي طولوا منها، وبعدت عليهم، وما قادرين يعملو حاجة.

السلطان قال ليهم: والله ما بترجع بلدنا إلا بي راس السلطان هاشم.

الأعيان والوزراء قالو ليهو: أبونا السلطان طال عزك هاشم المسبعاوي دا طردناو من بلدو ووصلنا لحدي البحر، نرجع نشوف بلدنا البقت بعيدة مننا وأهلنا وعيالنا الي انقطع خبرم مننا.

لكن السلطان رفض وحلف ما يرجع قدر ما حلفو كان مصر وزعلان وعائز راس السلطان هاشم الي لموهو الفونج في سنار.

أها قال عبد الواحد: الوزراء والأعيان ومعاهم الأمراء اتفقوا براهم إنو يكتلو السلطان تيراب، لأنو بقى مافيحل تاني اتفقوا مع عليو دبرقو، ودا أبو واحدة من نسوان السلطان تيراب وبيخش عليهو، وكان من الأعيان المهمين عند السلطان تيراب.

(9)

التونسي قال لي جماعتو المعاهو في القهوة: السلطان تيراب في اللحظة الأخيرة كلمو واحد من المخلصين ليو بالمؤامرة طوالي نادى الدادات وقبض على ود برقو وحكم عليهو بالإعدام ونفذو طوالي فيهو.

أهااا الناس خافوا وبقى مافي زول بتكلم بي حاجة ولا بعارض، لكن السلطان تيراب بقى شكلو ضعيف وبتجيهو مرضة تخليو ما يمرق على الناس زمن طويل وحالتو بقت صعبة، فحملو الأعيان والأمراء والوزراء، وكان بينزف دم جاهو مرض الناسور من طول ركوبو للحصين الحرة وكثرة السفر.

شالوا السلطان تيراب وبقوا راجعين على دارفور وكان تعبان ومتألم، لكن صابر وجابر ومحافظ على ثباتو، وما ظهر منو أي كلام بينقص من حقو كزعيم وسلطان قوي.

عبد البين قال بي لهفة: أهايا الحاج عبد الواحد والحصل شنو بعد داك؟

ردا ليو عبد الواحد وقال: لمن حصلو بارا السلطان أدى الروح لي سيدا ومات الله يرحمو شالوهو وحنطو لحدي ما حصلو جبل مرة ودفنوهو في منطقة طرة ودي محل مدافن سلاطين الفور.

التونسي قال: سلطنة دارفور في عهد السلطان تيراب حدودا الشمالية في آبار النظرون، ودي بطلعوا منها العطرون، يعني في جنوب الصحراء الكبرى، وجنوباً حدها بحر الغزال وشرق أو دار صباح زي ما بقولو في دارفور بحر النيل في

أمدرمان وغرب حدها جبل ترجة في أقصى غرب دارفور، ودا بفصل بينا وبين مملكة وداي في تشاد الهسي دي.

وخلف السلطان تيراب أخوهو السلطان عبد الرحمن الملقب بي الرشيد لأنو عادل.

عبد الواحد قال: أما السلطان تيراب الله يرحمو كان فارس وما يرجع لي ورا حكم من سنة 1768 لي سنة 1787 يعني 21 سنة، وهو أشهر سلاطين دارفور، وكان عادل وطيب، إلا أنهاصر على شيء ما بتراجع، مات وهو في خيلو ما كان بخاف الله يرحمو.



من مذكرات ديم فشودة

من مذكرات ديم فشودة

(1)

قال عبد الواحد لي أصحابو: لمن كانت الحملة بتاعت كتشنر باشا جاية متقدمة على أم درمان، وهي بتشق في الخلا والصي في الصحراء، وبتمد في السكة حديد ودافرة بي بوارجا في البحر.

كان الخليفة بصلح في دفاعاتو ويجمع في جيشو عشان المعركة الجاية كانت معركة حياة أو موت بالنسبة لي دولة المهديّة في السودان، وكان بيعمل على أنو يحقق النصر على جرّدة الترك زي ما بيقولو.

كان الخليفة عبد الله التعايشي عندو معلومات عن تقدم سواحين بيض لي فشودة في إقليم أعالي النيل في جنوب السودان، ورسّل ليهم أميرو النشيط سيد صغير الجعلي الكليابي يعني من أهلّك ناس كلي.

واصل وقال عبد الواحد: واشتبتك الأمير سيد صغير مع الناس البيض اللي احتلو فاشودة، وكانوا متمركزين في مبني المديرية القديم، ودا كان المبني الوحيد، وهوذاتو عبارة عن خرابة. وفي الوكت داك كان بعدو وقعت كرري وهزم الخليفة عبد الله التعايشي ومرق من أم درمان.

وقبل كرري بي شهرين كان التعايشي رسل قوة صغيرة على باخرة ومعها مراكبها 500 راجل عشان يهزموا الخواجات اللي خشو فشودة عنوة يها بتاعت سيد صغير.

عبد البين قال لي عبد الواحد: المعنى كان كتشنر متقدم من الشمال والفرنسيين من الجنوب والإنجليز لي القصارف والحبش برضو زاحفين ياخ دي ما مشاكل جد الخليفة يعمل شنو طيب؟ أحكي لنا والله لكن دا كلام.

واصل عبد الواحد بدون ما يرد على عبد البين، وقال: في مشرع أم درمان وبعد مرور 8 أيام على كرري يعني يوم عشرة سبتمبر 1898 م ولا زالت المدينة فيها آثار الحرب وباقي الموت والجرحى والجيش باع الإنجليز شغال دوريات كثيرة وكبيرة بمشط في النيل وأطراف أم درمان، جات باخرة تابعة للخليفة شاقة الإنجليز ماشة مطمئنة قلقت بي لندن والقاهرة وكتشنر ذاتوو، قصتا قصة.

(2)

بعد الحدث بي زمن بعيد إمكن في سنة 1910 م في بريطانيا كان الجنرال كيبل قائد بوارج الحملة بتاعت كتشنر اللي كان بيحمل زمن كرري رتبة النقيب في الوكت داك، ومساعدو بيكي كان بي رتبة الملازم، والآن اتلاقوا بعد المعاش في لندن وبقوا براجعوا في ذكريات اشتراكهم في حملة كتشنر باشا سنة 1898 م.

في المشرع جات باخرة من اتجاه الجنوب ورافعة راية الأنصار، وشكلها جاية من بعيد والضباط اللي في الدوريات اتبادلوا المعلومات اللي تخص باخرة الخليفة تتذكرها يا بيكي، ودي كانت باخرة من بواخر الخليفة جات بعد كرري، قالها كيبل لي بيكي.

رد عليه بيكي: كيف ما بتذكرها؟ دا كان شغل مجانيين ما لقت تجي إلا بعد هزيمة الخليفة في كرري.

والسردار كان خلاص احتل ومسك أم درمان.. الكلام دا قالو كابتن كيبل لي مساعدو الملازم بيكي، وهم بتونسو عن عجائب كرري والسودان.

الملازم بيكي ضحك، وقال ليهو: والله كلام، بتذكر أنا كنت عايز أغرقها بي المدفعية، وإنّت قلت لنا خلويديكم في الزناد شكلو الباخرة دي ما عارفة إنو أم درمان سقطت والمهدية انتهت، وكان عدائية عايزة تقصف غرقوهاضحكوا الاتنين.

الكابتن كيبيل قال: والله الباخرة المحيرني ماشة مطمئنة لحدي ما حاصرناها بي البوارج الحربية وعلى رأسها البارجة ملك وسلطان والظافر، ومشت عدليل للمشرع بتاع الموردة بدون تردد.

أي أي الباخرة كانت جاية من الجنوب على ما أعتقد من فشودة قال بيكي.

قال كيبيل: صاح جاية من مشرع الرق، وكان فيها الأمير سيد صغير الجعليتتذكرو الرجل الكبير في السن داك، لكن قوي ونشيطخالص. دا كان رد الكابتن كيبيل على العجوز اللي كان مساعدو زمان في حرب النهر في السودان.

قال بيكي: الأمير الدرويش المسكين نزل القيفة من البابور ولقى نفسو محاصر بي العساكر اللي ساقوهو لي ناس قلم المخابرات، ودا بعد ما فتشوا الباخرة ولقوا فيها ورق ومخطوطات دي عبارة عن قصة حملتو اللي كلفوهو بيها في جنوب السودان.

(3)

عبد الواحد وهو بيحكلي لي جماعتو: يا جماعة الخير أول ما الإنجليز مسكوا الأمير سيد صغير الجعلي بدوا يسألوا فيهو عن أمرو وجاء من وين؟ ومعاهو منو؟ وسبب جيتو أم درمان في الوكت دا؟ الإنجليز كانوا عايزين التفاصيل بتاعت حملتو وأسبابها ومشى وين ووراهو جيش وعددو كم، المهم سألووهو سؤال نكير ما خلوا لي جنبه.

رد سيد صغير للإنجليز بأنو كان تاجر قبل المهديّة في زمن الترك واشتغل في دارفور وفي الجنوب، وكان طوالي مسافر، لمن جات المهديّة كان مواصل تجارتو، وبعدها انضم للمهديّة، لكن كان بدون منصب ولا وضع في الوكت داك كلو.

واصل سيد صغير وقال: لحدي ما مرة كان الخليفة بيجهز في جيش يمشي الجنوب، فجابو هو بعض معارفو وقالوا للخليفة الراجل دا بيعرف بلاد الجنوب كويس، وكمان تاجر قديم، وبيعرف مجرى النيل، وليهو مكانة، فلو مشى مع الأنصار بوصلهم محل ما ماشين.

الخليفة قالهيو: كلام سمح ترافق الجيش بتاعي وتوديهو عايزين نجمع العشور والضرائب، وفي نفس الوكت عايز سن الفيل، واصل لي آخر نقطة ممكنة تصلوها.

رد عليهو سيد صغير بأنو في خدمة المهديّة ومشى مع الجيش كم مرة، وكانت مشياتو ناجحة وعجبت الخليفة.

سألو واحد من الضباط الإنجليز، وقال ليهو: سمعت بي معركة كرري وهروب الخليفة مهزوم ونهاية حكم الدراويش.

رد سيد صغير قال: لا ما سمعت بيها أنا لي كم شهر برة أم درمان ومقطوع من الدنيا، وجاي للخليفة أرفع ليهو الحصل، وأتمون بي الذخير والسلاح والرجال، عشان أقضي مهمتي في فشودة.

طيب جاي منوين إنت؟ دا كان سؤال موجه لي الأمير سيد صغير من الضباط البستجوبو فيهو.

رد عليهو سيد صغير: أنا جاي من جنب فشودة في حته بيقولو ليها مشرع الرق. وكانت إجابات الأمير سيد صغير قدر السؤال.

مشيت لي شنو سالو الضبط الإنجليزي؟

قال سيد صغير: أنا مشيت بي أمر من الخليفة عبد الله التعايشي لأنو جاء كلام بيقول في ناس سواحين خواجات ظهورو في فشودة، ورسلني الخليفة أشوف خبرهم وأطردهم من الجهات ديك، وأنا عبد المأمور، قدت الجيش ومعاي عدد من الأمراء وناس عندهم معرفة بالجنوب.

أها السواحين ديل جنسهم شنو؟ قالها الضابط الإنجليزي وهو عايز إجابات واضحة من الأمير الأسير.

قال سيد صغير: ماعارف ليهم جنس لكن خواجات رافعين علم فيهو ألوان في شكل خطوط ومعاهم زنوج من غرب إفريقيا ما بتكلموا عربي.

سألو الضابط الإنجليزي ممكن ترسم لينا الراية بتاعهم؟

سيد صغير قال: أي ممكن.

عبد الواحد واصل كلامو: أها الضابط جاب ليهو ورقة وقلم وسيد صغير رسم العلم وسألوه عن ألوان العلم، فقالها كلها بالترتيب، لكن ماعارف دا علم ياتو بلد.

الضابط الإنجليزي قال متعجب لي صاحبو وزميلو المعاهو: هوي هاهنا ديل فرنسيين الحق الجابم شنو في الأراضي بتاعت بريطانيا، والله دا كلام غريب وعجيب الزول دا بي صحو.

واصل سيد صغير، وقال: أنا مرقت من أم درمان وعندي 500 راجل من الأنصار شايلين بنادق وحراب وسيوف، وماعدنا مدفع، لمن وصلنا مشرع الرق عملت استطلاع، ولاقيت مك الشلك، قال السواحين ما كتار ومعاهم سود وقاعدين في مبنى المديرية بتاعت الحكومة الفاتت، ورئيسهم قال لي إنهم تابعين للخديوي ومتقدمين على مدينة أم درمان عشان كدا الشلك ما اعترضوهم واعتبروهم الحكومة.

الضابط الإنجليزي قال ليهو: يا سيد صغير أها والحصل شنو واصل؟

سيد صغير قال: أنا طوالي سقت الجيش بتاعي وخشيت معاهم في حرابة من الصباح للظهر كتلو من ناسي وجرحو كم راجل، وأنحن كتلنا فيهم عدد كبير برضو.

وصل كلامو سيد صغير وهو بعين للضابط الإنجليزي في ود عيونو المهم ماف زول انتصر على الثاني وبقي الطرفين تعبانين، بعد الظهر أنا حسيت بي أنهم مواصلين في الحرابة وضربت خماسي في سداسي، وقلت أرجعو أنسحب لي مشرع الرق هناك عندي معسكر والسواحين انسحبوا ذاتهم ووقفت الحرابة بينا.

الضابط الإنجليزي قال ليهو: أها والحصل شنو بعد داك، وظهر عليهو النرفزة من كلام الأمير اللي بيدي فيهو بي القطارة، وماكان خايف منو.

قال سيد صغير: لمن رجعت الديم بتاعي في مشرع الرق اتشاورت مع الأمراء والأخوان المعاي أنو نهجم باكر فجر على السواحين ديل، يا أنحن يا هم.

أها واصل.. قلها الإنجليزي وهو بعين للكاتب وبيقول ليهو أكتب أي كلمة بيقولها الزول دا، كلام مهم للغاية، وبيصل لي ونجت والسردار ذاتو وووو.

اتلفت على سيد صغير وقالهيو: يا سيد واصل كلامك يا أخونا.

سيد قال: الأمراء قالوا نرجع أم درمان ونجيب دعم عايزين أنصار وبنادق وذخيرة عشان ندقش السواحين وقرروا أمشي أنا للخليفة بي الباخرة، وجيت أم درمان وإننو مسكتوني، وواقعين فيني أسئلة وأنا بجابو.

قال الضابط الإنجليزي: تمام وباقي جيشك وين؟

رد عليهو سيد صغير وقال: باقي جيشي ومعاهو عدد من الأمراء قاعدين في مشرع الرق شمال فشودة منتظرنني، وما عارف يرجع ليهم ولا لا.

(4)

قال بيكي: موجه كلامولي قائدو العجوز والله أيام ارتحنا من ركوب البواخر ومطاردة الدراويش ودخلنا أم درمان فاتحين ودخلنا في شغل الدوريات المسلحة، تتذكر كل مرة تعين مجموعة من الضباط بتاعين البحرية بطلعوا يعملوا استطلاع، وفي مرة وصلنا لحدي الدويم في بحر أبيض في الوكت داك.

كييل قاليهو: بتذكر كان قلم المخبرات كل مرة يجيب معلومات عن الدراويش مرة تجمعات ومرة جيش هاجم ونطلع الدوريات بلا فائدة تمش تمشط، وتحي، أصلو كان في شكلو مصدر بيدي المعلومات دي لي قلم المخبرات، وتبالي بيها نحنأصلو ما ارتحنا.

ضحك بيكي العجوز وقال: وقال بعد جية سيد صغير ورفع الموضوع لي ونجت باشا وونجت كلم السردار على الفور بي المعلومات استجوابو للرجال اللي مسكوهم مع الأمير سيد صغير عرفو إنو دي قوات فرنسية بتسابق في الجيش الإنجليزي، وكان لازم يحسموا الموضوع في أسرع فرصة.

كييل انتهد، وقال: أي والله بقينا في اجتماعات طيلة بندرس في الموقف العسكري اللي ظهر لنا فيهو جيش فرنسا في السودان، فجأة وما كان متوقع أصلو.

واصل كييل، وقال: وبعدها قرر السردار يمش ليهم بعد وصول سيد صغير بي يومين جاني أمر بتجهيز البوارج الحربية عشان يصلو فشودة، ويشوفو قصة الفرنسيين اللي جو في حوض نهر النيل دي شنو كان.

(5)

عبد الواحد قال: أوروبا في الوكت كان بينهم تنافس وحروب ثقيلة كل ملك بيغزو مملكة الثاني، ووقع بينهم موت ثقيل لحدي مظهر خواجه ألماني اسمو بسمارك، ودا اتعين مستشار في ألمانيا، وهو الغير نظرة الأوروبيين للدنيا.

بسمارك قال للملوك والأمراء والأعيان: هوي انتو فوق شنو بتتشاكلو والدنيا كبيرة العايز ملك ومال وجاه يرسل جيشو أسيا وإفريقيا، لكن قبال ما نمش نحدد مناطق النفوذ عشان ما نتصارع تاني دا كان في اجتماع للملوك والأمراء الخواجات في برلين سنة 1885 م.

حاج الماحي خش في الموضوع، وقال: المعنى بسمارك هو الجاب لنا الهوا وخلي الخواجات أولاد أم زقدة يجو يقلعوا بلدنا ويشيلوا خيراتها، ما عفيت منو تب.

عبد البين قال: شوف يا حاج الماحي الاستعمار مافيهو خير أصلو، صحي جاب لنا حاجات كنا ما بنعرفهازي السكة حديد وعمل مشاريع وموانئ وفتح مدارس إلا إنو دا كلو عشان يسهل لغف ما يمكن لغفو إلا الاستعمار ذلة ومهانة، وكتلو الناس عشان هم متفوقين علينا، ولأ مش كدا يا حاج عبد الواحد؟ لكن ناسك أبان جيباً مرقعة وجراباً ممدودة عدمونا أي حاجة، وهم السبب في جية الاستعمار، وفي نهاية بقو حبابيو وناسو.

عبد الواحد: أي كلامك صاح لكن تسمية استعمار ذاتا غلط كبير لأنو استعمار من عمر يعمر فهو معمر ومستعمر وديل ما عمرو أصلو أي بلد في الدنيا احتلوها ما لاقت إلا الذل والهوان، لكن الصباح دا احتلال عشان نقول أي حاجة صاح ما نلخبط الكلام.

حاج الماحي قاليهو يا الحاج عبد الواحد عمر يعمر يعني كبر، وبقى قدرنا في العمر، يعني تاني ما بيعرس من جديد هوي إنت قاصد شنو؟

الجميع أدوها ضحكة، وقال عبد الواحد: عمر يعمر من التعمير والتنمية وديل عملو تنمية عشان ينهبوا أصلو كان في صراع على الموارد والخيرات عشان بينوا بلدهم وينشفونا ويشغلونا عبيد في بلدنا، الاحتلال ما بتشكر، والبشكرو خاين وبس.

عبد البين قال: واصل ياخ الإنجليز سووا شنو مع زولك الأمير سيد صغير شالو منو الكلام العايزنو كلو حصل شنو ياخ؟

عبد الواحد قال: بعداك الإنجليز دخلوا في اجتماع طويل، فيهو كتشنر ودا الرئيس وونجت وشواطين باشا أقصد سلاطين، وكبار الضباط الوكت داك حكومة احتلال عسكري ما مدنية خالص.

السردار كتشنر باشا استمع لي ونجت باشا ودا كان مدير المخابرات، أعادوا كلام سيد صغير بعد رتبهو وترجموهو، وبقو بتكلموا في العمل شنو وطلعوا بي قرارات أولابي التبادي يكلموا القاهرة ولندن بي قصة التدخل الفرنسي في حوض النيل والدبلوماسيين يشوفو شغلهم. وتاني شيء يقوم السردار بي ذات نفسو من الصباح بي البوارج والماتوا في كرري دمهم ما نشف، يقوم يشوف القصة بي نفسو ومعاهو ونجت، ويطرد الفرنسيين من فشودة على اعتبار أنها مديرية من مديريات الخديوي، ودا تدخل سافر فيها قالها عبد الواحد وهو منفعل.

(6)

عبد البين قال: المعنى حاتكون في حراية بينهم في واطاتنا، والله الخواجات ما بيخجلوا أنا كنت قايل الإنجليز فيهم خير كتير ياخ.

عبد الواحد قاليهو: خير أنت ماف جيش بحتل بلد بعمل فيها خير.

عبد البين قاليهو: ياخ كفاية خلصنا من حكم المهديّة وشفنا الدنيا فيها شنو.

عبد الواحد قاليهو: الخير في ما اختار الله ما في الخواجات ملك المهديّة انتهى واستشهد في كرري عدد كبير من السودانيين بي سلاح الإنجليز، وانجرح عدد كبير من الرجال، والخليفة عبد الله كان الوكت داك في كردفان منسحب من جيش الإنجليز بعد كرري ومعاهو قوة من الأنصار، ولسع ما استقروا في مكان.

عبد الواحد واصل وقال: كتب ونجت باشا في تقرير المخبرات الكلام دا
اقرأ ليكم بي ضبانتو:

عندما تلقى معلومات بوصول قوة أوروبية إلى فشودة الخليفة على الفور
أرسل حملة للقضاء على الأوروبيين هذه الحملة استقلت باخرتان هما الصافية
والتوفيقية وعدد 11 مكباً مع قوة صغيرة قوامها 500 محارب منهم 150
مسلحين ببنادق الراجتون ويحملون 35 صندوق ذخيرة وعدد 1 مدفع تحت
قيادة سيد صغير الجعلي والأمير حسيب أحمد جمال الدين الجعلي والأمير أحمد ود
محمود الجعلي والأمير ضو البيت التعايشي والأمير على البيتي التعايشي.

الحملة تحركت من أم درمانفي يوم الجمعة الموافق 29 يوليو وبعد 28 يوماً
من الإبحار في النيل وكانوا كل يوم ينزلون ليأخذوا طعاماً وأخشاباً للبوأخر، في
صباح الثلاثاء 25 أغسطس 1898 م وصلت حملة الخليفة إلى فشودة ووجدت أن
القوة الأوروبية تحصنت في موقعين في شكل طابية وأطلق الدراويش في الحال
النار عليهم. القوة الأوروبية الموجودة في فشودة مسلحة ببنادق ولكن ليس
لديها مدفعية وأطلقوا نيراناً كثيفة على قوات الدراويش الذين تراجعوا شمالاً
بعد قتل منهم 31 رجلاً وجرح منهم 60 فرداً.

(7)

كيبيل واصل: وهو بيحكى وقال لي بيكي: تتذكر وكت قلت ليك جهزوا
البوارج السردار ماش يشوف قصة الفرنسيين ويتحقق منها، وكان رسل
تلغراف مستعجل للقاهرة ولندن، وأطلعهم لي الموقف بي صورة عامة والخطوة
الي عملها.

رد بيكي: بتتذكر يا كمدان فكينا من الأنصار بقينا في الفرنسيين كمان ديك
أيام عجيبة ياخ كنا شباب متحمسين.

(8)

كييل قال: بعد التجمعت كلالملومات اتحرك السردارالسير هيربرت كتشنر باشا من أم درمان يوم 10 سبتمبر ومعا هو خمس بوارج حربية شايلة قوات الكاميرون هاي لاندشير و 2 كتيبة سودانية وبطارية مدفعية مصرية مسلحة برشاشات المكسيم، وأبحرنا لي فشودة في أعالي النيل الأبيض الجنرال ومعانا ونجت باشامدير مخبرات الجيش.

كييل: في يوم 15 سبتمبر وصلنا لي معسكر الدراويش الذي يبعد مسافة 650 كيلومتراً جنوب الخرطوم وبعد جرابة صغيرة من الأنصار شلناهم أسرى، وكانت معاهم في باخرتهم الصافية و 11 قارباً كبيراً، أغلب قوات الأنصار بمن فيهم سيد صغير أخذوا أسرى جميعاً.

قال بيكي: الموقف الصعب مش كان أننا ندخل ديم الأنصار لأنو أصلاً كانت معانا باخرتهم، وكان معانا أسرى منهم اتكلمو معاهم وطمنوهم وأخذناهم بدون مقاومة تقريباً، لكن يا صديقي كييل الموقف الصعب لمن نحن واقفين في قيفة ديم الأنصار ورسلنا شلكاوي بي جواب للقوة الأوروبية نسألهم عن هويتهم ومتي وصلو أراضي حيازة بريطانيا.

كييل: قال والله كلامك صاح أتذكر في الصباح جاء مركب معدني صغير فيهو زوج رافعين علم فرنسا ووقفوا في القيفة، وقالو جايبين رسالة من قائدهم لي قائد القوة الإنجليزي.

واصل بيكي وقال: أهأااا لكن وصلنا الرسالة لي السردار طوالي اتحرك بي البوارج نحو فشودة، ولمن دخلنا ظهرت لنا خرابة مباني المديرية القديمة من بعيد، وفيها علم فرنسا اللي أذهلنا كلنا، وواصل كلامو، وقال: قوة فرنسية في مجاهل جنوب السودان يا ربي ديل ما لهم في البلد دي وجوي وين وعازين سنو.

كيبيل: لمن نزل السردار حدث الأغر ب. القوة الفرنسية الصغيرة عزفت
النشيد الوطني الفرنسي والإنجليزي، وكان قوام قوة الفرنسيين سود من
السنغال هدومهم مقطعة وحالهم بائس يفتقدون للمرح وبنادقهم قديمة من
كثرة الاستعمال، إضافة إلى عدم اهتمام بي النظام.

اتقدم الميجور مارشند ودا القائد الفرنسي وصافح الجنرال كتشنر وونجت
والضباط الإنجليز، ورحب بيهم في فشودة، وعمل جولة معاهم سريعة بعد
المجاملات.

ونجت بتكلم مع واحد من ضباط الحملة الفرنسية وقاله هو: مرحباً أنا
ونجت مدير المخابرات الحربية.

رد عليه الضابط الفرنسي: مرحباً أنا اسمي جيرماني قائد ثاني القوة الفرنسية.

ونجت: كيف حالكم في هذه المنطقة المعزولة من العالم.

ضحك جيرماني: ماشي الحال ياهو أنتو برضو لحتقونا فيها، وضحكا معاً.

في الوكت اللي كانت كؤوس النيذ الفرنسي بتتوزع على الحضور، والسود
بعابينو في الموقف العصيب اللي كان ظاهر في عيون الكل.

دار حوار جاد وساخن بين كتشنر ومارشند بعد الترحيب، وفيه نوع من
الدبلوماسية العسكرية.

كتشنر قال لي مارشند: مين اللي خلاكم تدخلوا في أراضي حيازة بريطانيا.

مارشند: حكومتنا ياسعادتك دي أوامرها.

كتشنر: أنتم ارتكبتم خطأ وأدعوكم للانسحاب الفوري من فشودة.

مارشند: لن ننسحب إلا بأمر من الحكومة الفرنسية.

كتشنر: أفهم أنكم تقاومون أمرنا اليكم.

مارشند: لن ننسحب حتى لو أدى ذلك إلى موتنا وعلى الرغم من قلة قوتنا إلا أننا نتبع للحكومة الفرنسية ولن ننفذ إلا أوامرها فقط.

كتشنر: وطيب الحل شنو؟

مارشند: أنا غايتو ما منسحب مهما كانت النتيجة اتكلم مع حكومتي على الأقل نمرق بي شرفنا وما يقولوا خافوا.

كتشنر: كويس أنا برفع الأمر للحكومة تتباحث مع حكومتكم وبجيك الأمر سراع.

مارشند: حبابو.. أها إنتو بتقعدوا ولا بتتسجبوا.

كتشنر: نحن حانفتح قوة ونرفع علمي مصر وبريطانيا.

قال عبد الواحد: الغريب في إنو الفرنسيين هم الساعدو الإنجليز عشان يلقو حنة ناشفة يعملوا فيها معسكر في فشودة، والإنجليز هم اللي دبرو ليهم انسحاب الفرنسيين عن طريق نهر السوبات ومنها للحبشة ومنها إلى جيبوتي، وتم تكريم مارشند وجنوده في فرنسا، وأزمة فشودة كادت تعصف بين قوتين عظيمين في الوكت داك.

عبد الواحد قال لي جماعتو ما قلتة ليكم الخواجات خلافاتهم في زمن الاحتلال، ولا كان هسع كلو تنافس على مواردنا وكلو شغل مصالح ويس.



آخر طلقة و آخر عسكري
معركة كربلاء

آخر طلقة وآخر عسكري معركة كربكان

(1)

عبد الواحد قاعد يقرأ في كتاب ما فيهو غلاف وهو متكئ يقرأ بي صوت عالي وحولو عبد البين وحاج الماحي والحاج مصطفى، وقال: معركة كربكان، هي واحدة من معارك الأنصار ضد الجيش البريطاني وقعت في يوم 10 فبراير 1885، وكانت حملة لي إنقاذ الجنرال غردون المحاصر في الخرطوم تتقدم نحوه، وكان في طابورين، واحد اسمو طابور الصحراء والثاني طابور النهر والمعركة وقعت مع طابور النهر الي كان مكون من نحو 3000 عسكري بريطاني تحت قيادة الجنرال ويليام إيرل.

وكربكان عبارة عن جبل يشرف ويسيطر على مجرى نهر النيل، وكان الأنصار في قمته وطابور النهر يريد تجاوز خانق كربكان، ف وقعت معركة رهيبة خسر الجيش البريطاني 60 قتيلًا، من بينهم الجنرال إيرل قائد طابور النهر.

قال عبد الواحد بعد ما خت كتابو المتهالك الصفحات: كلام عجيب وغريب؟

عبد البين: قال ليهو العجيب شنو؟ ناس في رأس جبل ومعاهم بنادق وناس في البوابير والمراكب الطبيعي أنو ناس راس الجبل يعملوا خسارة في ناس البحر، وين الشجاعة ومعارك الالتحام بتاعت المهديّة؟

حاج الماحي رد على عبد البين، وهو منفعل وقال: كيف ماف حاجة ديل
الترك أبان برانيط وشايلين سلاح ورجال دي قمة الشجاعة والتكتيك العسكري
وقدرة على الحراة ياخ بس الما بيدور كبيحمر ليك في الضلام.

عبد الواحد أخذ كتابو وقعد يقلب في الصفحات وتعابير وشو فيها كلام
كثير، وما اشتغل بي المعركة الي دورت في ضل الدكان في حلتهم.

(2)

في شمال السودان تسري أوصال الحياة في الشريط النيلي الضيق المحاط بي
الجروف وأشجار النخيل وتتواصل القرى فيما بينها وتجمعها الأفراح والأتراح
والدين واللغة والتقاليد.

في هذه البيئة الصعبة يكافح السكان لكسب لقمة عيشهم فما بين ديار
الشايقية في الشمال وديار الرباطاب تقع ديار المناصير، وفي وسط ديار المناصير
يقف جبل كربكان كخانق في النيل يكسر الأمواج التي تصافحه كل ثانية منذ
زمن طويل، وهذا أكسب المنطقة عمقاً في التاريخ الذي شهد حضارات كثيرة
ومتنوعة.

قال الراحل الشاعر مدني تميم أرقى المغني يصف تلك البلاد ويتذكر محبوبته
التي سماها باسم شادية، ففي هذه النواحي لا يذكر اسم المحبوبة، فقال:

يوم وداعك شادية.. كان يو ما ختر..

صب دمع الفرقة... من العين قطر..

كربكان جات تمشى.. بي طرف البحر

دار تشيل محبوبي.. تخفي من النظر

وعلى أنغام الربابة والدليب والصفقة تتراقص قلوب المحبين تعبيراً عن حنانهم لأرضهم وإخلاصهم لها، فهي في وجدانهم تكبر وتزدهي، إن ابتعدوا عنها أو كانوا فيها.

(3)

أهلنا المناصير ومعاهم الرباطاب في شمال السودان ديل عندهم قصص عجيبة في أيام المهديّة والمناصير ناس في حالهم معروفين أنهم مسالمين وحلوين مع جيرانهم والغريب، إلا البيجي ظالم بيلقاهم أقوى من جبالهم، شالمهم وجنوبهم بحر النيل، وهم عايشين على الشريط النيلي وشغالين بي الزراعة والتجارة، وناس في حالهم لمن قامت المهديّة ظهرت ليهم قصص خلت الإنجليز يقولوا لازم يتتقموا من المناصير والبجا.. قالها حاج عبد الواحد بي فخر عجيب.

عبد البين: هوي بطل كلامك دا كل السودان حارب الترك وبعدين النتيجة شنو بتاعت المهديّة؟ أهو ماتوا في كرري موت الضان.

رد عليهو الماحي: شوف جنس الكلام دا ياهو المقعدنا في الواطة، المهديّة دي الشكلت السودان، ولت الناس، ناسك الترك ديل عصر و الناس حتى بقوا يقولوا مية في التربة ولا ريال طلبه.

عبد البين: يا حاج الماحي إنت قايل الدنيا مهديّة؟ دي أيام ولت وانتهت وربنا خلصنا منها ياخ.

عبد الواحد: ضحك وقال ليهم من قمنا السودان مقسوم هلال ومريخ وكل فريق ناسوهم الكويسين، والتانين كعبين، أي حاجة فيها الكعب والكويس، والله بلا جنس التعصب دا ماف حاجة مضيعانا، روقو.

(4)

قال عبد الواحد: القصة دي حصلت لمن كان غردون محاصر في الخرطوم في آخر أيامو وبيكورك للخواجات في لندن وخديوي مصر عشان يرسلوا ليهو حملة عشان تفك حصارو.

حاج الماحي رد عليهو: الشقي غردون دامات في الخرطوم وشبع موت.
عبد البين: أيوة مات في الخرطوم ما شرد، كان ممكن يشرد زي صاحبك، لكن أبى.

حاج الماحي: الحرب خدعة وفيها الكر والفر وكلو تخطيط، زويلك غردون حفر حفرتو وبقي يقول أنقذوني كان عايز يخلد نفسو بي الكضب والصاح.

عبد الواحد ما اشتغل بي كلامهم، وواصل، وقال: أها قاموا رسلوا ليهو حملة إنقاذ كان قائدها ويسلي، ودا من جنرلات الجيش البريطاني، والحملة دي عشان تصل سريع فرزوها لي مجموعتين ناس البحر وناس الصحراء.

واصل وقال: أها الأنصار في كربكان لاقوا ناس البحر وكتلوا قائدهم، ودي القصة في كيف كتلو الجنرال ايرل، ودي عايزة قعدة وعدم غلاط وشاي منعن، وأخذوا اليهم ضحكة.

(5)

عبد الواحد واصل وقال: الإنجليز خلدوا ذكرى معركة كربكان في شمال السودان بي أنهم عملوا لوحة جدارية كبيرة نحاسية في الجدار الشمالي بتاع كنيسة ليت شيلفيد في بريطانيا تخليداً لي ناسهم الماتو في كربكان يوم 10 نوفمبر 1884 م من الضباط والجنود، ورسوموا معاها خريطة للمنطقة واعتبروها معركة، وهي كانت في نظر المهديّة مناوشات وعملية تأخير تقدم، شفتو كيف؟

حاج الماحي: ينصر دينك وري عبد البين الفرق.

عبد البين مارّد عليهم، لكن ضحك وضحكوا أصحابو معاهو.

عبد البين قاطعهم: الإنجليز عندهم توثيق وكتابة لي كل الحوادث والمقالب الدخلوا فيها، والتوثيق دا هو الحفظ أمجادهم مش زينا نحن، أدبنا وتأريخنا لسع ما مكتوب، وأغلبو منسي ولا محكي، حكاوي حبوبات ساكت.

حاج الماحي: ياخ أول زول وثق لي أعمالو المهدي نفسو وخلاها في منشورات موجودة، وحققها البروف أبو سليم، وبعدين في كتاب كتبو، كتاب زي إسماعيل الكردفاني وثق لي بداية الثورة في كتابو سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي، وكتابو الثاني الطراز المنقوش في قتل يوحنا ملك الحبوش.

عبد البين قاطعو: أها والكردفاني شن بقى عليهو، ما أكلتو المرافعين في سجن جزيرة الرجاف في الجنوبيي أمر الخليفة عبد الله التعايشي، المهديّة كل فرسانها جازتم بي الشريا سجن يا إعدام.

عبد الواحد قال وهو عايز يفض الاشتباك: خلونا في قصتنا يا ناس أي نظام سياسي فيهو الشين وفيهو الكويس، ودا غلاط ما بنتهي خلوني أكمل ليكم.

حاج الماحي: ياخ خلاص كامل أنا والله في شوق عشان أعرف الحصل شنو، لكن سؤالي أنو المعركة دي بعد تحرير الخرطوم وموت غردون تاني الإنجليز كانوا عاوزين ينقذوا منو أصلا ما جايين لي غردون والراجل مات وراح شمار في مرقة؟

عبد الواحد: كلامك حلو إلا لو دخلنا كدا وكدا الموضوع بطول خلونا نكمل المعركة دي مؤثرة لأنو فيها المنسي من تأريخنا ذاتوو.

(6)

اعتدل الحاج عبد الواحد وقال: شوفوا جماعة الخير أمتع كتاب عن المهديّة كتبوا البروفيسور عبد المحمود أبوشامة دا عالم جليل جمع عدد من الوثائق والمراجع من عدة جهات، وبعد داك سبكه سبكة حلوة وسمى كتابو حروب حياة الإمام المهدي من أبا إلى تسلهاي، وجاب فيهو البروف تفاصيل منسية، جزاه الله ألف خير، توثيقو مميز خالص.

حاج الماحي: أهّا شن قال عن يوم كربكان؟

عبد البين: ياخ ما تبل الصبر شوية عارفك عاوز البنفع معاك، وبس وأخدوا ضحكة كلهم.

عبد الواحد استمر، وقال: بعد ما كان طابور النهر اللي قأدو إيرل متقدم بي ثبات في النيل كان لازم يمر من خانق جبلي في كربكان، وزى ماقلت كربكان جبل بيعترض مجرى النيل في بلاد المناصير اللي كان شيخهم عثمان ود القمر اللي كتل الجنرال ستیورات باشا بتاع الباخرة عباس في جزيرة الكون قبالة قرية الهبة.

عبد البين: عرفناه ودا اللي نزلوا عندو الخواجات والباشوات وأداهم الأمان وكتلهم مش ياهو؟

حاج الماحي: يازول روق ديل محاربين والحرب خدعة أمان شنو للإنجليز ديل حدهم السيف وبس.

عبد الواحد: المهم المعركة دي كانت من المعارك الساخنة، الأنصار فوق راس الجبل عددهم أربعين راجل موزعين في ثلاثة قمم في جبل كربكان وقدامو جزيرة كربكان والإنجليز في البوابير والمراكب عددهم ثلاثة ألف ومسلحين بي المدفعية والبنادق اللي كانت أحدث من بنادق الأنصار.

عبد البين: أكيد بناق الأنصار كانت من الراجحتون وأبو لفته وخشخشان ودقوفيل، وديل بنادق زمنن فات وغناين مات، شن بسون مع المرتين هنري الجديدة يا ناس؟

حاج الماحي: بي قدمن دا سون حاجة، أسمع القصة ياخ.

عبد الواحد: لمن دخلت قوات طابور البحر في مدى نيران الأنصار، فتحو نار بنادقم العتيقة والقديمة لكن الطلقة كانت بي زول وتعبوا الإنجليز الي بقوا بيردوا عليهم، لكن الأنصار مستخدمين قمم الجبال التلاته استخدم كويس ساعدهم كتير في تعطيل طابور النهر، ودا كان هدفهم.

حاج الماحي: ما قلت ليك يا عبد البين في شان الله الأخوان عايزين يوقفو حملة الإنقاذ عشان ناس أبو قرجة يخشو الخرطوم.

عبد البين: خلي الي يكمل وبعداك نشوف آخرتا.

عبد الواحد: الجنرال إيرل أمر بي فتح النار على الجبل حتت النار جاية من القمم وبدأ الإنجليز يضربوا لكن الأنصار كانوا مياخدين وضعية في ساتر عالي، بالتالي الذخيرة بتاعت الإنجليز ما كانت مؤثرة على قوة الأنصار الي مواصلين ضرب نار بطيء، لكن مؤثر لأنو ذخيرتهم من فوق وبي تنشين عجيب.

(7)

عبد الواحد مسككتا بالبروف عبد المحمود أبو شامة الاسم حروب حياة الإمام المهدي من أبا إلى تسلهاي، وقعد يقلب، وقرأ ليهم كلام الجنرال ولسلي قائد حملة إنقاذ غردونالليقالوا للجنرال وود القائد العام للجيش: إن إيرل لا يصلح إلا لرتبة سيرجنت مييجور. يعني وصفو إنو ما بنفع غير صول. وضحكوا كلهم على سخرية ولسلي على ضابطو إيرلاللي هو قائد طابور النيل في الوكت داك.

لكن كان الجنرال إيرل قائد جيش كبير اتحرك من دنقلا في يوم عيد الميلاد عام 1884م، وكان نائب الجنرال إيرل الكلونيل هنري براكنبراي، لكن ولسلي برضو كان يبسخر منو.

وقرأ ليهم من كتاب أبو شامه إنو الجنرال ولسلي كتب جواب لي مرتو اللي اسمها لويزا إلى كانت قاعدة في لندن والكلام دا يوم 22 ديسمبر 1884م قال ليها براك، وقاصد براكنبراي، صوته كل يوم يصبح أكثر ضخامة ومؤخرته أكثر تريبعاً وعضلات ساقيه أكثر سمكاً وشعره أقل كثافة وبطنه أكثر اتساعاً ولونه أكثر صفرة. ضحك عبد الواحد والماحي وعبد البين من سخرية ولسلي.

حاج الماحي: ضحك وقال والله ولسلي دا مصيبة وكت عارف ناسو خوازيق زي دا مالو خاتيمهم قدام سيوف الأنصار.

عبد البين: ها زول إنت ماعارف الإنجليز ساخرين، الشيء عادي عندهم الخوازيق.

موسى ود حجل دا الأمير قائد مناوشات الكربكان اللي اختارو الأمير عبد الماجد أبو لكيلك، ودا كان أمير في جيش المهدي، ورسل ود حجل عشان يقوم بي مهمة مناوشة وتأخير طابور النهر، وبقى موسى ود حجل ورجالو يتراجعوا جنوباً كل ما يتقدم طابور النهر لحدي ما حصلوا جبال كربكان، الكلام دا قالو عبد الواحد، وهو يتنفس بصوت واضح فيهو نوع من الانفعال.

حاج الماحي قال ليو: والحصل شنو يا حاج عبد الواحد؟ كمل كمل.

لمن اتقدم جيش الإنجليز بدت المناوشات واتخيل إيرل نفسو حيخش في معركة كبيرة وبدا الأنصار يضربوا نار من فوق وبقى في تبادل نيران، قتل فيها إثنين من الضباط، واحد اسمو هورس برا ودا كابتن وملازم كولبرون وديل

كانوا في قوه صغيره معاهم الجنرال إيرل، حاولوا يلتفوا ويطلعوا الجبل والقوة الرئيسية في الوكت داك كانت بتضرب في الأنصار عشان تشتت انتباههم عن القوة الصغيرة الكانت دايرة تلتف حول الجبل، وتنهى مقاومة الأنصار.

الأمير موسيأب حجل كان بقول للأنصار أي زول بتكمل ذخيرتو ينزل من الجبل.. قالها عبد الواحد.

واصل عبد الواحد وقال: الرباطاب والمناصير اللهم الأنصار بناوشو كانوا حافظين المنطقة والمزلقانات البنزلو بيها والمنطقة دي كان بسموها الشقوق، يعني ممكن تندسا فيها عادي.

جزء من الأنصار الكملت ذخيرتم كانوا نازلين من الجبل لاقتم قوة إيرل الملتفة واشتكبوا معاهم بي يدينم والحراب الصغيرة وقاموا الإنجليز ضربوهم بالرصاص.

وفي الوكت داك ما فضل في قمة الجبل إلا راجلين من الأنصار عندهم طلقه واحده القوة الملتفة اتقدمت ومعاهم الجنرال إيرل ونايو براكنبراي وكبير الجراحين ورقيب وعشرة عساكر.

وهم متقدمين شافوا قدامن قطية متهالكة، إيرل مشى عليها وناسو بيحاولوا يبعده منها وهو متقدم عليها.

عبد الواحد سكت وبقى بعين بعيد ومرت لحظات كأنها زمن طويل جداً وسكتو كلهم يفكروا في الي بيحصل.

عبد البين قال ليو: أها الحصل شنو؟ ما تقول لي الاتنين أبين طلقة واحده عملوها؟ يازول واصل واصل الظاهر الشغلة كتمت.

في الوكت داك إيرل كان ماشي على القطية وبقى ليها قريب وعساكرو ما عايزين يصلوها خايفين منها.

القيب المعاهو والقوة الملتفة قال للجنرال إيرل: هناك عدد كبير من الأعداء في القطية وضرب واحد من رجالنا قبال شوية.

ايرل قال ليو: أحرق القطية.

القيب قال ليو: لكن ممكن تكون فيها ذخاير تنفجر فينا.

قاليو إيرل: أضرب نار في القطية لو فيها ذخيرة بتقوم وبنعرفا.

القيب قال لي واحد من الجنود بي لهجة أمر عسكري: أضرب نار يا عسكري.

العسكري ضرب نار في القطية ما حصلت حاجة لا قامت منها طلقة ولا انفجرت فيها ذخيرة من أصلو.

إيرل قال بي لهجة غضب: أحرقوها، ولعوا العساكر في القطية نار.

عبد الواحد قال: عينك ما تشوف إلا النار ولعت في القطية وواحد من الأنصار الجوة القطية طلع منها جري وإتلقوهو العساكر بي سناكي البنادق وكتلو الأنصاري في الحال وبقوا بعينو في النار اللي أكلت تلت القطية تقريباً.

إيرل اتقدم وهو بقول لي باكنبراي: القطية دي لافيها زول ولا خاتين فيها ذخيرة إنتو جنبنا واتقدم عليها وجماعتو ماشين وراو.

في الساعة 12 و 45 دقيقة يعني بعد الظهر في يوم 10 فبراير 1885م قامت طلقة من جوة القطية الحرقانة ووقعت في راس الجنرال إيرل اللي وقع جنازة وسط صخور كربكان القوية، وبقى الجنرال الخامس الكتلو الأنصار والي بي سببو الإنجليز قبال كرري انتقمو من البجة والمناصير.

حاج الماحي: الله أكبر والله الحمد في شان الله شوف جنس الرجالة دي.
سأل عبد البين: اهاا ياسيد الامنتي ليكو الأنصاري الكتلو جرا برضو من
القطية

عبد الواحد: الله يرحمو صبر على النار أكلت جسمو، لكن طلقتو الوحيدة
الي هزت بريطانيا كلها وحقت أهدافا.

حاج الماحي: أها والجيش الحصل ليو شنو؟

الجيش اتولى قيادتو براكنبراي الي بيدلعوا الإنجليز ويقولوا ليو براك وبقى
الجنرال براك فيما بعد.

ودي من القصص المنسية في تاريخنا والتي عايضة وقفة عن شجاعة سيد الطلقة
الوحيدة الي بعدها اتغير الكثير من أفكار الإنجليز عن السودانيين.



معركة داروتي

عدو و صديق في البير

معركة داروتي عدو وصديق في البير

(1)

عبد الواحد الليلة جا بدري وشايل ليو كتاب وقاعد يقرأ بدون ما يتكلم مع زول وناسو بدوا يتلموا واحد واحد.

حاج الماحي: سلام كيفك يا حاج عبد الواحد؟

عبد الواحد: تمام والله وواصل في قرايتو.

جا من هناك عبد البين بعد سلم قال: يا عبد الواحد كتابك دا عجيب. كتابك دا شنو؟

عبد الواحد قال: دا كتاب الأستاذ إبراهيم يحيى عبد الرحمن العنوانو سلطنة دار مساليت او دار مسرة وبقراً في قصة السلطان تاج الدين.

حاج الماحي قال ليو السلطان تاج الدين دا منو؟ أول مرة أسمع بيهو.

عبد البين: إنت سمعت بي منو؟ بلا أنصارك ديل بتعرف منو؟

عبد الواحد قال: دي فرصة عشان أحكي ليكم قصة السلطان تاج الدين الله يرحمو ومعركتين ليهو الأولي كريدنق والثانية داروتي.

عبد البين قال ليو: عرفنا داروتي كريدنق دي شنو؟

عبد الواحد ضحك وقال ليو كريدنق دي من المنسي من تاريخنا وداروتي من المحكي .

حاج الماحي قال: إتوكلنا على الله أحكي لينا القصة.

عبد الواحد قال: المساليت واحدة من كبريات قبائل دارفور وساكنين في الحدود الحالية مع تشاد وكانوا أنصار المهدي، وفي سنة 1901م بقى السلطان تاج الدين سلطان عليهم، وفي عهدو حصلت قصة التدخل الفرنسي في غرب السودان.

(2)

عبد الواحد قال: عشان نفهم القصة لازم نرجع لي وراء شوية.

بعد مقتل سليمان والزبير باشا على يد جسي قام رابح الزبير ومعاهاو مجموعة من جيشو مشولي وداي وفتحوها وأسسو دولة إسلامية كبيرة، لكن الدولة اصطدمت بالتوسع الفرنسي في غرب إفريقيا، ووقعت بينهم عدة معارك في عدة مواقع، وآخرها كانت معركة مع الجنرال الفرنسي لامي الي أسس فورت لامي والي تحول الليلة اسمها لي إنجمينا عاصمة تشاد.

حاج الماحي: إنجمينا دي كان اسمها فورت لامي؟

عبد الواحد: هي قديمة سموها فورت لامي لأنو وقعت فيها المعركة مع رابح ود الزبير، والمعركة دي بي تاريخ 1899 / 4 / 23م، يعني بعد سنة من معركة كرري، وبعد استشهاد رابح الزبير مسك القيادة ولدو فضل الله، وحارب الفرنسيين، وبعد كم شهر برضو استشهاد هو ذاتو وسقطت مناطق غرب إفريقيا في يد الفرنسيين.

واصل وقال: في الوكت داك كان في سلطان في أبشي اسمو السلطان دود مرة، وحاول إنو يقاوم الفرنسيين، إلا إنو فشل وهزم بعد جولات كثيرة، وواحد من أسباب هزيمتو إنو كان في عدد من الأمرء بفتكرو إنو الفرنسيين ممكن يساعدهم، ويصلو لي منصب السلطان، عشان كدا بقى ضهر السلطان دود مرة مكشوف، فهرب لي سلاطين الشرق في دارفور عشان يساعدهو هو في الرجوع لي ملكو ودخل في ديار مساليت في زمن السلطان تاج الدين.

(3)

ومسك بعد دود مرة في سلطنة وداي السلطان أصيل ود السلطان محمد شريف في سنة 1910م، ودا العاون الفرنسيين وساعدهم، وقال لهم إنو السلطنات في دارفور تابعة ليهو زي سلطنة الفور والمساليت ودار تاما ودار سلا وغيرها دا اللي خلي الفرنسيين يفكرو في دارفور كلها قالا عبد الواحد.

عبد البين: يعني السلطان أصيل هو الدفر الفرنسيين وطمعهم في دارفور؟

عبد الواحد: ااي السلطان أصيل كان عايز يضمن إنو كل الممالك الجنبو تخضع للفرنسيين، وطوالي قام السلطان أصيل عميل الفرنسيين كتب جوابات لسلاطين دارفور دعاهم للدخول في إمرتو، وقال لهم إنو هو السلطان الجديد لسلطنة وداي الكلام دا بي إعاز من الفرنسيين.

فقام كتب لي السلطان عثمان سلطان دار تاما والسلطان بخيت أبوريشة سلطان دار سلا وديل أعلنوا تبعيتهم ليهو وقبلوا بي كلامو.

حاج الماحي: أها عليدينار وتاج الدين قبلو الكلام دا؟

عبد الواحد: يازول عليدينار سلطان دارفور والسلطان تاج الدين سلطان المساليت والسلطان إدريس سلطان قمر ديل ردوا عليهو رد قوي، فيهو تحذير للسلطان أصيل وللفرنسيين.

وطوالي عليدينار كتب للإنجليز في الخرطوم عن التهديدات الفرنسية لي دارفور، وطلب منهم المعاونة، وكان كتب للقاهرة وشرح ليهم الوضع، والسلطان تاج الدين عمل مجلس شورى وجاب العقلاء والكبار وشاورهم وكلهم قالوا مساليت بحاربوا وبس، في الوكت داك وصل ليهم السلطان دود مرة واحتمى بيهم وقرر إنو يحارب معاهم ودار بينهم الحوار دا.

دود مرة: أنا ورجالي بنحارب معاكم يا حضرة السلطان.

تاج الدين: إنت ضيفنا يا حضرة السلطان وما بندخل ضيفنا حرابه إنت تقعد معزز مكرم.

دود مره: يا حضرة السلطان كلنا يد واحدة عشان نرجع الفرنسيين خلونا جنود في جيشكم.

تاج الدنيا: نحنا بنحارب وقادرين نهزمم.

دود مره سألو: والعمل شنو؟

السلطان رد عليهو: أنا ما بصافح ولا بسلم ولا بتفق مع كافر، أما النصر وأما الشهادة.

دود مرة: ربنا يقويك يا حضرة السطان.

السلطان تاج الدين: أدعو لينا بالنصر ودعتك الله.

عبد الواحد قال: شغل السلطان أصيل الما كويششجع الفرنسيين إلى كان قائدهم اسمو فيقنشو في أنهم يتقدموا لي دار صباح من أبشي عشان يخشوا دارفور، وطلبوا تعزيزات جاتهم سريعة، ووضع خطتو إنو يخش سلطنة سلطنة وما يديهم فرصة إنو يتوحدوا فيما بينهم عشان بسراع يحتل أراضيهم.

حاج الماحي: أها الحصل شنو؟

عبد الواحد: في سبتمبر 1909م رفع الفرنسيين علمهم في دار تاما واتقدمت قوة صغيرة من الفرنسيين ونتيجة للخلافات فيما بينهم اضطر السلطان عثمان التاماوي للهروب للشرق إلى السلطان عليدينار في الفاشر، وكذا بقت دار قمر وتاما وسلا وقّعوا معاهدات مع الفرنسيين والمعاهدات دي بي موجبا بيدفعوا الجزية للفرنسيين مقيّمة بالبقر والضان والذرة والعاج.

وما فضل إلا السلطان تاج الدين الي قرر يقاوم للآخر.

عبد البين: والله راجل.

واصل عبد الواحد وقال: السلطان عليدينار كان يعتمد على دبلوماسية وسلاح القاهرة ولندن في إيقاف التقدم الفرنسي على أراضيها على عكس السلطان تاج الدين الكان معتمد على الله وسواعد رجاله واتحدى الفرنسيين بي صورة واضحة وأعلنها، وما قدم طلبا ليزول عشان يساعده ويقاوم معاو.

(4)

عبد الواحد قال: فيقشوا القائد والحاكم العسكري الفرنسي قام بزيارة للسلطنات الشرقية لي أبشي، وهي دار تاما ودار قمر ودار مساليت ودار سلا، وكانت معاها قوات كثيرة يستعرضها عشان يرهب الزعماء والسلاطين والأعيان، ويحاول يوقف قلبهم، ويقطع أي خطة للمقاومة، ودي بسموها الحرب النفسية ونجحت وقتها.

عبد الواحد قال: قامالفرنسي فيقشوا عشان وأكد سلطة الفرنسيين عليهم، كتب للسلاطين ديل أنو بجي معاو السلطان أصيل، وطلب منهم التجهيز لاستقباله، وتقديم الضرائب والجزية المفروضة عليهم، فيقشوا عجبوا وحو عشان كدا واثق من قواته، وإنو ما محتاج لي حرب تاني.

لكن سلاطين الشرق ردو رد حاسم فهمو السلطان أصيل، وقالو إنهم ما تابعين لي سلطنة وداي ولو اضطروا يخشوا حرب حيخشوا.

السلطان أصيل فهم الكلام كويس وعرفها حرب حرب لكن ما إتكلّم للفرنسيين واتعلل بحجج واهية منها إنو عيان وماقادر يركب حصانو، وبقى قاعد في أبشي عاصمتو، وقال للقائد الفرنسي: السلاطين ديل عبيدي وتابعين لي وأنا كتبت ليهم يخضعوا ليك ويسلموا، وفعلا سلم سلطان تاما وبرقو وسلا وقمر البقى سلطان دار مساليت ودا بسلم، وإن سلم عليدينار بسلم، أمشي ليهم مطمّن.

فيقنشو الفرنسي: كويس إنك حذرتهم من قوة الجيش الفرنسي وراجعهم ورسل ليهم. أي مغامرة حيكون تمنها كبير لازم يجهزو الضريبة والجزية، وأنا بتحرك عليهم في اليومين الجيات.

السلطان أصيل قعد في أبشي وخلي القائد الفرنسي الكابتن، فيقنشو يتقدم وبقى ماشي على ديار المساليت بقوة عسكرية فيها 582 جندي مشاة و129 فارس والمسافة ما كبيرة لكن الدنيا خريف والسفر بيكون صعب.

واصل عبد الواحد وقال: الكلام دا في نص الخريف وإتقدم على حلة كريدنق في يوم 4 / 1 / 1910م، وكان برسل الاستطلاع، والرسل لي ناس الحلال والقرى، ويوريهم بي جيتو في ناس حلال بيقيفو وبسلمو، وناس حلال ما يبسلموا كلو كلو قاموا جارين ووصل الخبر لي السلطان تاج الدين الي بقي مستعد استعداد كويس.

كريدنق دي وين؟ سأل عبد البين الحاج عبد الواحد.

قال عبد الواحد بعد جرانفسو واتكأ: وكردنق دي شجرة جميزة كبيرة جنوب وادي كجا وفيها وقعت المعركة الأولى بين الفرنسيين والسلطان تاج الدين سلطان المساليت.

عبد البين: البعرفو إنو المساليت خاضوا معركة واحدة بس هي معركة داروتي.

عبد الواحد كلامك: صااح كل الناس مفتكروها معركة واحدة، وبعض الناس يقولوا معركتين وناس يقولوا كردينق مناوشات، المهم إنو كردينق معركة أخذت زمنها واسمها، ودي من المنسي في تاريخ السودان، ووقع فيها موت من الطرفين، وأخذت ضحوة كامله كيف نساها.

(5)

واصل عبد الواحد، وهو بيراجع في ذاكرتو، ويتكلم عن السلطان تاج الدين، وقال بي فخر وشجاعة: تاج الدين الله يرحمو ماكان راجل دنيا، والملك في نظرو أمانة، عشان كدا ما كان خايف زي السلاطين التانيين اللي كانوا يفكروا في ملكهم كلهم كانوا بيختلفوا من تاج الدين اللي ما كان يفكر أنو الحكم في أولادو، ولا ما يفقدوا هو عشان كدا نحنقدم شخصية مميزة في تاريخنا السياسي والاجتماعي.

حاج الماحي: أها وعمل شنو الشغلة ما كتمت؟

عبد الواحد: قبل يوم من المعركة استدعي السلطان تاج الدين ولد أخوه الأمير محمد بحر الدين المسلاقي وعينو ولي عهد لسلطنة المساليت.

وقال ليهو السلطان تاج الدين: دي أمانة أبواتك وأنا بقيت زول آخرة.

محمد بحر الدين: منصور يا سلطان منصور ربنا ينصرك ويقدرنا وراك إن شاء الله من العائدين بإذن الله.

وقام السلطان تاج الدين بي جيشوالي خلاهو أربعة قطاعات، وكانت فكرة حربو واضحة في رأسو، وما كان متردد ولا ما عارف يعمل شنو، السلطان تاج الدين ورا كل قائد من قطاعات الجيش الأربعة، يعمل شنو، ويحارب من ياتو اتجاهه، وكان من أبرز القادة الشرتاي محمد بقو والشرتاي حسن أركو فرشة.

واستشهد عدد من فرسان المساليت كبير، لكن أثبتوا صحي فراسة السوداني، وعدم خوفو من البنادق وكرروا ملحمة كرري، لكن هنا المساليت انتصروا على عدوهم من الكفار والمحتلين.

(6)

وكانت قوات الكابتن الفرنسي فغنشو ترابط في المنطقة الغربية لسلطنة المساليت في الحدود مع سلطنة وداي ووقعت مناوشات بين الطرفين، ودي أول معركة بين الفرنسيين والمساليت في كريدنق والمعركة الرئيسة وقعت في قرية داروتي ودي من المعارك الكبيرة في غرب السودان الإنجليزي.

السلطان تاج الدين قال لي مجلس الشورى بتاعو: أنا ما بحاور كافر، والي ما عايز يحارب الكفر أو ما قادر يمشي أنا عفيت ليو.

رد القادة والأعيان المعاوي ثبات وقوة عجيبة نحن ما الرجال البنفوت سيدنا نحن معاك لي آخر راجل طالما أنك بتخاف فينا الله سبحانه وتعالى.

رد عليهم السلطان تاج الدين: أبشروا أبشروا فرسان الدين الله أكبر منصورين.

هلل وكبر كل الحضور ودي كانت آخر شورة للسلطان تاج الدين.

وبدا يستعرض معاهم خطتو في الهجوم على القوات الفرنسية الغازية ووضعوا فكرتهم.

لكن مراسيل الفرنسيين للسلطان غيرت الخطة.

الكابتن فيقشنو كان بيفتكر أنو مناوشات كريدنق ما حرب لكن تفلتات، وأنو لو استدعى السلطان تاج الدين واعتقلو بحسم الفوضى.

فجاء رسول من الوادي اللي تابعين للسلطان أصيل شايل رسالة للسلطان تاج الدين من الكابتن فيقششو الفرنسي.

الرسول بتاع الفرنسيين قال: القائد الكابتن فيقششو طلب حضور السلطان تاج الدين إليه فوراً.

رجال تاج الدين: وصلته الرسالة شكر أراجع قول ليهو بنرد عليك.

عبد الواحد قال: رجال المساليت بلغوا السلطان اللي رد عليهم بأنو حايمش للفرنسي الكافر، وما خايف منو، وما بتلبد مهما كانت النتيجة.

رجال المساليت حاولوا يهدوا السلطان وقالوا الحرب خدعة، والكافر عايز يكتلك، ودا زول غدار وما عندو عهد ولا ذمة.

السلطان تاج ادين: وكت طلبني طلب موتو عليا لحرام أكتلو، ويععرف براهو منو السلطان تاج الدين.

(7)

قبل المعركة رسل السلطان رجالو عشان يستطلعوا المنطقة ويعرفوا المداخل والمخارج ونقاط المراقبة بتاعت الجيش الفرنسي ويجيبو تقرير كامل.

وبدت المراسلات بين الطرفين طلب القائد الفرنسي من السلطان تاج الدين أنو يجي ويسلم ويخضع ليهو.

عبد الواحد قال: في الوكت داك قام السلطان تاج الدين وزع رجالو في أطراف حلة داروتي وفوق الشجر والمرتفعات، وحاصر بيها الفرنسيين من ثلاثة اتجاهات، وكان المساليت بيتحركوا بي هدوء وخفة ما ظهر ليهم أثر مريب الليل كلو حركووا رجالم.

حاج الماحي: ديل مصاليط ما مساليت وضحكوا، رجال حرابة وأنصار مهدي ما هينين.

عبد البين قال: قوم فكنا من القصص دي نحن بنتطور متين؟

عبد الواحد: يا جماعة استهدوا بالله دا تاريخ وواصل في قصتو.

فقنشوا لحظ الصباح إنو في ناس في الجبال والشجر حول معسكرو، وسأل الضباط المعاو عنهنالناس ديل منو؟ والجابم شنو؟

ردو ليو: ديل رجالا لسلطان تاج الدين وقالوا ليو السلطان جايبك زي ما طلبت ديل ناس الضيافة والواجب.

أهااا قول ياسيد اللمتي ليك ظهر قدام جميزة كريدنق مجموعة من الخيول فيها فرسان شايدين رايات ومعاهم حرس.

قام فقنشو قال ياتو فيهم السلطان بحر الدين؟ وليه ما جا؟

رد عليو واحد من الفرسان: السلطان تاج الدين راجل كبير ونحن جينا ممثلين ليهو.

فقنشو القائد الفرنسي غضب وطنظن ورطن.

قام فرسان المساليت سألو المترجم: الخواجة قال شنو؟ المترجم بقى يتمتم.

قام واحد من نص الفرسان وقال: أنا السلطان تاج الدين عايز شنو؟

القائد الفرنسي فقنشو مدّ يدهو عشان يصافحو وعايز إتكلّم،

لكن تاج الدين قال ليو: أنا ما بصافح كافر ولا بصالح كافر وأنا ما تابع ليك.

قام الفرنسي جرّ بندقيتو وضرب طلقة في اتجاه السلطان، لكن الطلقة جلت السلطان. فقام السلطان سلّ سيفو وتلب من الحصان وطعن القائد الفرنسي.

الكلام دا في زمن وجيز ووقع السلطان والقائد الفرنسي في البير، وفي البير السلطان كتل فقتشو واتكسرت الترقوة بتاعت السلطان بي سبب طلقة تانية ضربا القائد الفرنسي في البير، وكانت الطلقة الأولى اللي ضربا فقتشو وجلت السلطان بداية لي معركة داروتي في أبريل 1910م.

بدأ رجال المساليت في ضرب النار من كل اتجاه والفرنسيين يردو عليهم وكانت معركة مسخنة انهزم فيها الفرنسيين لأنو قائدهم مات من أول وهلة. واستشهد عدد كبير من رجال المساليت وغنموا مجموعة كبيرة من الأسلحة والغنائم.

وبعد هروب وانسحاب الفرنسيين شال الفرسان السلطان تاج الدين وهو مكسور الترقوة من جوة البير لحددي عاصمتو ورسلاوا السلاح اللي غنموه للسلطان عليدينار في الفاشر.

وعليدينار كتب للإنجليز في الخرطوم: (إن عبيدي قد نجحوا في وقف وهزم الفرنسيين).

الكلام دا خلى الحكومة الفرنسية تراجع حساباتنا وخلي الإنجليز إتوصلوا لي اتفاق مع الفرنسيين حول حدود السودان الغربية.

عبد البين سأل عبد الواحد: إنت يا حاج عبد الواحد أشهر الناس الاستشهدوا من المساليت منو؟

عبد الواحد قال: من أشهر رجال المساليت الاستشهدوا أبو إسحاق ولد السلطان أبكر وأمين عبد الله كشوكه والأرباب بندا ومحمد نيدم وفرشة منجري وباسي كدنشة وعبد الفراج شيخاي وإبراهيم ود أبو من تاما منطقة كباكية ويحيى أبو أضان من اللأرنقة وأحمد ود أبو وأخوه إبراهيم ود أبو.

عبد البين: والجرحى منو؟

رد عبد الواحد: إنجرح في المعركة السلطان تاج الدين إنكسرت الترقوه
بتاعتو وأبو كجام.

حاج الماحي قال: إنتو السلطان دا ما كان عندو غناء قبل المعركة؟

رد عبد الواحد: كييسيف ما عندو، أغانيو كثيرة ومشهورة لكن الناس نسوها.

نط الماحي، وقال ليو: عليك الله قول لينا منها واحدة.

عبد الواحد قال: كان السلطان بغني بي فخر واعتزاز: أنا تاج الدين

سيفي طرين

جوادي بدين

نجاهد الكفار نمن المهدي يبين

وواصل عبد الواحد: أزيدك كمان غنن نساوين المساليت وقالن خلي حجر

داروتي

كلو عيال قرنجنق بقويتامي

الكفار بقوزي الأبقار

الصبيان كتلم أبو طيرة

وكمان رثاه الشاعر الفيتوري في ملحمة مقتل السلطان تاج الدين وقال:

في الأفق الغربي سحاب أحمر لم يمطر

والشمس هناك مسجونة

تتنزي شوق منذ سنين

والريح تدور كطاحونة

حول خيامك يا تاج الدين

عبد البين قال: الراجل دا فارس وما زول دنيا دافع عن بلادو لكن في النهاية
السودان كلو بقى تحت الاحتلال.

عبد الواحد: أي زول بعيش زمنو وييتعامل بي أخلاقو وعاداتو وقيمو
والسلطان الله يرحمو كان خير مثال للسوداني البنغني ليهو زمننا قريب ماهو بعيد

المدافع تزار تزيد

السوداني الموت عندو عيد

حاج الماحي قال: عليالطلاق لو بغنوها كدا كان الإنجليز لي هسي قاعدين.

وقعدوا كلهم يضحكوا.

أميرة فونجاوية في بلاط قلبي
شيلة أم عجائب

أميرة فونجاوية في بلاط تقلي

شيلة أم عجائب

عبد الواحد قال يا أصحابي الليلة عايز أحكي ليكم عن ملوك تقلي الإسلامية، ديواحدة من إشراقات السودان القديم والحديث وفيها تاريخ حافل بالاندماج بين المكون السوداني الزنجي والعربي، وفي النهاية طلعا لينا مملكة تركت أثر طيب في تاريخنا السوداني ومليانة بي معاني الفضيلة والاجتهاد في نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف، دي مملكة تقلي الإسلامية المعروفة لينا كلنا.

عبد البين: والله يا عبد الواحد كلامك الليلة زين أنا قبال فترة براي قلت تاريخ تقلي الإسلامية لازم نديهو هبشة ونراجعو لأنو من المنسي، برضو دا مفروض يكون من المحكي للأجيال.

حاج الماحي: تاريخ تقلي معروف، وهي مملكة قديمة وضاربة في القدم وجات المهديّة، وهي المنحت المهديّة القوة والمنعة لمن تحصنوا بيها أنصار المهدي بعد معركة الجزيرة أبا سنة 1881م في النيل الأبيض.

عبد البين: عايز تقول المهديّة الظهرت تقلي ولا تقلي الظهرت المهديّة يا درويش.

عبد الواحد ضحك وقال: والله دا غلاط الأول الجداة ولا البيضة ودا جدل بيزنطيوما فيهو إلا ريحة كل واحد متعصب لي فكرتو، الأنصاري والمعادي المهديّة، الخلاف حاجة كويسة، لكن لازم يكون عندنا فهم كيف ندير خلافاتنا دي وكيف نتحاور، ودي ناقصانا يا ناس.

حاج الماحي: ماعلينا وأحكي لينا لوقعدنا حانتغالط لي باكر يا أستاذ.

(2)

قال عبد الواحد: تحديداً قصة المك جيلي أبوزنتير ودا واحد من مكوك تقلي اللي خالف نهج أبواتو، وبقي طاغية، وفي النهاية أطاحو بيهو كحاكم لي مملكة تقلي الإسلامية اللي كانت منارة من منارات المعرفة في بلدنا دي.

واصل وقال: واحدة من الروايات الشفاهية والمهمة في تاريخ مملكة تقلي الإسلامية بتقول إنو في سنة 1530م وصل لي مناطق جبال تقلي شيخ سائح من أهلنا الجعليين وعجبو المنطقة، واستاذن أهلها، وقعد معاهم، واتزوج منهم، وخالطهم، والشيخ دا اسمو محمد الجعلي ودا جد ملوك تقلي الجعليين العباسيين المعروفين.

عبد البين: يعني الشيخ محمد الجعلي جاء البلد ديك مع قيام دولة الفونج في سنار ودولة الفور في إقليم دارفور.

عبد الواحد: أيوة جاء تحديداً مع ظهور السلطنات السودانية، وقعد مع النبوة، واتزوج منهم وعمل خلوة ومسجد وبقي داعية للإسلام، ودخل على يدو ناس كتار لدين الله، وجاب منهم الأولاد والبنات اللي بقو مكوك تقلي.

حاج الماحي: ما شاء الله، مافي معلومات عنو أكثر يا عبد الواحد؟

عبد الواحد: كل المعلومات المتاحة عنو أنو جاء سائح زيو وزبي الفقراء ورجال الدين في الوكت داك، كان الواحد لمن يحفظ القرآن ويدي بيقراً الفقه والميراث، ويتعلم بعداك بيدوهو الإذن، يمش بعيد ينشر الدين، ويفتح محلو يعلم الناس أمور دينهم وحياتهم برضو.

عبد البين: طيب يا حاج عبد الواحد شيخنا محمد الجعلي جاء كيف بي حقو يعني سايق بهايمو وشايل مالو ولا كيف؟

عبد الواحد ضحك، وقال: والله إنك عجيب الراجل ما زول دنيا ولا باشادا
تاكل أمرو على الله، وهو في حالة سياحة، هو فقير لي سيدو اللهو يحمدو، وفهم
الفقراء للغني أنك أكلت في بطنك، وما لبستو وستر جسمك وما مديتولي
آخرتك.

حاج الماحي: الله حي والدايم الله ديل ما بتهبشو.

عبد الواحد: الشيخ محمد الجعلي جاء معاهو حوارو اسمو أبو حايمة،
ودا برضو ما هين ولا فيهو الكلمة دي، كان حوارو وتلميذ بيتعلم الحكم من
الشيخ بتاعو وخادمو وملازمو وحرصو، وهو برضو من الصلاح اللي ليهم
دراية وارتضوا المهانة عشان يعلموا نفوسهم إنو الدنيا حقيرة ذليلة، وحق
العبادة يتطلب محو التكبر والعجب والغيرة وكل أمراض القلب، ياهم ديل
رجال الآخرة.

واصل عبد الواحد وقال: الشيخ محمد الجعلي وحوارو نزلو في نص جبال
تقلي، وهم ما ناس دنيا ولا كانت همهم ولا غاية تطلعهم، وبالتالي هي أحسن،
خشو في الناس وعاشروهم وجوهم، وبقت بينهم محبة وإلفة، ولقوا عندهم
الكلام الطيب ومرات كثيرة العلاج والهداية ومنهم اتعلموا القرآن والسنة
وأمر عبادتهم.

عبد الواحد قال: لمن جاء الشيخ محمد الجعلي وحوارو الشيخ أبو حايمة
لي منطقة تقلي كانت الحلال فيها بالعدد وناسها بي بالعدد ذاتهم، وكانت أبرز
وأشهر الحلال في الوكت داك حلة الهوي وكراية، وديل لي هسي قاعدات جيب
العباسية تقلي.

عبد البين: وطبعاً الشيوخ الجعليين بقو الأئمة وأتراو جومع التقلويين
وولدو، وأولادهم بقو الأئمة والمكوك، وأخواهم الجلاويين قبلوا بيهم، لأنهم
شايلين دمهم ودم الغرباء، وشكلوا جيل جديد أكيد هو البيحكم ويسود.

عبد الواحد: برافو عليك لأنو القبائل الإفريقية قبائل أموية يعني بتعتبر رابطة الدم بالأم أقوى من أي رابطة ثانية، عشان كدا زي ما قلنا زمان دي بلاد الخال السودان كلها ود البت هو البحبو أكثر ودي جاية من جذورنا الأفريقية. حاج الماحي: غايتمو مرات عبد البين بيجدع حاجات حلوة، وأنا أقول مالك تاكلين بيك الباب؟ وضحكوا كلهم بمرح.

(3)

قال عبد الواحد: لمن جا الشيخ محمد الجعلي وتلميذو الشيخ أبو حايمه لي جبال تقلي لقوا فيها نظام اجتماعي قبلي سائد في الزمن داك، ومؤكد في زعيم هو السماح ليهم بالإقامة، ويكون أدهم الواطة عشان بينوا جامعهم وخلوتهم وواطة يزرعوها يعيشوا منها ويكونوا حتة للدعوة بتاعتهم، ومؤكد أنو كان زعيم التقلاويين يراقب أعمال الشيوخ ديل من بعيد لحدي ما اطمأن ليهم ناس كويسين.

عبد البين: كلام منطقي بيكون فعلا بعين ليهم لحدي ما أعجب بي أعمالهم كلها وكلم المواطنين، وقال ليهم ديل ناس آخرة، وما منهم خوف، ولا بييجيو عوجة.

عبد الواحد قال: تزوج الشيخ محمد الجعلي من بت زعيم التقلاويين اللي كان اسمو كابر كابر، وبعد فترة قصيرة جاب منها ولد سماهو أبو جريد، والولد دا علموا أبو هو وحوارو مبادئ اللغة العربية والدين الإسلاميو كبر في بيت علم ومعرفة.

كان محبوب إتعلم مع أقرانو من الشباب الصيد وفنون القتال وأي حاجه بيتعلمها الشباب في الوكت داكوبرضوا إتعلم وأتقنلغة أهل أمه ومعارف أبو هو الشيخ وحوارو، فكان أبو جريد جسراً بين عالمين زاد من رباطه وكان قويا وعندو جريدة واحدة في يدو.

قال عبد الواحد: في الوقت داك كان الإسلام قد تسرب في كثير من مناطق جبال النوبة ومنطقة تقلي بفضل همة الشيخ الوافد وحواروبين قبائل التكم والترجوك والكيجاكجية والتقوي، الكيجاكجية كانوا السواد الغالب من السكان الأفارقة في تقلي.

عبد الواحد البعروفو أنو الإسلام انتشر من زمن في المناطق دي يا حاج عبد الواحد؟

عبد الواحد: أيوة وكان في ناس سواح بينشرو الدين الإسلامي في الوقت داك. وواصل عبد الواحد وقال: بعد وفاة كابرزعيم الجبلانيين في تقلي، وهو جد أبو جريد ود الشيخ محمد الجعلي، كان لابد من تعيين وريث بعدو، فاجتمع الأعيان بتاعين تقلي واتفقوا على تعيين أبو جريد مك لي مملكة جبال تقلي، فبقى سلطان عليهم. كان أبو جريد محبوب من الأهالي، ومتعلم ومتدين وعندو شعبية، فلقب بجيلي كنوع من التعظيم والاحترام والتقدير.

فهو حفيد الزعيم الروحي والسلطان القديمكابر كابر وابن الشيخ محمد الجعلي الذي أسهم في نشر الدين الإسلامي في جبال النوبة، لذلك وجد نوع من القبول مكنو من تأسيس سلطنة إسلامية في جبال النوبة.

(4)

حاول بعض المؤرخين تفكيك اسم جيلي، فرجعوهو لي الكلمات العامية (جاء لية) وجمعوها، فكانت جيلي اسم تميزت بيهو مملكة تقلي الإسلامية.

يعيش في تقلي أهل الأرض النوبة ومعاهم الكنانة والبنبي هلبة والفور والمساليت والفلاتة وأولاد حميد والهوساوالبرقو ومجموعة قبائل الحوازمة، وحدث تصاهر عجيب بينهم، فكانوا كلهم أهل وأسياد رأي تحت لواء مملكة تقلي الإسلامية.

عبد الواحد قال: المرويات الشفاهية عن أول تواصل بين أهل تقلي والعالم قديمة وكثيرة، لكن المشهور والمنشور منها أشارت الباحثة في تاريخ السودان السيدة جانيت جي إيوالدي أنوفي رواية إسطورية بتقول إن الكونياب، وهم عرب ومسلمين من الفونج كانوا يصطادوا جنب جبل تقلي، فطاردوا تيتل، فدخلوا معا ولي جبل لابوجاب في نص جبل تقلي كانوا ناس عراة غير مسلمين، وتواصلوا الصيادين مع زعيمهم اللبأعجب بيهم، وكان الكونياب يسكنوا في منطقة أم دوم، فدخل الكونياب بالتأثير والقدوة الحسنة في الإسلام، ومن لابوجاب خير والدة الشيخ إسماعيل صاحب الربابة، ويطلق على لابوجاب أيضاً اسم السقارنج برضو. وبعدها بمرحلة وصل ليهم الشيخ محمد الجعلي إلى جبل تقلي ودالي نشر الإسلام في الجهات ديك كلها.

استمر حكم الملك جيلي أبو جريد من ما بعد العام 1630م في أحفاد ولي ظهور الثورة المهديّة في العام 1884-1881م كان الملك آدم أم دبالو اللي ناصر المهديّة، وهي ضعيفة، وقدم ليها الدعم المعنوي والمادي والحماية، وقد حكم هذه المملكة الإسلاميّة تسع عشر ملك أو ملك.

استمر حكم جيلي أبو جريد من العام 1560م وأسس خلوة ومسجد وحكم إلى أن توفاه الله، وودفن في حلة الهوي في بيتو اللي بقى مقابر المكوك والأكابر في مملكة تقلي الإسلاميّة.

وخلف الملك أبو جريد ابنة صابو وقام الملك صابو بنقل العاصمة من حلة الهوي إلى حلة تعودم والي بقت مدينة مهمة ومركز إسلامي كبير ومهم، وكان يساعد الملك صابو أولاده جيلي عمارة وجيلي أبوشهيرة وحفيدو جيلي عون الله ود الملك جيلي عمارة ود الملك أبو جريد ود الشيخ محمد الجعلي وديل حكموا على التوالي، وكلهم دفنهم في حوش أبو جريد في حلة الهوي.

قال عبد الواحد مواصل كلامو: نظام الحكم في مملكة تقلي الإسلاميّة، كان وراثي يتوارث أحفاد الملك أبو الجريد الحكم، وللمك معاونين مهمين هم

الجندي والسكرائي، ويكونوا من أقارب الملك والجندي هو المسؤول عن الجزء الجنوبي من المكوكية والسكرائي هو المسؤول عن الجزء الشمالي من المكوكية، لكن منصب الجندي هو دائماً المقرب والأهم لي مكوك تقلي، وهو صاحب شورة الملك.

(5)

قال عبد الواحد: بعد وفاة الملك جيلي عون الله اتولى المكوكية ولدو الملك جيلي أبوقرون، ودا قالوا حكم من سنة 1640 لي سنة 1665م، وفي زمنو نشأ تعاون بين مملكة سنار ومملكة تقلي.

عبد البين: والسبب بتاع التعاون دا شنو؟

عبد الواحد: عشان كانت تهديدات سلطنة دارفور كبيرة في الوكت داك. وقام الملك جيلي أبوقرون عرس بت السلطان رباط ودبادي، وكانت اسمها شيلة أم عجايبورحلها لي تقلي، ومعاها الحاشية بتاعتها، واستقرت في منطقة حوش بلولة.

واصل وقال عبد الواحد: لكن العلاقة الحلوة انتهت بي معارك بين الفونج وتقلي واضطر التقلاويين لي دفع الجزية لي ملوك سنار.

عبد البين: كلامك يلخبط علاقات كويسة وتاني كمان حراية السبب شنو يا حاج عبد الواحد؟

عبد الواحد: ودا بعد ما كان في تاجر من سنار جاء ديار الملك أبوقرون مك مملكة تقلي، وكان صاحب السلطان بادى بتاع سنار، وقاموا كدا رجال الملك أبوقرون نهبوا التاجر وكمان اتحدوا الملك بادى ملك سنار.

واصل عبد الواحد وقال: سير الملك بادى جيش لي حرب مملكة تقلي، ودورت حرب بينهم لمدة سنة كانوا بيتحاربوا بي النهار وبي الليل بياخدوا راحة، وكان

المك جيلي أبو قرون يقوم يرسل لي جيش الفونج العشاء والموية ويكرمهم كرم شديد، والصبح يقوموا يتداوسوا ويتحاربوا في السهلة، ولمن عرف الملك باد بي الكلام دا خجل، وقال ديل ناس ما بتحاربوا أصلو، ورجعت العلاقات بينهم طيبة للغاية.

وكمآن الأميرة أم عجائب الفونجاوية كان عندها ولدين محمد وعمر من المك جيلي أبو قرون وساهمت في تطبيع العلاقة بين المملكتين، وبقي ولدا المك محمد مك ثقلي، ودا كان من أفضل من حكم ثقلي الإسلامية. وبنى المك محمد عاصمة مملكة ثقلي الإسلامية في منطقة تاسي، وعمل في كل حلة من حلال مملكة ثقلي جامع وخلوة لي تعليم القرآن، وزار مملكة ثقلي في عهدو العلماء وشيوخ الطرق الصوفية، منهم الشيخ حسن ود حسونة والشيخ تاج الدين البهاري، وبقت علاقات العلماء بي ثقلي والأسرة الحاكمة فيها حلوة للغاية، ودا الأداها شهرتها في العالم الإسلامي.

(6)

قال عبد الواحد: بعد وفاة المك محمد ود المك جيلي أبو قرون تولى المكوكية أخوهو الصغير المك عمر أبو زنتير، ودا كان طاغية وصعب، ما زي أخوهو، ولا أهلو المكوك القدام.

حاج الماحي: نان كيفن الكلام دا يا عبد الواحد؟

عبد الواحد: كان المك أبو زنتير صعب، الناس كرهتو وحتى أمو الأميرة شيلة أم عجائب الفونجاوية، وكترت الشكاوي منو وسيرتو بقت بطالة.

عبد البين: أهأاا والحصل شنو؟ والله قصة لكن.

عبد الواحد: كان لابد من التخلص منو، فقامت أمو الأميرة أم عجائب ختت السكين في نص الأكل بتاعو، فلمن قعد وبدأ يأكل ظهرت السكين في نص ماعون أكلو، فغضب غضب شديد واعتبر دي مؤامرة وإهانة ليهو.

واصل عبد الواحد وقال: طوالي اعتقل الملك أبو زنتير حاشيتو الي في بلاطو، وكتل فيهم 25 راجل، وبدت القلاقل في مملكة تقلي، واستمرت لمن بقت ثورة شعبية ضد الملك أبو زنتير، والمرويات الشفاهية بتقول إنو قامت عليهو ثورة في قصر و أول بي التبادي، واضطري إنو يهرب من عاصمتو ويكاتل البعارضوهو.

عبد البين: أها والمك ما عرف الدبر الكلام دا دي أمو عجوبة الخربت سوبا؟

عبد الواحد: طبعاً ما عرف أنو الكلام دا عملتو أمو وطلع وبقي بيراسلا بي السر.

واصل عبد الواحد وقال: بعدها تولى ود أخوهو المكوكية واسمو إسماعيل جيلي، ودا كان صغير، لكن الناس حبوهو خالص، لأنو متواضع.

(7)

قال عبد الواحد: من دهاء المرادي حنكتها كانت ما عايزاهو يموت، ويكتلو، لأنو ولدا، وفي نفس الوكت تتخلص منو ما يضيع ملك أهلو، فقامت احتالت عليهو.

حاج الماحي: والله يها عجوبة المنسية الي ما سمعنا بيها ذاتها.

قال عبد الواحد: في الوكت داك المك أبو زنتير بيحارب في رجال المك إسماعيل الجديد، فرسلت ليهو أمو إنو يمشي لي سنار، ويستعين بي الملك بتاعها الي اتولى الحكم فيها أخوهاخال المك أبو زنتير مك مملكة تقلي المخلوع.

عبد البين: كيفن الكلام دا ترسلو يتقوى بي أخوها ضد ولد ولدا الي عيتتو مك؟ ياخ دي لخبطت كل الدنيا.

عبد الواحد: أصبر يا عبد البين وأسمع باقي المؤامرة كويس. وفي نفس الوكت رسلت لي سلطان سنار أخوها بادي الأحمر، في الوكت داك أنو

يمسكالمك عمر أبو زنتير، وما يخليهو يجي لي تقلي راجع تاني، واستراح الناس
من شرو كدا.

حاج الماحي: المرادي مكاراة وضحكوا كلهم.

(8)

ولمن وصل المك أبو زنتير لي سنار لقي الملك بادي الأحمر عندو تمرد قاجي
وعامل زيطة وزمبيلطة في أطراف مملكتو. وكل ما يرسل ليهو جيش يرجع ما
بحسم التمرد دا.

فقام الملك بادي الأحمر قال: ماف غير ود أختي المك عمر أبو زنتير أشغلو
بي التمرد دا، إن كتلو هو ارتحنا منو وإذا انتصر يا داب اتعذبنا.

قال عبد الواحد: ولقى أنو المك أبو زنتير أحسن زول ممكن يقود
جيشو، فرسلو للتمرد عشان ينجز المهمة.

قال الملك بادي الأحمر للمك أبو زنتير: قومأحسم التمرد وبعدها
بساعدكوبرجع ليك ملكك في تقلي.

فوافق المك أبو زنتير على المهمة، وسافر بي جيش الفونج، وانهمك في حرب
طويلة في النهاية انتصر وحسم فوضي التمرد.

وجاء راجع لي سنار وقال مخاطب الملك بادي الأحمر: سيدي أنا أوفيت
بو عدي وأطلب منكم إنو توفي بي وعدك يا ملك سنار وحمي الديار.

لكن الملك الأحمر قال لي أبو زنتير: أنا عند وعدي أمش لي مملكتك والدعم
وراك جيوش جرارة.

المك أبو زنتير: حاضر يا مولاي الملك بادي الأحمر.

(9)

قبال ما يمرق من سنار الملك بادي جهز جيوش قوية، وقال ديل يرجعو الملك عمر لي حكمو في تقلي، وعين قوة فيها حراسة عشان توصلو سالم. وطوالي الملك الأحمر قال لي الوفد المرافق لي الملك أبو زنتير: غرقوا المركب في نص بحر أبيض. وفعلا غرقوها وغرق الملك أبو زنتير في الدميرة.

عبد الواحد: وعاشت تقلي الإسلامية كمملكة خالدة عرفت معاني التسامح والإخاء لحدي ما جات المهديّة، وكانوا وقود ليها، وإن كان في ناس عارضوا المهديّة وضربتهم، وانتهى حكم الأشراف العباسيين في مملكة تقلي، لكن لا يزال أسلافهم هم المكوك وأهل الشورى والحل والربط في الجبال الشرقية من جبال النوبة ولا تزال الخلاوي شاهدة على عظمة إنسان تلك المنطقة.



راجل أبو حراز
الشيخ موسى الأزرق

راجل أبو حراز الشيخ موسى الأزرق

(1)

قال عبد الواحد: عايز أحكي ليكم عن قصة الشيخ أبو حراز، وهو اسمو بالكامل الشيخ موسى الأزرق، ودا من الأعلام في بلدنا، وصاحب سيرة ورجل عالم وفقيه مشهور الناس بيعرفو أسامي الحلال المنسوبة ليهو، لكن تفاصيل قصتو من المنسي من تاريخنا السوداني.

حاج الماحي: طيب أحكي عنو وكلمنا.

قال عبد الواحد البحكي ليكم دامن تاريخ آل أبو حراز ودا كتاب غير منشور عنوانه: «راجل أبي حراز.. أصوله وفروعه»، كتبو حفيدو المرحوم محمد البكري السيد أحمد الشهير بـ «محمد العالم».

واصل وقال عبد الواحد: أول بي التبادي الراجل من السواح والصلاح، وكانت أول خلوة ليهو في الجزيرة تنقسي في الشمالية، وكانت عندو فيها أرض واسعة، بنى مسجد وخلوة.

واصل وقال: وخلوة الشيخ موسى الأزرق كانت أول خلوة اشتغلت على تعليم القرآن بطريقة الخلوة المعروفة لي يوم الليلة في الجهات ديك.

عبد البين: ماشاء الله ديل أهل التبروقة ما ليهم في الدنيا إلا عمل الخير، الليلة موضوعنا دا مهم ومختلف وما فيهو خلاف كلنا بنحب أهل الله.

عبد الواحد قال: واشتهرت خلوتو وبقيالناس من كل اتجاه بيجوالي حلة الشيخ ودرس على يدو وفي خلاويهو ناس كتار منهم من عرف بالصلاح وفتحوا خلاوي كثيرة في مناطقهم، وبيعود الفضل للشيخ موسى الأزرق في تعليمهم ونشرو نار القرآنالي استمرت أكثر من تلتمية سنة، يعني لحدي ما جات المهديية في السودان.

حاج الماحي: والخلفو منوفي سجاتتو؟

وبعد وفاتو الله يرحمو ويحسن ليهو مسك السجادة وعمارة بيت الشيخ من بعدو أولادو وأحفادو وهم على الترتيب: الشيخ محمد أبو عباية، ثم الشيخ مكّي الكبير، ثم الشيخ محمد، ثم الشيخ أحمد ثم الشيخ محمد ثم الشيخ أحمد والد الحاج محمد ثم السيد أحمد، وتوفي لي رحمة مولاه السيد أحمد بقرية تلباخة التابعة لمركز الحاج عبداللهبي بحر أزرق في الزمن داك.

واصل عبد الواحد وقال: في فترة حكم الإنجليز واستقرار البلد وبقي القانون هو الحاكم، الحياة اتعقدت شوية واتغيرت كل حاجة، وبقي رب الأسرة مسؤول عن أسرته ونعرات القبيلة خفت، وحلت القوانين وجهات الاختصاص الرسمية محل العرف والتقاليد في تسيير الحياة العامة، عشان كدا تماسك الأسر المحافظة أدخلو رخوة والحياة فرقت الأسر.

حاج الماحي: المعنى جابت ليها مدنية يعني وضحكوا كلهم.

(2)

عبد البين: دا تطور الحياة فعلاً، زمان بيكون الراجل المسؤول من الأسرة يمسك أولادو وأولاد أخوانو وأخواتو وقرابيو هو المسؤول عنهم يرجعوا ليهو

كلهم في أي مشكلة، النظام دا بناسب زمان، لكن هسع ما عملي واتجاوزنا هو كسودانيين.

حاج الماحي: هسي الكلام دا لوبقى ببقى نوع من العطالة، من زمان لة كلنا بنشتغل كان أوضاعنا أحسن، يشتغل زول واحد ويصرف على كل الناس لحدي ما يموت بالهموم ويمرض، دي عطالة، أخير نشتغل كلنا ونتشايل أحسن لينا ولي البلد.

عبد البين: والله بتحب الغلاط.. ياخ كلامك صاح خلينا نشوف قصة راجل أبو حراز دا.

عبد الواحد قال: عشان كدا لما اهتز نظام الخلافة في كل البيوت الدينية المحافظة في السودان وفي بيوت اتفرقت عديل، لكن أولاد الشيخ قعدوا في الواطة وانتبهوا لي القصة دي، ولمن اجتمعوا أولاد السيد أحمد قرروا في من مرق عليهم وعلى خلافتهم من قرايهم، اتفقوا على أنو يكون أخوهم الكبير الشيخ مكى خليفته من دون نزاع ولا خلاف داخل الأسرة.

(3)

في جنوبي الأبيض وعلى بعد عدة أميال يقع وادي خصيب اسمو أب حراز سكنت بجواره قبائل البديرية، عشان فيهو المرعى الطيب والموية السمحة الوفيرة، وقامت قرى كثيرة جنب الوادي وشالت اسمو، وجات جماعة من المتصوفة الوافدين من ليبيا، وبقوا يعلموا القبائل ديك أمور دينهم وينشروا فيها طريقتهم «القادرية» لمن بقى عندهم نفوذ عليا لقبائل ديك وبقوا معروفين للكل.

قال عبد الواحد: ودا حلّ مدير كردفان يخاف منهم ويحتال عليهم عشان يضرهم، قام مدير الأبيض اتهمهم بالتمرد عليه وطردهم لي مديرية سنار،

وهناك استقبلهم مدير سنار وأكرمهم وسكنهم في قطعة أرض خصبة جمب مقرن الدندر بي بحر أزرق، قعدوا قعدوا فيها وطابت ليهم وسموها أبو حراز زي البلد الي هجروهم منها دون خاطرهم.

حاج الماحي: إن أبتك ديار فلله ألف ديار، شوف الصلاح بعمر وقلوب الناس قبال الأرض وبتبقى سيرتهم وبيفوت الي بعنادهم.

أها القبائل الي في منطقة أبو حراز بكرد فانا حتجت على خراب قريتهم وانطفأ نور القرآن في بلدهم، واهدمت الخلوة القرآن والمسجد، واستنكروا هذه التهجير فوعدهم المدير بأحيائها من جديد بأنو بجيب عالم من ناس دنقلا عشان يعيد نار العلم ويعيد للمناطق دي للحياة.

(4)

عبد الواحد قال: في وكت سابق في زمن الترية كان الشيخ الحاج محمد بطل قصتنا دي الي بنحكي فيها من السواح، وكان مارق في شأن الله، وفي واحدة من جولاتو في كردفان والناس بتتلم حولو.

قال عبد الواحد: وكان العالم داهو الشيخ الحاج محمد الذي كان في طريق سياحته ماراً بالأبيض، وسمع بما حل بتلك القرية، وقام بزيارتها هو، ومن معه من طلاب ومريدين واستدعاه المدير وكلفه بالمهمة الخطيرة دي إعادة الحياة لأبو حراز.

عبد البين: الشيخ وافق ولا لا لا؟

عبد الواحد: أيوة في فهم التصوف عمار القلوب أهم، فكونو يعمر قلوب أهالي البلد ديك، دا واجب العالم ما رفض العرض.

واصل عبد الواحد وقال: سرعان جاب ليهو عدد من مشايخ القرآن الكريم وفتح الخلاوى بكل قرية قرى أبو حراز، وبنى مسجد كبير وانتعشت

القرى والحلال وسرعان ما اجتمع عندو الناس من دنقلا وبارا وغيرا وبقت سوق كبير.

قال عبد الواحد: ظهر ورع الشيخ، وكثرت فعاله الطيبة ونفحاته حتى سموه بأبو حراز ولقبوه براجل أبحراز.
عبد البين: يمين الرجل معروف بي الصلاح.

(5)

عبد الواحد: وكان راجل أبو حراز دعاهم للشغل والإنتاج يعني دين وعملوراهم تركيب السواقي لأنو الموية كانت متوفرة في الوادي تحت سطح الأرض مباشرة، فكثرت الجنائن والبساتين.

واصل عبد الواحد: وتوسعت أبو حراز في عهده حتى عمّر ليهو حلة كاملة من الرقيق يقومون بالزراعة والحراسة، وما إلى ذلك، ووفد إليه الأهل من دنقلا وبارا بتجارتهم وحرفهم وسكنوا معاهو.

عبد البين: أيوة عشان كدا كترو الدناقلة والجوابرة والركابية في الجهات ديك.

عبد الواحد واصل، وقال: الشيخ أبو حراز كان ميال للسياحة في الأرض وتمليك معارفو للناس فبقى ليهو القعاد حار، وكان كثير النزوح متعلق بالحجاز واهتمامو بي أهلو هناك وبى عقاراتهم ومطالبهم، عشان كدا كان مقلق في أبو حراز.

عشان كدا ماكان دائم الإقامة في القرى الي جابو ليهها قدر ونسبوها ليهو، وكان هو راجل مزواج كثير الطلاق في كل قرية أو مدينة جاء فيها عرس فيها أو كان له بيت.

عبد البين: هلا هلا الرجل ما خواف ولا موحد زي صاحبي، وهو بغمز على اتجاه عبد الواحد وضحكوا كلهم.

واصل عبد الواحد وقال: ينسبون له بنات من تلك الزيجات انقطع أترن بعد المهديّة، وعندو الأولاد الرجال من أربع زوجات فقط، واحدة جعلية والثانية ركابية والثالثة من بارا والرابعة من الصوادة.

(6)

قال عبد الواحد: قام الشيخ أبو حراز بترحيل مرتو الجعلية وابنها السيد أحمد إلى هذه القرية وخلق بيتها اللي في شندي ملان بي الرقيق وأهلوه، وكان يقصد من ترحيل أسرته أنو يطمئن أهلوه اللي استقروا في حلة أبو حراز بي أنو حاريج اليهم مرة ثانية، وبقي يمشي ويجي لي أبو حراز، ثم توفيت زوجته المذكورة وخلت وراها ابنها السيد أحمد وثلاث بنات.

حاج الماحي: يعني الشيخ أبو حراز من السواح والاستقرار ما حقو ودا السبب البيخلي يكون كثير السفر والتجوال.

ثم تزوج بعائشة أم الشيخ وهي مصرية صاردية ثم ذهب لبارا وتزوج فيها بأم المكي، وله كما تقدم في دنقلا أخرى هي أم عبدالله وعبدالرحيم وطيبة وفاطمة، أما زوجاتوالي ولدن ليهو البنات في مناطق مختلفة انقطعت أخبارهن بسبب المهديّة.

عبد البين: المعنى الكلام دا كلو قبل المهديّة.

حاج الماحي: شيخنا دا من قبيل بيأذن في مالطا ما قال ليك قبال المهديّة، الكلام دا زمن حكم الترك الأعوج.

(7)

ومات مدير كردفان الذي عينه إمام لتلك القرى، وقد كانا لحكام يحترمونهم ولا سيما بعد ظهور كرامة له رد الله بها أموالاً كثيرة نهبت من خزانة المديرية بالأبيض.

قال عبد الواحد: في القصة منسوبة للشيخ بنقلها ليكم زي ما هي بتقول: أنوف حرامية مسلحين بالبنادق هجموا بالليل على خزانة المديرية، وكتلوا الحراس وشالوا منها ثلاثة أكياس كبيرة من جلد البقر مليانة بي الذهب الخالص قدر وهو بمئات الأرتال، واختفوا ومالقوا ليهم أي أثر.

حاج الماحي: أها والحصل شنو؟

عبد الواحد: جن جنون مدير كردفان واتهم أهل الأبيض وأنذرهم إن ماطلعوا ليهو الحرامية خلال ثلاثة يوم فيقوم يصادر أموالهم كلها ويرسلها لي الباشا في مصر، وتبرأ أهل الأبيض من هذه السرقة.

واصل عبد الواحد وقال: ناس الأبيض قالوا للمدير بنعرف راجل صالح في أبو حراز إمكن ربنا يستجيب لي دعاه، وكان المدير ذاتو وبيعتقد في الصالحين، طو اليرسل ليهو قوة، واهتم الشيخ بالموضوع.

لمن وقف الشيخ قدام المدير حكى ليهو المدير وطلب منو الفاتحة في استرداد أموال الحكومة المسروقة.

الشيخ أبو حراز قال: سوف نسأل الله أنا ومن معي من الفقراء.

وقال ليهو الشيخ أبو حراز: نحننا بنلتزم برد المال المفقود، ولكن لا نعتقد أن الله لا يستجيب لنا.

وقال له الشيخ أبو حراز: شرطنا ما تجمع أموال من أهل الأبيض ولا تفرض عليهم ضرائب، حتى نفرغ من سؤال الله بالطريقة التي نعرفها.

فقال المدير: عندك أسبوعين بس.

ورجع الشيخ لي أبو حراز، وابتهل هو والفقير المعاهولي الله بقروا من الأوراد معتكفين في المسجد ثلاثة يومصايمين وقايمين.

قال عبد الواحد: وربنا سبحانه تعالى استجاب ليهم، لأنوا الحرامية رجعوا بالليل وختوا الأكياس قدام الخزنة وهربوا وماشالوا منها شيء.

عبد البين: يازول الحرامية رجعوا الذهب؟ والله ربنا أكرم مولانا كرم كبير دي من الكرامات.

واصل وقال عبد الواحد: وحس بيهم الحراس وحاولوا يقبضوا عليهم، لكن ماقدروا عشان الحرامية قدروا يهربوا، ورجع الحرس وكلموا المدير قبال طلوع الفجر، وأمر بضرب المدافع فرحان بي رجوع المال للخزنة.

ومرقت مدينة الأبيض عن بكرة أبيها في الصباح الباكر تبارك للمدير ومشيدة بي دعواتالراجل المؤمن دا، ورسل المدير سرية كاملة من الجنود المسلحين والمستعدين دائماً تحت إمرة الحاج محمد في أبو حراز، وأداهو خيول، وأسند ليهو إدارة المنطقة ديك.

حاج الماحب: المعنى مولانا بقى تحت أمر وجيش، لكن ديل أهل السجادة ما بيهتمو بي كلام الدنيا دا.

عبد الواحد قال: أيوه ما اهتم بي السلطة خالص وبعد فترة قدر المدير إنو يقبض الحرامية واعترفوا ليهو بجريمتهم، وبقيا الحاج محمد مشهور، ولكن وماكان راضي واعتبرا فتنة واختبار.

عبد الواحد: ومرق للحجاز للحج وزيارة الأهل بعد ما زار دنقلا، واطمأن على أهلو وسير خلاوى القرآن.

عبد البين: يعني سافر للحجاز؟

عبد الواحد: لمن وصل الحجاز كلفوا السيد أحمد بن إدريس وهو صاحبو وأستاذونو يمشي لي محمد عليباشا في مصر، ومعاو رسالة خطية، يأمر وفيها بي الإفراج عن الجعليين المأسورين عندو في حادثة حرق إسماعيل باشا، الحادث القام بيو الملك نمر، ولمن وصل لي محمد عليباشا هو والوفد المرافق ليو وقدم ليهو الرسالة استلمها منو وأمر بي قراءتها سكت مدة طويلة وقال سمعاً وطاعة لي السيد أحمد بن إدريس، سنأمر بفك سراح الجعليين.

ومن مصر رجع للسودان وزار أصهارو في شندي شاييل البشارة بفك سراح أهلهم، ورجع لي أبو حراز وكلمهم إنو أخذ وعد من السيد أحمد بن إدريس بي زيارة أبو حراز. اعتذر السيد أحمد بن إدريس عن الزيارة بسبب المرض، ولكنورسل تلميذو السيد محمد عثمان الميرغني الي كان موضع التجلة والإكرام من مدينة الأبيض كلها، وقام الشيخ المذكور بتعريف الناس بيهو وساقولي بارا ولقياكرام منقطع النظر، وشافوا منو كرامات كثيرة زادت تعلقهم وحبهم ليهو، وتوطدت العلاقات بينو وبين بارا لأنو تزوج من أسرة زوجة الحاج محمد «أم المكّي» تزوج أم المكّي، وولدت ليهو ولد، وهو السيد الحسن الميرغني.

وكدا بقيا السيد محمد عثمان عديل صديقهو في الطريق. وأعلن السيد محمد عثمان طريقته وأخذ منو كثيرين، منهم الشيخ إسماعيل الولي، وهو في النسب ولد أخو الحاج محمد من جهة الرحم، أبو هو عبدالله والد الشيخ إسماعيل ووالدة الحاج محمد أختين، وحصلت للشيخ إسماعيل فتوحات ونفحات، ورحلو وصى ولدو السيد أحمد أنو يكون سند للشيخ إسماعيل ووصى الشيخ إسماعيل أنو يكون للسيد أحمد زي ما كان هو ليهو أبو وعائل، ورجعلي مصر واستقر في بيتو مدة ما قصيرة، وسافر للحجاز وبعد رجع لي دنقلا ومات في جزيرة تنقيسي في ليلة الأحد وقت صلاة العشاء الموافق ثلاثة رمضان عام 1283 هجرية.

وكانت مدة إقامتهم في أبو حراز ست سنوات، وما كان في دخيلة نفسو راضي عن أبو حراز عشانفيها إندايات وكتل وسرقاتوظلم، ووصى ابنو السيد أحمد أنو يهاجر منها لي بارا أو دنقلا أو دراو في مصر في الوكت المناسب إذا ما قدر يصلح الناس ديل، وما أثر فيهم العلم والقرآن ولا القدوة الحسنة.

وبقى السيد أحمد قيماً على القرى ديك، وكان السيد محمد أحمد المهدي قبل قيامو بالثورة المهديية بيزورو في أبو حراز عشان صلة الرحم لأنو أم جدو وأم الحاج محمد أبو حراز أختين.

وكان المهدي رجل ورع متصوف عندو تلاميذ كثيرين، وكانوا بلفوا معاهو، وكان بلقى الكرم من كل قرى أبو حراز ويحملوهو بالهدايا، ولمن فكر في قيامو بالمهدية كتب لي السيد أحمد، وزارو للمرة الأخيرة في أبو حراز، وأخذ منو عهد بي مساندتو وتأييدو لمن يعلن المهديية.

وقامت الثورة المهديية وكانت أبو حراز من أول القرى الفتحوها الأنصار، وبدا منها الغزو على كردفان حسب المخطط، وخرج السيد أحمد وكل أفراد أسرته لي مقابلة المهدي خارج مدينة الأبيض، وقابلوهو مقابلة كريمة، وطلب المهدي منو أنو يكون قاضي، ولكنو اعتذر بي سبب تقدم سنو ورشح أخوهو من أبوه الشيخ المكي وأخوهو من خالو أحمد ود عليللقضاء والمهدي قبلهم، وبعد أيام جاء الشيخ المكي على رأس جماعة رافع راية المهدي، وعانقو المهدي وعانقو الخليفة عناق حار، وقال الخليفة للمهدي دا شيخنا اللي كان بعلمنا العلم لمن جانا من مسيد ود عيسى وعينو المهدي قاضي في الحال، وقدمو يصلي بيهم إمام، وكان أول قاضي في المهديية يصلي بي الإمام المهدي.

(8)

عبد الواحد قال: وجاء أحمد ود عليو عينو المهدي قاضي بقى قاضي قضاة المهديّة، وسمو هو القاضي أحمد، واختلف معاهو الخليفة بعد فتره وسجنو لحدي مات، وهو صابر بدون أكل أو شراب شهر كامل. ودا كان في آخر المهديّة.

واصل وقال: وبقيام المهديّة لم يستطع السيد أحمد الذهاب بالسفر إلى الحجاز، وبعد ما انتهت المهديّة سافر للحج وزيارة أهلو، ولقى كثيرين منهم ماتوا وقد ضاعت بعض الضيع وتحولت ملكية المنازل ظلماً وعدواناً إلى غيرهم، ولقى البعض على قيد الحياة، وأغلبهم نساء ورقيق، وقد آلت بعض العقارات لبعض أصدقاء العائلة، بل إن أهم المنازل بمكة والمدينة سجلت في أيام المهديّة بأسماء أصدقاء الحاج محمد من تلاميذ السيد أحمد بن إدريس وضاعت على أسر تو تركة عظيمة وكل شيء هالك إلا وجه الله. بل كان السيد أحمد نفسه غير ميال لامتلاك الضيع والعقارات وتنازل عن كل ممتلكات الأسرة بي أبو حراز لأصحابو وأصهارو، ومنزلو الواسع اللي بنتو ليهو المهديّة وسقفتو ليهو بي سقوفات السراي اللي تحطمت، واتنازل عنو طواعية منه لحارسه عند دخول الإنجليز، فسجله هذا الحارس بي اسمو مقابل مبلغ تافه استحال للشيخ إسماعيل السيد أحمد.



قائمة المصادر والمراجع

1. عبد المحمود أبوشامة حروب حياة الإمام المهدي من أبا إلى تسلهاي
2. البشير أحمد محي الدين معجم أعلام السودان من 1821 إلى 1956 م الدار البيضاء للطباعة والنشر أم درمان 2020 م
3. البشير أحمد محي الدين تقارير المخابرات البريطانية عن الثورة المهديية في السودان التقرير رقم 60 دار رفيقي للطباعة والنشر القاهرة 2020
4. محمد أحمد الجابري، في شان الله أو تاريخ السودان كما يروييه أهله دار الفكر العربي 1947
5. سيرة الإعدام السياسي في التركية والمهديية
6. محمد صالح ضرار، أمير الشرقالدار السودانية للكتب الخرطوم



الفهرس

- 9..... العازة بت إدريس حكامة بي ألف فارس.....
- 23..... سرقة كنوز الكنداكة أماني شاخيتي جوزيف فرليني.....
- 39..... كايو في جبل كلقوو.....
- 53..... جمال الكرنوق في جزيرة ود القمر.....
- 69..... جرية ستيورات ورتلي في حلة الصبابي 1/1/1898م.....
- 79..... أسد الخشش خال فاطنة نقد الله ود عمر.....
- 89..... وكيل القنصل الأمريكي في الخرطوم سنة 1871م.....
- 103..... هيلاسلاسي في الخرطوم.....
- 113..... الحساني الغتيت عليالبولة.....
- 125..... شجرة البروجي..معركة شيكان 1883م توت توت.....
- 141..... ليتون باشا بحار تائه في بحر الغزال.....
- 151..... الأمير أحمد فضيل في آخر أيام المهدي هجرة رجل لوحده.....
- 165..... معركة الروصيرص من يوميات مفكرة المخبرات البريطانية عن السودان 26/12/1898م.....
- 177..... عثمان دقنة أمير الشرق مسمار مربع في خرم مستدير.....
- 195..... المصيبة المعلقة بالسببية إن انقطعت السببية وقعت المصيبة.....
- 205..... المهدي والحبشة حجة أم ضبيينة.....
- 219..... مشاهدات ونستون تشرشل لكمين عثمان دقنة في معركة كرري 2/9/1898م.....
- 229..... ولد النجومي جبة متروزة وحرية مركوزة.....

237.....	بعشوم الادو عربي دفع الله
253.....	أبورفاس في سنجة عبد الله
259.....	نبي القلابات البرقاوي
269.....	تمرد الجهادية السود
279.....	مكوكية الشلك والمهدية
287.....	غزو السلطان تيراب لكرد فان
299.....	من مذكرات ديم فشودة
315.....	آخر طلقة وآخر عسكري معركة كركان
329.....	معركة داروتي عدو وصديق في البير
345.....	أميرة فونجاوية في بلاط تقلي شيلة أم عجائب
359.....	راجل أبو حراز الشيخ موسى الأزرق
372.....	قائمة المصادر والمراجع